

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف

السفر السابع

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٧ - ١٩٢٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله
وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد تم بمعونة الله وحسن توفيقه تصحيح السفر السابع من كتاب نهاية
الأرب في فنون الأدب .

وقد بذلنا وسعنا ، وغاية جهدنا ، في سبيل إظهاره للقراء سليا من التحريف
والتصحيف ، اللذين ملئت بهما أصوله التي بين أيدينا ، وهي نسخة واحدة ،
مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ—
فلم ندع فيه — بحسب الطاقة — لفظا محرفا إلا أصلحناه ، ولا كلاما ناقصا غير متصل
الأجزاء إلا رجعنا إليه في مظانه وأكناؤه ولا علما من الأعلام إلا عتينا بتحقيقه
وضبطه ، ولا لفظا غريبا إلا فسرناه ، ولا عبارة غامضة المعنى إلا أوضحنا الغرض
منها ، ولا بيتا يستغلق فهمه على القارئ إلا شرحناه ونسبناه إلى قائله ، ولا اسم مكان
أو بلد إلا نقلنا باختصار ما كتبه العلماء عنه ، ولا لفظا يلتبس على القارئ إلا ضبطناه
بما يزول التباسه .

ومما هو جدير بالذكر والشكر هذه العناية الكبيرة التي كان يبذلها عن طيب
نفس ذلك المدير الحازم ، والمربي الفاضل ، حضرة صاحب العزة الأستاذ
محمد أسعد بك برادة مدير دار الكتب المصرية ، فقد كان حفظه الله يختلف إلينا

(د)

في أكثر الأيام، ويندل لنا من نصائحه الغالية وارشاداته القويمة ما يبعث في نفوسنا
الجلّة في العمل، والسعي في إتقانه، ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن نشكر أيضا
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير السيد محمد علي البيلالوى مراقب إحياء
الآداب العربية بالدار لما كان يينّله لنا من الإعانة على عملنا بمعلوماته الثمينة عن
البحوث ومراجعتها، والكتب وأغراضها ومكان الفائدة منها، والله نسأل أن
يعمل عملنا خالصا لوجهه إنه قريب مجيب ما

مصححه

أحمد الزين

فهرست

السفر السابع

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري
يتضمن ما يشتمل عليه من الأبواب والفصول
ورسائل الكتاب وخطب البلغاء

الباب الرابع عشر

صفحة

من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تنزع من أصناف الكتاب	
أصل الكتابة	١
وأما شرفها	١
وأما فوائدها	٢
ثم الكتابة بحسب من يحترفون بها على أقسام	٤
ذكر كتابة الإنشاء وما اشتملت عليه من البلاغة والايجاز الخ	٤
فأما البلاغة	٤
وأما الفصاحة	٦
ذكر صفة البلاغة	٧
ومن أمثالهم في البلاغة	٩
فصول من البلاغة	١٠
جعل من بلاغات العجم وحكمها	١١
صفة الكاتب وما ينبغي أن يأخذ به نفسه	١٢
وأما ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه	١٣

مفصلة

- وَأَمَّا مَا قِيلَ فِي حَسَنِ الْخَطِّ وَجُودَةِ الْكَاتِبَةِ وَمَدَحِ الْكَاتِبِ وَالْكَاتِبِ ... ١٤
- ذَكَرَ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِي آلَاتِ الْكَاتِبَةِ ... ١٩
- ذَكَرَ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِي الْقَلَمِ ... ٢٠
- ذَكَرَ مَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْكَلِمَةِ ... ٢٧
- وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَزِيدُ مَعْرِفَتَهَا قُدْرَهُ الْخ ... ٣٥
- فَأَمَّا طُوعُ الْمَعَانِي وَالْيَبَانِ وَالْبَدِيعِ ... ٣٥
- وَأَمَّا الْحَقِيقَةُ وَالْجَازِ ... ٣٧
- وَأَمَّا التَّشْبِيهِ ... ٣٨
- وَأَمَّا الْاسْتِعَارَةُ ... ٤٩
- فَصَلِّ فِيهَا تَدْخُلُهُ الْاسْتِعَارَةُ وَمَا لَا تَدْخُلُهُ ... ٥٢
- فَصَلِّ فِي أَقْسَامِ الْاسْتِعَارَةِ ... ٥٦
- وَأَمَّا الْكُنَايَةُ ... ٥٩
- وَأَمَّا التَّعْرِضُ ... ٦٠
- وَأَمَّا التَّمْنِيلُ ... ٦٠
- وَأَمَّا الْخَبْرُ وَأَحْكَامُهُ ... ٦١
- وَأَمَّا التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ ... ٦٣
- فَصَلِّ فِي مَوَاضِعِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ - أَمَّا التَّقْدِيمُ ... ٦٩
- وَأَمَّا التَّأْخِيرُ ... ٧٠
- وَأَمَّا الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ... ٧٠
- وَأَمَّا الْحَذْفُ وَالْإِضْمَارُ ... ٧٥
- فَصَلِّ فِي حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ... ٧٧
- فَصَلِّ - الْإِضْمَارُ عَلَى شَرْطَةِ التَّفْسِيرِ الْخ ... ٧٩
- وَأَمَّا مَبَاحِثُ إِنْ وَإِنَّمَا ، أَمَّا إِذْ ... ٨٠
- وَأَمَّا إِنْ ... ٨٣

فصل - اذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب الخ ...	٨٤
وأما النظم ...	٨٧
وأما التجنيس - فنه المستوفى التام ...	٩٠
ومنه المختلف ...	٩١
ومنه المذيل ...	٩١
ومنه المركب ...	٩٢
ومن أنواع المركب المرفق ...	٩٢
ومنه المزدوج ...	٩٣
ومن أجناس التجنيس المصحف ...	٩٣
ومنه المضارع ...	٩٤
ومنه المشوش ...	٩٤
ومنه تجنيس الاشتقاق ...	٩٥
ومما يشبه المشتق ...	٩٥
ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف ...	٩٦
ومنها التجنيس المخالف ...	٩٧
ومنها تجنيس المعنى ...	٩٧
وأما الطباق ...	٩٨
وأما المقابلة ...	١٠١
وأما السجع ...	١٠٣
وأما الترصيع ...	١٠٤
وأما الموازى ...	١٠٤
وأما المطوف ...	١٠٥
وأما المتوازن ...	١٠٥
فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها ...	١٠٧

مفحة	...	وأما رد العجز على الصدر	...	١٠٩
...	...	وأما الإعانات	...	١١٣
...	...	وأما المذهب الكلاحي	...	١١٤
...	...	وأما حسن التعليل	...	١١٥
...	...	وأما الالتفات	...	١١٦
...	...	وأما التمام	...	١١٨
...	...	وأما الاستطراد	...	١١٩
...	...	وأما تأكيد المدح بما يشبه النعم	...	١٢١
...	...	وأما تأكيد الذم بما يشبه المدح	...	١٢٢
...	...	وأما تجاهل المعارف	...	١٢٣
...	...	وأما الهزل الذي يراد به الجدة	...	١٢٤
...	...	وأما الكايات	...	١٢٤
...	...	وأما المبالغة	...	١٢٤
...	...	وأما عتاب المرء نفسه	...	١٢٥
...	...	وأما حسن التضمين	...	١٢٦
...	...	وأما التلميح	...	١٢٧
...	...	وأما إرسال المثل	...	١٢٧
...	...	وأما إرسال مثليين	...	١٢٨
...	...	وأما الكلام الجامع	...	١٢٨
...	...	وأما اللف والنشر	...	١٢٩
...	...	وأما التفسير	...	١٢٩
...	...	وأما التعليل	...	١٣٠
...	...	وأما تسويق الصفات	...	١٣١
...	...	وأما الإيهام	...	١٣١

صفحة	
١٣٣	وأما حسن الابتداءات ...
١٣٥	وأما براعة التخليص ...
١٣٥	وأما براعة الطلب ...
١٣٥	وأما براعة المقطع ...
١٣٦	وأما السؤال والجواب ...
١٣٦	وأما صحة الأقسام ...
١٣٧	وأما التوشيح ...
١٣٨	وأما الإيغال ...
١٤٠	وأما الإشارة ...
١٤٠	وأما التذييل ...
١٤١	وأما الترييد ...
١٤١	وأما التفويف ...
١٤٢	وأما التسهم ...
١٤٣	وأما الاستخدام ...
١٤٤	وأما العكس والتبديل ...
١٤٤	وأما الرجوع ...
١٤٥	وأما التفاير ...
١٤٦	وأما الطاعة والمصيان ...
١٤٧	وأما التسميط ...
١٤٧	وأما التشطير ...
١٤٨	وأما التطريز ...
١٤٨	وأما التوشيع ...
١٤٩	وأما الإغراق ...
١٤٩	وأما الغلو ...

منة

- ١٥٠ ... وأما القسم ...
 ١٥١ ... وأما الاستدراك ...
 ١٥١ ... وأما المؤتلفة والمختلفة ...
 ١٥٢ ... وأما التفريق المفرد ...
 ١٥٣ ... وأما الجمع مع التفريق ...
 ١٥٣ ... وأما التقسيم المفرد ...
 ١٥٤ ... وأما الجمع مع التقسيم ...
 ١٥٤ ... وأما التراوح ...
 ١٥٤ ... وأما السلب والإيجاب ...
 ١٥٥ ... وأما الاطراد ...
 ١٥٦ ... وأما التجريد ...
 ١٥٧ ... وأما التكيل ...
 ١٥٨ ... وأما المناسبة ...
 ١٦٠ ... وأما التفريع ...
 ١٦٣ ... وأما نهي الشيء بإيجابه ...
 ١٦٤ ... وأما الإبداع ...
 ١٦٤ ... وأما الإدماج ...
 ١٦٤ ... وأما سلامة الاختراع ...
 ١٦٥ ... وأما حسن الاتباع ...
 ١٦٦ ... وأما النتم في معرض المدح ...
 ١٦٦ ... وأما العنوان ...
 ١٦٩ ... وأما الإيضاح ...
 ١٦٩ ... وأما التشكيك ...
 ١٧٠ ... وأما القول بالموجب ...

منحة	
وأما القلب ...	١٧١
وأما التندير ...	١٧٢
وأما الإسماعيل بعد المغالطة ...	١٧٣
وأما الاختنان ...	١٧٣
وأما الإيهام ...	١٧٤
وأما حصر الجزئ والحاقه بالكل ...	١٧٤
وأما المقارنة ...	١٧٥
وأما الإبداع ...	١٧٥
وأما الانفصال ...	١٧٧
وأما التصرف ...	١٧٧
وأما الاشتراك ...	١٧٨
وأما التهمك ...	١٧٩
وأما التدبير ...	١٨٠
وأما الوجه ...	١٨١
وأما تشابه الأطراف ...	١٨١
وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالاقتباس الخ ...	١٨٢
وأما الاستشهاد بالآيات ...	١٨٣
وأما الحل ...	١٨٣
ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به وما يجوز	
في الكتابة وما لا يجوز ...	١٨٥
وإذا كتب في التهنيت بالفتوح ...	١٩٣
وأما التقاليد والمناسبات والتواقيع وما يتعلق بذلك ...	٢٠١
ذكر شيء من الرسائل المنسوبة الى الصحابة رضى الله عنهم والتابعين	
وشيء من كلام الصلوات الأولى وبلاغتهم — فن ذلك الرسالة	
المنسوبة الى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى علي وما يتصل	
بها من كلام عمر بن الخطاب وجواب علي رضى الله عنهم ...	٢١٣

صفحة	
٢٣٠	ومن كلام عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها
٢٣٢	ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها
٢٣٣	ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه
٢٣٧	ومن كلام الأحنف بن قيس
٢٤١	ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية
٢٤٤	خطبة المجاج لما قدم البصرة
٢٤٥	خطبته بعد وقعة دير الجماجم
٢٤٦	ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له
٢٥٠	ومن كلام قطرى بن الصعاء — خطبته في ذم الدنيا
٢٥٣	ومن كلام أبي مسلم الخراساني
٢٥٥	ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين — خطبة ليوسف بن عمر
٢٥٥	خطبة لخالد بن عبد الله القسرى
٢٥٦	خطبة لأبي بكر بن عباد لما ولي المدينة
	ذكر شيء من رسائل وفصول الكتاب والبناء المتقدمين والمتأخرين
٢٥٩	والعاصر من المشاركة والمعارفة
	ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكتابهم — فمن ذلك رسالة
٢٧١	ابن زيدون التي كتبها على لسان ولادة إلى إنسان استمالها إلى نفسه عنه
٢٩٠	وقال أيضا في رقعة خاطب بها ابن جهور
٣٠٣	ومن كلام أبي عباد الله محمد بن أبي الخصال
٣٠٤	ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عباد الله بن الجلد
٣٠٦	ومن كلام أبي عباد الله محمد بن الخياط
٣٠٦	ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي
٣٠٨	ومن كلام أبي الوليد بن طريف
٣١٠	ومن كلام ذى الوزارتين أبي المنيرة بن حزم
٣١١	ومن كلام الوزير الكاتب أبي محمد بن عبد التفور

الكتب والمصادر التي رجعت اليها في تصحيح هذا الجزء وقد رتبناها على حروف المعجم

إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، أساس البلاغة للزمخشري ، الأمل
لأبي عليّ القالي ، أقرب الموارد ، أدب الكاتب للصولي ، إرشاد الساري لشهاب الدين
القسطاني .

البيان والتبيين لملاحظ .

تحرير التحبير لأبي الإصبع ، تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ،
تاريخ ابن جرير الطبري ، تاريخ أبي الفداء ، تهذيب التهذيب في أسماء الرجال لملاحظ
ابن حجر ، تمام المتنون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي .

الحماسة لأبي تمام ، حسن التوسل إلى صناعة الترميل لشهاب الدين محمود الحلبي .
خزانة الأدب لأبي حجة الجوى ، خلاصة تلخيص تهذيب الكمال في أسماء الرجال
للتزرجي .

دلائل الإعجاز للجرجاني ، ديوان أبي تمام ، ديوان أبي الطيب المتنبي ،
ديوان أبي نواس ، ديوان ليبد بن ربيعة ، ديوان البحتري ، ديوان امرئ القيس ،
ديوان أبي فراس الحمداني ، ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه .

الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبن بسام .

رسائل بديع الزمان الهمذاني .

زهر الآداب للمصري .

شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة .

شذور العقود لابن الجوزي ، شرح الباعونية ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، شرح رسائل بديع الزمان الهمذاني ، شروح تلخيص المفتاح، شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي ، شرح شواهد المباني . الشفاء للقاضي عياض، الشعر والشعراء لابن قتيبة، شرح ديوان امرئ القيس للبطلبوسي .

صبح الأعشى للقلقشندي، الصباح للجوهري ، الصناعتين لأبي هلال العسكري .

العقد الفريد لابن عبد ربه، العملة لابن رشيق القيرواني .

فهرست ابن التديم .

ألفاموس المحيط للفيروزبادي .

لسان العرب لابن منظور .

المفضليات للضبي، المسجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التيمي، المثل السائر لابن الأثير الجزري ، جمع الأمثال للبدائي، المحاسن والأضداد للماحظ، المشتبه في أسماء الرجال لمحافظة الذهبي ، المصباح المنير للفيومي ، معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ، معجم الأدياء لياقوت، مختار الصباح مفتي الريب لابن هشام، المقتضب من جمهرة النسب لياقوت، المضاف والمنسوب للشمالي، محاضرة الأبرار لابن العربي، مملكات العرب .

قد الشعر لقدامة بن جعفر ، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، الوافي بالوفيات للصفدي .

يخيمة النهر للشمالي .

الجزء السابع

من

نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع عشر من القسم الخامس من الفن الثاني في الكتابة وما تفرع من أصناف الكتاب

ولنبداً بأشتقاق الكتابة ، ولم نسميت الكتابة كتابة ، ثم نذكر شرفها وفوائدها ، ثم نذكر ما عدا ذلك من أخبار المحترفين بها ، وما يحتاج كل منهم إليه ، فنقول وبالله التوفيق والإعانة :

أصل الكتابة مشتق من الكُتِبَ وهو الجمع ، ومنه سُمي الكُتُب كتاباً ، لأنه يجمع الحروف ، وسميت الكُتَيْبَةُ كُتَيْبَةً ، لأنها تجمع الجيش ، وقد ورد في المعارف : أن حروف المعجم أُنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة ، وسندكر من ذلك طرّاً عند ذكرنا لأخبار آدم عليه السلام في فن التاريخ ، فهذا اشتقاقها .

وأما شرفها — فقد نص الكتاب العزيز عليه ، فقال تعالى — وهو أول ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن بنار حراء^(١) في شهر رمضان المعظم — :
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)^(٢) وقال تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)^(٣) وقال تعالى في وصف الملائكة : (كَرَاماً كَاتِبِينَ)^(٤) ، الى غير ذلك من الآي .

(١) حراء كُتَيْبٌ وكرسى ، والأخيرة ضيفة أنكرها بعضهم ، ويؤنث فيمنع من الصرف : جبل بكة فيه غار تحدث أى تمجد فيه النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) في صحيح البخارى أن القى أنزل من هذه الآي في حراء الى قوله تعالى : (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) وما هنا مواضع لرواية الحفاظ أبي عمر الداني من حديث ابن عباس كما في إرشاد السارى ج ١ ص ٨٥ ط يروى باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شرف الكتابة نزول الكتب المتقدمة مسطورة في الصحف كما ورد في الصحف المنزلة على شِيث وإدريس وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم صلى الله عليهم كما أخبر به القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ الْأَوَّلَاحِ ﴾ ، وما ورد في الأخبار الصحيحة والأحاديث الصحيحة أنه مكتوب على العرش وعلى أبواب الجنة ما صورته :
 لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكفى بذلك شرفا .

وأما فوائدُها : فمنها رسم المصحف الكريم الموجود بين النّقيين في أيدي الناس ، ولولا ذلك لاختُلف فيه ودخل الغلط وتداخل الوهم قلوب الناس .
 ومنها رَقْمُ الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي عليها بُنيت الأحكام ، وتميّز الحلال من الحرام ، وضبط كتب العلوم المنقولة عن أعلام الإسلام .
 وتوازيح من أقرض من الأثام فيما سلف من الأيام .

ومنها حفظ الحقوق ، ومنع تمرد ذوى العقوق ، بما يقع عليهم من الشهادات ويُستَطر عليهم من السجلات التي أمر الله تعالى بضبطها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتُبُّوهُ ﴾ .

ومنها المكتبة بين الناس بجوانبهم من المسافات البعيدة ، إذ لا يضبط مثل ذلك برسول ، ولا تُنَالُ الحاجةُ به بمشاهدة قاصد ، ولو كان على ما عساه عليه يكون من البلاغة والحفظ لوجود المشقة ، وبعد الشقة .

(١) في الأصل : « لرسول » باللام ، ولعل الظاهر ما أثبتنا .

(٢) لعل قوله : « به » زيادة من النسخ إذ قوله يد : بمشاهدة قاصد ، يضي عنه . أرسلها فيه .

ومنها ضبط أحوال الناس، كناشير الجند، وتوابع العلى، وإدراوات أرباب
 الصلوات في سائر الأعمال، إلى ما يجري هذا المجرى، فكان وجودها في سائر الناس
 فضيلة، وعلمها نقيصة إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانها إحدى معجزاته
 لأنه صلى الله عليه وسلم أتى ^(١) [أتى] بما أعجز البغاة، وأتوس الفصحاء، وقيل حدّ
 المؤرخين من غير مدارسة كتب ولا ممارسة تعليم، ولا مراعاة لمن عُرف بذلك
 وأشهر به .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأن الكتاب العزيز لم يُرقم بغيرها خلافا
 لسائر الكتب المنزلة . وهذه الكتابة العربية أول ^(٢) من اخترعها على الوضع الكوفي
 سكان مدينة الأنبار، ثم قل هذا القلم إلى مكة فُعرف بها، وتعلمه من تعلمه، وكثر
 في الناس وتداولوه، ولم تزل الكتابة به على تلك الصورة الكوفية إلى أيام الوزير
 أبي علي ^(٤) بن مقلّة، فمرّبها تمرّيا غير كافٍ، ونقلها قلا غير شافٍ، فكانت كذلك
 إلى أن ظهر علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب ^(٥)، فكلّ تمرّيا، وأحسن
 تبويبها، وأبدع نظامها، وأكل التلثمها، وحلّاه بهجة وجمالا، وأولاه بل أولى
 بها مئة وإفضالا، وألهمها من رقم أنامله سلا، وجلّاه للعيون فكان أول من أحسن
 في ترصيعها وترصيفها عملا، ولا زال يتنوع في محاسنها، ويتنوع في ترصيع عقود
 ١٠

(١) هذه الإرادة سابقة من الأصل، والسياق يقتضها .

(٢) في الأصل : « فأول » والقواعد تقتضى حذف الفاء، ولعلها زيادة من النسخ .

(٣) هي مدينة على القنات غربى بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت القنات تسمى فيروز ساور،

وأول من عمرها ساور بن هرم، ثم جدّها أبو العباس السفاح أول خلفه بن العباس .

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلّة، وأبو علي كنيته .

(٥) ويقال له : ابن السرى أيضا لأن أباه كان يروا، والبواب يلزم ستر الباب، فذلك نسب إليه .

(٦) له : « ويتنوع » بإتقان الكتابة، أى يتجود ويبلغ .

- مَيَّامَهَا ؛ حَتَّى تَهْزُوتَ عَلَى أَجْمَلِ قَاعِدَةٍ ، وَتَهْزُوتَ عَلَى أَكْبَلِ فَائِئَةٍ ؛ وَسَتَرِيدُ مَا قَدَّمَاهُ
 مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ وَضَوْحًا وَتَبْيَانًا ، وَتُهِيمُ عَلَى تَفْصِيلِ مُجْمَلِهَا وَبَسْطِ مُدْجِهَا أَهْلَةً وَبَرْهَانًا .
 [ثُمَّ الْكِتَابَةُ بِحَسَبِ مَنْ] يَعْتَرِفُونَ بِهَا عَلَى أَقْسَامٍ : وَهِيَ كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ ، وَكِتَابَةُ
 الدِّيَوَانِ وَالتَّصَرُّفِ ، وَكِتَابَةُ الْحُكْمِ وَالشُّرُوطِ ، وَكِتَابَةُ النَّسْخِ ، وَكِتَابَةُ التَّعْلِيمِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ
 عَدَّ فِي الْكِتَابَةِ كِتَابَةَ الشُّرُوطِ ، وَلَمْ يُزِدْ ذِكْرَهَا تَقْرِيبًا لَكِتَابَتِنَا عَنْهَا ، وَلَا حِكْمَةً فِي إِيرَادِهَا .
 وَلِنَبْدَأُ بِذِكْرِ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا .

ذَكَرَ كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ وَمَا أَشْمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْإِيحَازِ
 وَاجْمَعُ فِي الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ ؛ وَالتَّلْعَبِ بِالْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي
 وَالتَّوَصُّلِ إِلَى بُلُوغِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَمَانِي

- وَلِنَبْدَأُ مِنْ ذَلِكَ بِوَصْفِ الْبَلَاغَةِ وَحَدِّهَا وَالْفَصَاحَةِ :
 ١٠ فَأَمَّا الْبَلَاغَةُ — فَهِيَ أَنْ يَبْلُغَ الرَّجُلُ بِمِيزَاتِهِ كُنْهَ مَا فِي نَفْسِهِ . وَلَا يُسَمَّى
 الْبَلِغَ بَلِغًا إِلَّا إِذَا جَمَعَ الْمَعْنَى الْكَثِيرَ فِي اللَّفْظِ الْقَلِيلِ ، وَهُوَ الْمُسَمَّى إِيحَازًا .
 وَيَنْقَسِمُ الْإِيحَازُ إِلَى قَسْمَيْنِ : إِيحَازِ حَذْفٍ ، وَهُوَ أَنْ يُحْذَفَ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ
 وَتَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَرِينَةُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ وَالْمُرَادُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ
 وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أُنْتَى ﴾ وَالْمُرَادُ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أُنْتَى ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى :
 ١٥ ﴿ وَأَخْتَارُ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ
 يُطِيعُونَهُ ﴾ وَالْمُرَادُ لَا يُطِيعُونَهُ ؛ وَنَظَائِرُ هَذَا وَأَشْبَاهُهُ كَثِيرٌ .

(١) مَكَانُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَطْبُوسٌ بِالْأَمَلِ تَتَلَوَّنُ قِرَائَتُهُ ، وَلِهَذَا مَا أَتَيْنَاهُ بِإِلَافٍ الْفَرْشِ الْمَقْصُودِ وَيَصِحُّ بِهِ
 الْقِسْمُ الْآخِي .

- (٢) الشَّرْطُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ : جَمْعُ شَرْطٍ كَقَوْلِهِ : وَبِجَهَنَّمَ : طَائِفَةٌ مِنْ أَعْرَابِ الْوَلَاةِ سَمُوا بِذَلِكَ
 لِأَنَّهُمْ أَطْلَقُوا أَقْسَامَ بَلَاغَاتٍ يَصِفُونَ بِهَا .

وليجاز قَصِير ، وهو تكثير المعنى وتقليل الالفاظ ، كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما جمع فيه شرائط الرسالة : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ وبيع أعرابي رجلا يتلوا فسجد وقال : جعلت لفصاحته ، ذكره أبو عبيد . وقوله تعالى مما جمع فيه مكالم الأخلق : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَتْلُوا عَلَىَّ وَأُتُوْنِ مُسْلِمِينَ ﴾ بجمع في ثلاث كلمات بين العنوان والكاتب والحاجة ؛ وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ تَمَلَّ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بجمع في هذا على لسان التملة بين النداء والتنبيه والأمر والنهي والتحذير والتخصيص والعموم والإشارة والإعذار ؛ ونظير ذلك ما حكي عن الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها : قاتلك الله ، ما أفصحك ! فقالت : أوبعد هذا فصاحة بصد قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاتَّقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ بجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفلهُ لمُغْدِق ، وإن أعلاه لمُثَمِّر ، ما يقول هذا بشر .

- (١) في الأصل : « والنس » وهو تحريف سواه ما أثبتناه كاستغناء عن الكشاف ، والنبي في هذه الآية قوله تعالى : (لا يحطمنكم) .
- (٢) في الأصل : (إن له حلالة) بدون لام ، وما أثبتناه عن الشفاء ج ١ ص ٢٢٠ ط الأستاذة والطلاوة ضم الطاء وفتحها : الريق والحسن .
- (٣) كذا في الأصل وفي بعض كتب التفسير ، وسماء الكثير الماء ، وفي رواية : (لندق) كما في سيرة ابن هشام . والندق بكسر الهاء : الإبطان الذي .

وسمع آخر رجلا يقرأ : ﴿ فَلَمَّا أَسْتَأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان أسم جامع لكل ما كَشَفَ لك من قناع المعنى ، وحتك الحجاب عن الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقة اللفظ ويهجم على محصولة كلنا ما كان .

وقيل لبحر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأمل . وقال آخر : خير البيان ما كان مصرحا عن المعنى لتسرع إلى الفهم تلقية ، وموجزا ليخفف على اللسان تعاقده .

وقال أعرابي : البلاغة التقرب من معنى البُنية ، والتباعد من وحش الكلام وقرب المأخذ ، وإيضاح في صواب ، وقصد إلى الجملة ، وحسن الاستعارة . قال علي رضي الله عنه : البلاغة الإفصاح عن حكمة مستغلفة^(١) ، وإبانة على مشكل . وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة إيضاح المثلثات ، وكشف عورات الجهالات ، بأحسن ما يمكن من العبارات .

وأما الفصاحة - فهي مأخوذة من قولهم : أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة ، وقالوا : لا يسمى الفصيح فصيحاً حتى تخلص لفته عن اللكنة الأعجمية ولا توجد الفصاحة إلا في العرب . وعلماء العرب يزعمون أن الفصاحة في الألفاظ ، والبلاغة في المعاني ، ويستدلون بقولهم : لفظ فصيح ، ومعنى بليغ .

(١) في الأصل : « متغلفة » ولم نجد فيها لدينا من كتب اللغة .

ومن الناس من استعمل الفصاحة والبلاغة بمبنى واحد في اللفاظ والمعاني والأكثرين عليه .

ذكر صفة البلاغة

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغت الجنة ، وصل بك عن النار ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول ؛ قال : ليس هذا أريد ؛ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معشر النبيين بكاء »^(١) — أي قليلو الكلام ، وهو جمع بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ؛ قال السائل : ليس هذا أريد ؛ قال : فكانك تريد تحمير اللفظ في حُسْنِ إلهام ؛ قال : نعم ؛ قال : إناك إن أردت تقرر حجة الله في حقول المتكلمين ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، وترزين المعاني في قلوب المستفهمين بالالفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالمواظع الناطقة عن الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب .

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل . وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : ألا يرقى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يرقى السامع من سوء بيان القائل .

(١) هو حُفص بن سالم كما في زهر الآداب - ج ١ ص ٩٤ ط المطبعة الرحمانية .

(٢) كذا في الأصل . ولم يفت على هذه الرواية فيما لدينا من كتب الحديث ولا غيرها ، وضمه في كتاب النهاية لأن الأثير " نحن ساعثر الانبياء فيما بكاه " وقال في تفسير البكاء : فتح الياء : أي فلة الكلام إلا فيما يحتاج اليه ، يقال : بكأت الناقة وللشاة إذا قل لها هي بكى . وبكىة .

وقيل لخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قُرْب طَرَفاه ، وبعْد متناه .
وقيل لبعض البلغاء : من البليغ ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع
وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع .

وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من
لفظه إلى سمعك .

وسأل معاوية^(١) شحاراً البدي : ما هذه البلاغة ؟ قال : أن نجيب فلا تبطئ^(٢)
وتصيب فلا تخطئ .

وقال الفضل : قلت لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : الإيماز في غير عجز
والإطناب في غير حطل .

وقال قدامة : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة وهو مطابقة اللفظ المعنى لا زائدا
ولا ناقصا ، والإشارة وهو أن يكون اللفظ كالألفاظ المألوفة ؛ والدليل وهو إعادة
الألفاظ المتداخلة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه .
قال بعض الشعراء :

يكنى قليل كلامه وكثيره • بيت إذا طال النضال مصيب

وقال أحمد بن محمد بن عيسى صاحب المقد : البلاغة تكون على أربعة أوجه
أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة ، وكل وجه منها له حظ من البلاغة
والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره ، ورُبَّ إشارة أبلغ من لفظ .

(١) في الأصل : (لطمار البدي) وهو خطأ من النسخ ، والتصويب من المقد الفريد ج ١ ص ٢١ ط
المطبعة المتأينة . (٢) كذا في الأصل ؛ وقد وردت هذه القصة في البيان والتبيين ج ١ ص ٤ ط
ط مطبعة النفوس الأدبية أكل ما عابوا أكثر تفصيلا ؛ ولعل الخلف اختصرها فيما المقد الفريد لابن عبد ربه
وروي على ما ذكره في هذا الكتاب من اختصار القصص والرسائل بقدر المستطاع ، ولم يزد إيرادها
في حواشي الكتاب لطولها .

وقال رجل للمتأبى : ما البلاغة ؟ قال : كل ما أبلغك حاجتك، وأفهمك معناه

(١)

بلا إعادة ولا حُسبة ولا استمانة فهو بليغ، قالوا : قد فهمنا الإعادة والحُسبة، فما معنى الاستمانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع الكلام : لاسمع مني، وأفهم عني، أو يسح عُنُونُهُ^(١)، أو يقتل أصابعه، أو يكثر التفاته، أو يسعل من غير سعلة، أو ينهر في كلامه قال بعض الشعراء :

مليَّ يَبْهَرُ والتفاتٍ وسُعلَةٍ * ومسحةٌ عُثُونٍ وقتلٍ الأصابع

ومن كلام أحمد بن إسماعيل الكاتب المعروف بنطاحة، قال : البليغ من عرف السقيم من المعتل، والمقيّد من المطلق، والمشتبك من المفرد، والمنصوص من المتأوّل، والإيماء من الإيحاء، والفصل من الوصل، والتلوّح من التصريح.

ومن أمثاله في البلاغة قولهم : يُقِلُّ الحَرْزَ يطبِّقُ المَقْصِلَ . وتلك

١٠

أنهم شبهوا البليغ الموزن الذي يُقِلُّ الكلامَ ويصيبُ نصوصَ المُعاني بِالْحَرْزِ الرقيق الذي يقُلُّ حَرْزُ اللحم ويصيبُ مفاصله، وقولهم : يضعُ الهَيْاءَ مواضعَ الثُّقْبِ، أي لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام فيه . والهَيْاءُ : القِطْران . والثُّقْبُ : الحَرْب . وقولهم : قرطس فلان فأصاب الفسوة، وأصاب عين القرطاس . كلُّ هذه أمثال للصيب في كلامه الموزن في لفظه .

١٥

(١) هو ما ثبت على القنن من الشر وحمته سفلاء، أو هو ما فضل من الهبة بهد العارفين من باطلها .
(٢) في الأصل : (يَبْهَرُ) ياء موحدة بعدها ثاء مثناة؛ ولم تجد فيها بين أيدينا من كتب اللغة من معانيه ما يناسب المقام، ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا كافي المقد للقرئذ . وبغير : مطاوع جره الحمل بجره، أو رفع طيه بالرفع، الباء وهو تابع النفس من الإيحاء . (٣) في الأصل : (ناطلة) بنون بعدها ألف، وهو خطأ من النسخ، والتصويب من كتاب الوافي، وسيم الأدياب ج ١ ص ٣٧٧ ط مطبعة حديثة وهو أحد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن النقيب أبو علي الكاتب الأتابي . (٤) في البيان والتبيين : (الحَزْزُ) .
(٥) في الأصل : « من » والمقام يقتضي الباء كما أثبتنا .
(٦) يقال : قرطس فلان إذا رأى فأصاب بالقرطاس، ويقال لرمية : قرطسة .
(٧) هو كل آدم ينصب للفضال؛ وفيه خمس لغات : تلتفت القاف، ويكفر، وكدرم .

٢٠

٢٠

فصول من البلاغة

قيل : لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها ، قال : من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم فليؤدّه ، ومن كان في يده فليؤدّه ، ومن كان في صدره فليؤدّه . فسيب الناس من حسن ما فصل .

- وكتب المعتصم إلى ملك الروم جوابا عن كتاب تهنئه فيه : الجواب ما ترى لا ما تسمع (وسيعلم الكافرين عقي النار) .

وقيل لأبي السّال الأسديّ أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : تركتهم بين مظلوم لا يتصف ، وظالم لا يتقى . وقيل لشبيب بن شبة عند باب الرشيد : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا .

- ١٠ وقال حسّان بن ثابت في عبد الله بن عباس رضي الله عنهم :

إذا قال لم ينترك مقالا لقائل * بملقطات لا ترى بينها فضلا^(٣)

كفى ونفى ما في النفوس فلم يدع * لذي إربة في القول جدا ولا هنلا

قال سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب ؛ البلاغة با فهمته العاتية ، ورضيته الخاصة ؛ أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه ؛ خير الكلام ما قل وجل ، ودل ولم يمل ؛ خير الكلام ما كان لفظه خفلا ، ومعناه بكرا .

- ١٥

(١) الكافر بالإنفراد قراءة الحرمين وأبي عمرو كما في تفسير الألويسي .

(٢) في الأصل : «ابن السالك الأسدي» ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من المكان ، ولعله تحريف صوابه ما اشتهر كما في شرح القاموس والشعر والشراء في ترجمة النجاشي ؛ وفي المشتبه لذهبي : (أبو مهال) بدون تحريف .

- ٢٠ (٣) كذا في الأصل بالفاد المحبنة . وفي رواية (فصلا) بالفاد المهمة كما في ديوان الشاعر واليهان والخبين ؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

وقال ابن المعتز: البلاغة أن تبلغ المعنى ولم تطل مسفر الكلام؛ خير الكلام ما أسفر عن الحاجة؛ أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه، ويؤنس مضمعه^(١)؛ أبلغ الكلام ما حسن ليجازه، وقيل مجازه، وكثر إعجازه، وتناهت صدوره وأعجازه؛ البلاغة ما أشار اليه البصري حيث قال:

وركن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

جمل من بلاغات العجم وحكمها

قال أبو ريز لكتبه: إذا فكرت فلا تسجل، وإذا كتبت فلا تستعن بالفضول

فإنها علاوة على الكفاية، ولا تقصرن عن التحقيق فإنها هجنة في المقالة، ولا تلبسن

كلما بكلام، ولا تباعدن معنى من معنى، وأجمع الكثير مما تريد في القليل مما

تقول. ووافق كلامه قول ابن المعتز: ما رأيت بلغيا إلا رأيت له في المعاني إطالة

وفي الإلفاظ تقصيرا. وهذا حث على الإيجاز. وقال أبو ريز أيضا لكتبه: اعلم أن

دعائم المقالات أربع إن اتيسر إليها خامسة لم توجد، وإن نقص منها واحدة لم تم^(٢)

وهي: سؤالك الشيء، وسؤالك عن الشيء، وأمرك بالشيء، ونهيك عن الشيء؛

فإذا طلبت فأنجح، وإذا سألت فأوضح، وإذا أمرت فأحكم، وإذا أخبرت فلتحقق.

وقال بهرام جور: الحكم ميزان الله في الأرض. ووافق ذلك قول الله تعالى:

(وَالسَّيَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) وقال أنوشروان لأبيه هرمز: لا يكون عندك

لعمل البر غاية في الكثرة، ولا لعمل الإثم غاية في القلة. ووافق من كلام العرب

قول الأثوري:

والخير ترداد منه ما لقيت به • والشريعكفك منه قلما زاد

(١) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا: «و يؤنس مسمعه» وهو تحريف، والتصويب عن زهير الآداب. يريد وصف الكلام بأنه عزز قاعده، فألقى بضميه منه ويؤنس يؤنس طلبه من أن يجيد منه.

(٢) كذا في الأصل. وكأنه يريد: إن اتيسر خم خامسة إليها. وفي رواية: «هله».

وقال أنذير بن بك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبته ، وفش حصرته ، ومن فحش حرصه ذلت نفسه ، وغلب عليه الحسد ، ومن غلب عليه الحسد لم يزل مغموما فيما لا ينفعه ، حزينا على ما لا يناله . وقال : من شغل نفسه بالملئ لم يمل قلبه من الأمل .

- وقال بعضهم : الحقوق أربعة : حق لله ، وقضاؤه الرضا بقضائه ، والعمل بطاعته ، وإكرام أوليائه ؛ وحق لنفسك ، وقضاؤه تمهلها بما يصلحها ويصحبها ويحيم مواد الأذى عنها ؛ وحق للناس ، وقضاؤه عمومهم بالمودة ، ثم تخصيص كل أمرئ منهم بالتوقير والتفضيل والصلة ؛ وحق للسلطان ، وقضاؤه تعريفه بما حتى عليه من منفعة رعية ، وجهاد عدو ، وعمارة بلد ، وسد ثغر . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحقبة سيرة ، وإقراره بها عسيرة .

١٠

[صفة الكاتب^(١)] وما ينبغي أن يأخذ به نفسه

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة وخفة اللهازم^(٢) ، وكافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمالك وخطف الإشارة ، وملاحة الرئي . وقال : من جال آلة الكاتب أن يكون بهي المجلس ، فظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك مستقر المركب ، ولا يكون مع ذلك قضم فاض الحقبة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية^(٣) .

- (١) موضع هذه العبارة مطبوس بالأصل ، ولعل ما أثبتناه يلائم ما يأتي في أول الفصل .
(٢) الهامز : أصول الحنك ، واسمه لمزومة . يريد بخفضها فلة الشعر الناتج عليها بليل ما يده .
(٣) اسم مفعول من قولهم : فلان يستره الأقراس ، أي يسترها .

٢٠

عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء واللفظة .
قال بعض الشعراء :

وتحول كأنما أقتصروها * من معاني شمائل الكتاب
هذا ما قيل في صفة الكاتب .



وأما ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه، فقد قال إبراهيم الشيباني :
أول ذلك حسن الخط الذي هو لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحى
الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفرفة، ومهادتهم على بُعد المسافة
ومستودع السر، وديوان الأمور .

وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ : إنه الخط الحسن . ١٠

وقد اختلف الكتاب في قطع الخط وشكله، فمنهم من كرهه
قال سعيد بن حميد الكاتب :

لأن يُشكّل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكاتب بالشكل .
وعرض خط على عبد الله بن طاهر فقال : ما أحسنه لولا أنه أكثر شذوذه^(١)
ونظر محمد بن عباد إلى أبي حنيفة وهو يقيد البسطة فقال : لو عرفته ما شكته . ١٥
وممن من حمده فقال : حلوا عواطل الكتب بالقييد، وحصنوها من شيه
التصحيح والتحريف .

وقيل : إجماع الكتب يمنع من استعجالها، وشكلها يصونها عن إشكالها .^(٢)

(١) في الأصل : (عازيهم) وهو تحريف، والتصويب عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٦ ط دار الكتب
المصرية . (٢) الثونيز والثينيز : الحبة السوداء، وقيل هو فارسي الأصل . شبه نقط الحروف به . ٢٠
(٣) في الأصل : (استعجالها) بالباء وهو تحريف سوابه ما أثبتنا كما يقتضيه المقام .

قال الشاعر^(١) :

وكان أحرف خطه شجر^(٢) * والشكل في أغصانه ثمره^(٣).



وأما ما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب والكتاب .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الخط الحسن يزيد الحق وضوحا .

وقال : حسن الخط إحدى البلاغتين .

وقال عبيد الله بن عباس : الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط شمس الحكمة ، به فصل شذورها ، وينظم شذورها ، وقال أبو هلال العسكري :

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط في يد الحكم

والخط نظم كل منشئ * منها وقص كل منظم

والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم .

وقد اختلف الناس في الخط واللفظ ، فقال بعضهم : الخط أفضل من اللفظ

لأن اللفظ يفهم الحاضر ، والخط يفهم الحاضر والغائب .

قالوا : ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل فيه واحد ، كاختلاف صور

الناس مع اجتماعهم في الصيغة . قال الصولي^(٥) : سئل بعض الكتاب عن الخط متى

(١) هو أحمد بن إسماعيل طاحنة ، كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أضاعها » .

(٣) في الأصل : (ثمر) بدون هاء الضمير ، والصواب إثباتها كما في أدب الكتاب لوافق البيت قبله

وهو : مستودع قوطاسه حكا * كالروض ميز به زهره

(٤) السمت بالحر : محيط النظم ، ورجعه سميوط .

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن عباس بن محمد بن صول ، وصول هذا رجل من الأتراك

اليه ينسب أبو بكر المتقدم لا آل صول اليه المعروف .

يستحق أن يوصف بالجوهر ؟ قال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألقه ولائمه ؛ واستقامت مسطوره ، وضاهى صعوده حذوره ؛ وفتحت عيونه ، ولم تشبه راؤه ونونه ؛ وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه^(١) ، ولم تختلف أجناسه ؛ وأسرع الى العيون تصوره ، وإلى القلوب ثمره ؛ وقدرت فصوله^(٢) ، [وأندجت وُصوله^(٣) ، وتناسب دقيقه وجليله] ؛ وتساوت أطنايه ، واستدارت أهدابه ؛ ونخرج عن [نمط الوراقين^(٤)] ، وبعد عن تصنع المحررين ؛ [وقلم لكتابه مقام النسبة والحلية] وكان حيثذا كما قلت في صفة الخط :

اذا ما تحلل قرطاسه • وساوره القلم الأرقش^(٥)

تضمن من خطه حلة • كشل الدنانير أو أهش

حروف تكون لعين الكليل • نشاطا وقرؤها الأخفش^(٦)

وقال ابن المعتز :

إذا أخذ القوطاس خلت يمينه • فتتح نوراً أو تنظم جوهرها

وقيل لبعضهم : كيف رأيت إبراهيم الصولي ؟ فقال :

يؤلف اللؤلؤ المنشور منطلقه • وينظم الدرر بالأفلام في الكتب

(١) جمع قس بالكسر ، وهو المداد .

(٢) في الأصل : (ثمره) ولم نجد فيها لدينا من كتب اللغة بالمعنى المناسب لها ، وما أشتبه عن

أدب الكتاب ص ٥٠ ط المطبعة السلفية .

(٣) موضع هذين الفقرتين مطبوس بالأصل ، وما قلناه عن أدب الكتاب .

(٤) موضع هذه العبارة مطبوس بالأصل لتندر قراءه ، وما قلناه عن أدب الكتاب .

(٥) الزيادة عن أدب الكتاب .

(٦) الأرقش من الأفاش : ما فيه قط سواد وياض ، شب به القلم في قوة فله وبلغ أثره ؛ أو هو

من رقص الكتاب اذا كتبه وزينه .

(٧) الأغفش : الضعيف البصر ، وهو من باب فرح .

(١)

وقال آخر:

أضْحَكْتَ قَوْمًا سَكَ عَنْ جَنَّةٍ * أَشْجَارُهَا مِنْ حَكَمٍ مَشْمُورَةٍ
مَسُونَةٍ سَطَطًا وَمِيضِيَّةٍ * أَرْضًا كُنْشَلُ اللَّيْلَةِ الْمُقْمَرَةِ

وقال آخر:

• كَتَبْتَ فَلَوْلَا أَنْتَ هَذَا مُعَلَّلٌ * وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسْتُ خَطَاكَ بِالسَّحَرِ
فَوَاقَهُ مَا أَدْرَى أَزْهَرُ نَجْمِيَّةٍ * يَطِيرُ سِكَ أَمْ دَرَّ يُلُوحُ عَلَى نَحْرِ
فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صَنِيعُ مَحَابَةِ * وَإِنْ كَانَ دَرًّا فَهُوَ مِنْ لُجْجِ الْبَحْرِ

وقال آخر:

وَكَاثِبٌ يَرْفُمُ فِي طَرِيْقِهِ * وَرُضَا بِهِ تَرْجِعُ الْحَاظِلُهُ
فَالْتَرَمَّا تَسْتَظِمُّ أَقْلَامَهُ * وَالسَّحَرُ مَا تَنْتَرُّ الْقَاظِلُهُ

وقال آخر:

وَشَادِنٌ مِنْ بَنِي الْكُتَّابِ مُقْتَدِرٌ * عَلَى الْبَلَاغَةِ أَحْلَى النَّاسِ إِنْشَاءً
فَلَا يَجَارِيهِ فِي مَبْدَأَانِهِ أَحَدٌ * يَرْيَكُ مَحَبَّانَ فِي الْإِنْشَاءِ إِنْ شَاءَ

وقال آخر:

• ١٥ إِنْ هَرَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُحْمِلَهَا * أَنْسَاكَ كُلَّ كَيٍّْ هَرَّ عَامِلُهُ (٣)
وَإِنْ أَمَّرَ عَلَى رِقِّ أَقْلَامِهِ * أَقْرَبَ بِالرَّقِّ كُتَّابَ الْأَنْهَامِ لَهُ (٤)



(١) هو أحمد بن إسماعيل المعروف بتخاطة كما في أدب الكتاب .

(٢) في أدب الكتاب : « أيضا » .

(٣) عامل الرخ وعاملته : صدره .

(٤) الصحيفة البيضاء ، وجهه رقيق يكتب فيه .

وقال أبو الفتح كشاجم :

وإذا نمت بئس خطا * مُعْرِياً عن بلافة وسداد
عجب الناس من بياض ماني * تُجْنَى من سواد ذاك المباد
وقال المشوق الشامي شاعر البتيمة :

لا يُخْطِرُ الْفَكَرُ فِي كِتَابِهِ * كَأَنَّ أَقْلَامَهُ لَهَا خَاطِرُ

القول والفعل يحريان معا * لا أَوَّلُ فَنَحْمَا وَلَا آخِرُ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الكتاب نعم الثمر والعقدة ، ونعم المجلس والعمدة ، ونعم النشرة والثَّهَّةُ ، ونعم المستغل والحرفة ، ونعم الأيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد القُرْبَةِ ، ونعم القرن والخيال ، والوزير والتزليل ، والكتاب وطء مُلِيٍّ علما ، وظرف حُشِيَّ ظُرُفا ، وإناء شَجِنَ مُزاحا وِجَلًا ، إن شئتَ كان أَيْنَ من محبان وائل ، وإن شئتَ كان أعيان باقل ، وإن شئتَ ضحكتَ من نواذره وعجبتَ من غرائب فوائده ، وإن شئتَ أَلْمَسْتَ نواذره ، وإن شئتَ شَجِنْتَ مواظله وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهِ ، وبزاجر مُغْنٍ ، وبناسك فاك ، وناطق أنرس ، وبسارد حاز ومن لك بطبيب أعرابي ، وبروي هندي ، وفارسي يوناني ، وبقديم مؤلِّد ، وبميت مُتَمِّع ، ومن لك ببنى لك الأَوَّلُ والآخِرَ ، والناقص والوافر ، والشاهد والغائب

(١) كذا في قيمة الدهر ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١ ط المطبعة الحنفية . وفي الأصل : « المشوق » ، وهو لقب الشاعر ، قال في البتمة : ولم آتق اسمه . والصواب في نسبة هذين البيتين أنها لعيد الحسن بن محمد الصوري كما في البتمة ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) هي كل ما يستوق الإنسان به لنفسه ويمتد عليه ، وأصله من العقدة بمعنى الحائط الكبير الفتل وكان الرجل إذا جمع ذلك قد أحكم أمره عند نفسه واستوق به .

(٣) النشرة بالضم : الرقعة التي يبالغ بها المجنون والمرضى ، سميت نشرة لأنه يشربها عنه ما كان خافه من الداء ، أى يكشف وي زال .

(٤) في المحاسن والأضداد : (دروى) باسقاط الباء ، ولعله أظهر .

والرفع والوضيع، والفث والسمين، والشكل وخلقه، والجنس وضده؛ وبعد: فقي رأيت بستاناً يُجَلُّ في رَدْنٍ؟ وروضة تُقَلَّبُ في حِجْرٍ؟ ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، «آمن من الأرض» وأكتم للمر من صاحب السر، وأضبط لحفظ الوديدة من أرباب الوديدة، وأحضر لما استُحِفِّظ من الأميين، ومن الأعراب المعريين، بل من الصبيان قبل اعتراض الأشغال، ومن الثمانيان قبل التمتع بتميز الأشخاص، حين العناية تامة لم تُنْقَضْ والأذهان فارغة لم تُقَسِّمْ، والإردادات وافرة لم تستتب، والطينة لينة فهي أقبل ما تكون للطايع، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون للملوك، حين هذه الخصال لم يُلَسَّ جديدها، ولم تنفرت قواها، وكانت كقول الشاعر:

- ١٠ أتاني هواها قبل أن أعرفها لهوى * فصادف قلبي فارغا فتمسكتا
وقال ذو الرمة لعيسى بن عمر: أكتب شعري، قال كُتِبَ أعجب إلى من الحفظ
لأن الأعرابي ينسى الكلمة قد تعب في طلبها يوما أو ليلة، فيضع موضعها كلمة
في وزنها لم يَشُدُّها الناس، والكاتب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام. قال: ولا أعلم
جارا أبر، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معالما أخضع، ولا صاحباً
أظهر كفاية، ولا أقل خيانة، ولا أقل إرباماً وإملالاً، ولا أقل خلافاً وإرباماً
١٥ ولا أقل غيبة، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً، ولا أقل صلواً وتكلفاً، ولا أبعد من
مراء، ولا أكثر لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف من قتال من كتاب،
ولا أعلم شجرة أطول عمراً، ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مجنى

- (١) الرذن بالنسب: أصل الكم جمه أردان. (٢) كذا في الأصل: وله: «تتشب». ٢٠
(٣) لم يشدها الناس، يريد أن الكلمة التي يضعها لم تشر في الناس ولم يروها، ولم يكن قبل قد
أشدها إياهم. وفي رواية: «ثم يشدها» بالهاء المظنة.
(٤) كذا في الأصل. ولم تر هذه العبارة ضمن كلام الجاحظ في كتابه المحاسن والأعذار.

ولا أسرع إدراكا، ولا أوجد في كل إيان^(١) من كتاب؛ ولا أعلم نتاجا في حللته سنة وقرب ميلاده، وحضور ذهنه، وإمكان موجوده، يجمع من التداير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومجود الأذعان اللطيفة، ومن الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأشيم البائسة ما يجمع الكتاب؛ وقد قال الله تبارك اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فوصف نفسه تعالى جتته بأن علم بالقلم، كما وصف به نفسه بالكرم، وأعتد بذلك من نعمه العظام، وفي أياديه الحسام .

⑧

ذكر شيء مما قيل في آلات الكتابة

قال ابراهيم بن محمد الشيباني نيا يحتاج إليه الكاتب :

من ذلك أن يصلح الكاتب آتية التي لا بد منها، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها، وهي دواته، فليتم رجا وإصلاحها، ثم يتخير من أنابيب القصب أقله عقداً وأكثفه لحما، وأصلبه قشرا، وأعله استواما، ويجعل لهرطاسه مسكنا حادا ليكون عوناً له على برى أعلامه، ويربها من جهة نبات القصب، فاعمل عمل القلم من الكاتب كعمل الرمح من الفارس. وقد خصّ الفضلاء القلم بأوصاف كثيرة، ومزايا خطيرة فلنذكر منها طرفا .

١٠

١٠

(١) إيان كل شيء : منه وجه الذي يكون فيه .

(٢) أتم العمل : أجاده ، يقال : اذا عملت عملاً فأنه . -

(٣) في الأصل : من (الأنابيب) بزيادة «ال» والصواب حذفها كما تقتضيه القواعد .

ذكر شيء مما قيل في القلم

قال الله تعالى : ﴿ تَبَّ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وقال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

- وقال الحكماء : القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للعين بسر القلوب .
 وقالوا : عقول الرجال تحت أسيّة أقلامها . ينوء الأقلام بصوب غيث الحكمة .
 القلم صانع الكلام ، يُفرغ ما يحمله القلب ، ويصوغ ما يسير في القلب .
 وقال جعفر بن يحيى : لم أر بائعا أحسن تبعا من القلم .
 وقال المأمون : لله ذر القلم كيف يحوكم ونشئ المملكة !

- وقال ثمامة بن أثاريس : ما أثرت الأقلام ، لم تطمع في درسه الأيام . بالأقلام
 تُدبر الأقاليم .
 ١٠ . كاتب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله . عقل الكاتب في قلبه .
 وقال ابن المعتز : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يُخيم الإرادة كأنه يقبل إساط
 سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

- وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برى القلم
 وإطالة جلفته ، وتحريف قطته ، وحسن التأني لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدّة بعد
 إشباع الحروف ، والتحرّز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخلط
 والإعجام على التصحيف .
 ١٥ .

(١) النوء : النجم إذا مال للنب ، جمه أفواء ونواآن كعب وعبدان . أو هو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه ، وهو نجم آخر يقابله من ساعه في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأسماء والرياح والحر والبرد إلى ذلك .

- (٢) في الأصل : « يسبه » ، وهو تحريف ، والتصويب من صبح الأحيى ج ٢ ص ٤٧ ط
 دار الكتب المصرية ، وقال هذه الكلمة أوردت في الجليل .
 (٣) الحلقة بكسر الهمزة وتفتح وسكون اللام من القلم : ما بين مبراه إلى سه .

وقال المتأني : سألني الأصمعي في دار الرشيد : أي الأنايب للكتابة أصحّ وعليها أصمب^(١)؟ فقلت له : ما نَشَفَ بالمعبر ماؤه ، وسَرَه من تلويحه غشاؤه ؛ من التَّبرية البشور ، الدَّرية الظهور ، الفَضية الكمور ؛ قال : فأى نوع من البرى أصوب وأكتب؟ فقلت : البرية المستوية القطة التي عن يمين منها برية تؤمن معها الحجة عند المدة والمطة ، للهواء في شقها قيق ، والريح في جوفها خريق^(٢) ، والمداد في خرطومها رقيق . قال المتأني : فبقى الأصمعي شاخصا إلى ضاحكا ، لا يغير مسألة ولا جوابا .

وكتب علي بن الأزهري إلى صديق له يستدعي منه أقلاما : أما بعد : فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الأسم ، ولزمت لزوم الوسم^(٣) ، فقلت محل الأنساب ، وجرى تجري الألقاب ؛ وجدنا الأقلام الصُحرية أجرى في الكواغد وأصر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف^(٤) وأشد لتعريف الخط فيها ، ونحن في بلد قليل القصب رديته ، وقد أحييت في أن نتقم في اختيار أقلام صُحرية ، وننتوق في اقتنائها قبلك ، وتطلبها من مظانها ومناهبها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن نؤمن بأختيارك منها الشديدة الصلبة^(٥)

(١) في الأصل : (يشف) وهو تحريف ، والتصوب من صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ : ط دار الكتب المصرية . (٢) يريد أنها تتخذ فيها وتخلقها .

(٣) الوسم : أثر الكت .

(٤) الصُحرية بالنسبة إلى الصحرة ، وهي بؤة تجاب وسط الحرة ، وتكون أرمالية تحليفها بجارة ، والجمع صحر .

(٥) واحده كأغد ففتح اللتين المعجمة : القراطيس ، وهو قارص مرطب .

(٦) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ ط بولاق : (تصرف) وكلاهما يستقيم . الكلام وإن اختلف المراد في كل من الروايتين . (٧) في الأصل : (تغير) والحقام يقتضى ما أئتنا كما في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ والعقد الفريد . (٨) في العقد الفريد : (تأني) ويؤداها واحد . (٩) في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ : (تيسم في اختيارك) الخ ، وهي أقرب بقرينة قوله بد : « وأن تقصد » .

(١) النقية الجلود، القليلة الشحوم، الكثيرة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة التّحليل فإنها أتت على الكتابة، وأبعدُ من الحقا، وأن تقصد بانتقائك للوراق القُضبان المقومات المتون، المُتّس المعاهد، الصافية القشور، الطويلة الأنايب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكة يتسا وهي قائمة على أصولها، لم تُسجل عن إبان صنعها، ولم تؤثر إلى الأوقات المخوفة عليها من خسر الشتاء وَفَن الأنداء، فإذا استجمعت عندك أسررت بقطعها ذراعا ذراعا قطعاً رقيقاً، ثم حبات منها خزماً فيما يصونها من الأوعية، [ووجهتها مع من يؤدى الأمانة فى حراستها وحفظها وإصالتها] وتكتب معها بعلتها وأصنافها بنير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى .
وأهدى ابن الحرون إلى بعض إخوانه أقلاما وكتب إليه :

- ١٠ إنه لما كانت الكتابة - أبقاك الله - أعظم الأمور، وقوام الخلافة، وعمود المملكة تخفك من آلتها بما يخف حملها، وتثقل قيمته، ويعظم نفعه، ويحل خطره، وهي أقلام من القصب النبات فى الصحراء الذى تشف بحر الهجير [فى قشره] ماؤه، وسدته من تلويحه غشاؤه، فهى كاللائى المكنونة فى الصدف، والألوار المحبوبة فى السدف؛ يبرية القشور، ذرية الظهور، فضية الكسور؛ قد كستها الطبيعة جوهر كالثوبى المحب، وروها كالسباح المثير .

- (١) فى الأصل: (الاحراف) وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا كما فى صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤١ .
(٢) فى الأصل: (المقاب) وفيه قصص وتحريف، والصواب من صبح الأعشى .
(٣) الصبر: البرد . (٤) الزيادة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ ط يولاق .
(٥) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصم بن الحرون من أهل بغداد .
(٦) التكلة من صبح الأعشى ج ٢ ص ٢٤٢ ط دار الكتب المصرية . (٧) السدف محرّكة: غلبة الليل . (٨) فى الأصل: (وفرند الهياج) الخ . وهو تحريف إذ لم نجد من معاني الفرند ما يناسب السياق؛ وما أثبتناه من صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ (٩) المثير كعظم: الملم الملم .

ومن تكلب لأبي الخطاطب الصابي — يصف فيه أقلاما أحداها في جملة أصناف — جاء منه :

وأضفتُ إليها أقلاما سليمةً من المعايير، مبرأةً من المثالب ؛ جمّة المحاسن
بعيدةً عن المطاعن ؛ لم يُربها طول ولا قصر ، ولم ينقصها ضعف ولا خور ؛
ولم يشبها لين ولا رخاوة ، ولم يعبها كرازة ولا قساوة ؛ فهذه آخذةٌ بالفضائل من
جميع جهاتها ، مستوفيةٌ للمدح بسائر صفاتها ؛ صلبةٌ للعاجم ، لينةٌ المقاطع ؛ موفيةٌ القدود
والألوان ، محمودةٌ المتغير والبيان ؛ قد أستوى في الملاسة خارجها وداخلها ، وتناسب
في السلاسة عاليها وسافلها ؛ نبتت بين الشمس والظل ، وأختلف عليها الحر والقر ؛
فلتضحها وقدانُ المواسم ، وسفعتها [مماثم] شهر ناجر ؛ ووقتها الشفان بصريده ، وقذفها
الغمام يبرده ؛ وصابتها الأنواء بصيبتها ، وأستهلت عليها السحاب بشايدها ؛ فاستقرت
مرائرها على إحكام ، وأستحصد بظلمها بالإبرام ؛ جاءت شتى الشيات ، متفايرة
المحيثات ، متباينة الحال والبُلدان ؛ تختلف بتباعد ديارها ، وتأنف بكرم نيجارها ؛ فن
أنا يديب ناصبت رماح الخط في أجناسها ، وشاكلت الذهب في ألوانها ، وضاهت

(١) الكرازة والكروزة بضم الكاف في الأخيرة : اليوس والاقباش .

(٢) في صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٢ : (وهي آخذة) وله أنب .

(٣) في الأصل : (فلاجلها) والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه اللفظ .

(٤) التكلة عن صبح الأعشى .

(٥) كل شهر في صميم المراسم ناجر ، لأن الأيل تغير فيه ، أي يشك طعمها حتى تيس جلودها .

(٦) الشفان : الريح الباردة مع الحر . والسردي : البرد ، وهو قارص مريب .

(٧) واحده شوبوب : وهو الغففة من الحر .

(٨) الخيال المنفردة على أكثر من طاعة ، واحده مرر ومريرة . شبه بها القصة في استحكامها وقوتها .

(٩) هو الحياض الذي يغتل على عزة واحدة . والإبرام : خلة على طائفتين .

(١٠) مخطة الألوان والقروش .

الحرير لمعانها ؛ بطيئة الخفا ؛ نمرة القوي ؛ لا يُسْطِها القَطْ ، ولا يُسْعَثُ بها الخط ؛
ومن مصرقة بيض ، كأنها [قباطى مصرقاء ، وغرقى البيض صفاء ؛ غذاها الصعيد من
ثراه بله] وسقاها النيل من نيمه وصذبه ؛ بجاءت ملتزمة الأجزاء ، سليمة من الاكواء ؛
تستقيم شقوقها في أطوالها ، ولا تنكب عن يمينها ولا شمالها ؛ تحقن بها صفراء كأنها
معها عَيانُ قُرْنٍ بُلْجَيْن ، أو ورقٌ خلط بعَيْن ؛ تحتال في صُفر ملاحفها ، وتيس
في مُذهب مطارفها ؛ بلون غياب الشمس ، وصبح ثياب الورس ، ومن منقوشة
تروق العين ، وتوثق النفس ؛ ويهدى حسنها الأريجحة إلى القلوب ، ويحل الطرب
لها حبة الحكيم اللبيب ؛ كأنها أختلاف الزهر اللامع ، وأصناف الثمر البائع ؛
[ومن بحرية موشة اللبط (٩) راقمة التخليط ، كأق داخلها قطرة دم ، أو حاشية رداء (١٠)]

- (١) في الأصل وفي صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٤٣ : (مضايلة) وهو غلط من التامع ولا معنى له
والتصريب عن زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحانية . (٢) في زهر الآداب : «قوية» .
(٣) في الأصل : «يشيلها» وهو تحريف ، ولم زمن معانيه ما يناسب المقام . والتصريب من
زهر الآداب . (٤) يشعث : يفرق ويتشر . وبإشارة زهر الآداب ج ٢ ص ٢٠٧ ط الرحانية
«ولا يشعب» بالباء الموحدة ، والمعنى يستقيم على كلتا الرايتين . (٥) الزيادة عن صبح الأعشى .
١٥ والقباطى بضم القاف وضحا : ثياب رقيقة بيضاء تصنع في مصر . واحدة قبطة بضم القاف . والفرقى كقريج
والفرقى : القشرة الملتزمة بياض البيض ، أو هو البياض القى يؤكل . (٦) العيان بالكسر :
ذهب ينت في الأرض وليس مما يستدب من المجارة ، أو هو الذهب الخالص . واليمين بفتح الهمزة :
الفضة مادامت في تراب مدنها ، وهو مصفر لا يكبر له كالزباد . والورق : الدرهم المضروبة ، وفيه لغات :
تكتب الزاد ، وتكمل وكفقل . والعين : الديار . (٧) المطارف : الأودية من الخورفات
الأطلام ، وأحدة مطرف . (٨) الورس : شيء أصفر يخرج على الرمث من آثار الصيف
٢٠ وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه . أو هو نبات كالسمسم يزوع فيق عشرين في الأرض ، فإذا جف
حت إدراكه تمتعت تراخله فيفض فيفض منه الورس .
(٩) الزيادة عن صبح الأعشى . واللبط بالكسر : قشر القصب ، واحدة لبط ، أو هو الورق .
(١٠) في صبح الأعشى : «التخليط» والمعنى يستقيم على كل من الرايتين .

مَعْلَمٌ، وَكَانَتْ خَارِجَهَا أَرْقَمٌ، أَوْ مَتْنٌ وَادُّ مَقْعٌ، كَثُرَتْ أَلْوَانُهُ تُرْدَى بِوَرْدِ الْخُدُودِ، وَأُبْدَتْ قَامَاتٌ تَفْصِيحُ بَأَوْدِ الْقُدُودِ .

وقد أكثر الشعراء القول في وصف القلم، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :
 لك القلم الأعلى الذي بَسْبَاته * تصاب من الأمر الكُفَى والمفاصلُ
 تُصاب الأفاعي القاتلات لُصَابُهُ * وَأَرَى الْجَنَى أَشَارَتَهُ أَيْدٍ حَوَاسِلُ
 لَهُ رَيْقَةٌ طُلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا * بَاتَارَهُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِلُ
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ * وَأَعْيِمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
 إِذَا مَا اسْتَعْلَى الْجَمْسَ اللَّطِيفَ وَأَفْرِغْتَ * عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
 أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقِنَا وَهَوَّضَتْ * لِنَجْوَاهُ تَقْوِيصَ الْإِلِيمِ الْجَافِلُ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ النَّحْنَ الْجَلَى وَأَقْبَلَتْ * أَطَالِيهِ فِي الْقُرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 وَقَدْ رَفَدْتَهُ الْخَنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ * ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَثَامِلُ
 رَأَيْتُ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مَرَهَفٌ * ضَبَّتِي وَمِمْنَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ
 وقال آخر :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب * ثم استمقوا بها ماءَ المنياتِ
 نالوا بها من أعادهم وإن بُسِدُوا * ما لم ينالوا بحمدِ المَشْرِفَاتِ .
 وقال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فَكَّ يَجْرَى بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ
 خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُّ قُرْطًا * مَسَا كَمَا قَبْلَ الْبَسَاطِ شَكُورُ

(١) الأرى : عمل النحل ، وأصله عمل النمل للسل ، وصي به الشهد كما صي المكروب كبا .

واشتارته : استخرجه من الوقية . (٢) هي ما عظم من سواق الأودية ، واحدة شعبة .

(٣) كذا في الأصل . وفي رواية : (الذكى) والمعنى يستقيم على كلا الرايين .

(٤) في أدب الكاتب ص ٨٠ ط البقعة : «ويبدو» .

ولطيف المعنى جليل نحيف * وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا * كم حنّ وعيش تغم تلك السطور
نقشت بالدهج نهارا فما أدري أخط فيهن أم تصوير^(١)

وقال محمد بن علي :

- في كفه صارم لانت مضاربه * يسومنا رعبا إن شاء أورعها
السيف والرج خدام له أبدا * لا يلطان له جندا ولا لعبا
تجري دماء الأعدا بين أسطوره * ولا يحس له صوت إذا ضربا
فما رأيت مدادا قبل ذاك دما * ولا رأيت حساما قبل ذا قصبا
وقال ابن الرومي :

- ١٠ لعمرك ما السيف سيف الكمي * بأخوف من قلم الكاتب
له شاهد إن تأملت * ظهرت حل سره الغائب
أداة الميتة في جانيه * فين مثله رهبة الراهب
ألم ترفي صدره كالستان * وفي الردف كالمرهف القاضب؟
وقال الرقاء :

- ١٥ أنحوس بينيك بإطراقه * عن كل ما شئت من الأمر
يلدري حل قرطاسه دمه * يبدى لنا السر وما يلدري
كعاشق أخفى هواه وقد * نمت عليه صبرة تجرى
تبصره في كل أحواله * غريان يكسوا الناس أو يعري
يرى أميرا في دواة وقد * أطلق أنواما من الأمر

(١) صوابه، نسبة هذه الأبيات إلى أبي بكر محمد بن يحيى الصولي، وهي من قصيدة وجه بها إلى أبي علي محمد بن علي كافي أدب الكتاب ص ٨٠ ط السلفية .

(٢) هو أبو الحسن السري بن أحمد بن السري الكنتلي الرقا. الموصّل الشاعر المعروف .

وقال آخر :

وذى صفاف رآك ساجد * أخو صلاح دمه جارى
ملازم الخيمس لأوقاتها * يجتهد فى خدمة البارى

وقال ابن الرومى :

٥. إن ينجذم القلم^(١) السيْف الذى خضعت * له الرقابُ ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شئٌ يغالبه * مازال يتبع ما يجرى به القلم
كذا قضى الله للأقلام مذبْرِيَّت * أن السيوف لها مذارِهفت خَدم

وقال أبو الطيب الأزدى :

١٠. قلمٌ قلمٌ أنظفار المدى * وهو كالإصبع مقصوص الظفر
أشبه الحية حتى أنه * كلما عُمر فى الأيدى قَصُر

وقال أبو الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسمر طاولى الكشج أنرس ناطق * له زَمَلان فى بطون المَهارق.



[ذكر ما يحتاج الكاتب الى معرفته من الأمور الكلية^(٣)

قال شهاب الدين أبو النناء محمود بن سليمان الحلبي فى كتابه «حسن التوسل»

١٥. فأقول مايدأ به من ذلك حفظُ كتاب الله تعالى، ومداومةُ قراءته، وملازمةُ درسه

(١) فى الأصل : (إن ينجذم السيْف القلم) وهو ضم مستقيم الوزن .

(٢) اترلان بفتح أوله وثانيه : شئى القاباة أرعدوها كأنها تنطق من النشاط ، استناره القلم .

والجهاق : الصفف ، واحده مهرق يضم الميم ، وهو مجزب .

(٣) هذه التكلّة المحصورة بين مريين لم ترد بالأصل ، وميد مراجعة هذا الكلام فى مثله رأينا أنه

٢٠. منقول عن كتاب «حسن التوسل» فأثبتناه هنا ما لا يستقيم الكلام بدونه ، والظاهر من قوله فياسأتى :

قال فهذه أمور كلية الخ ، وقوله : وذكر فى كتابه جلا الخ أنه به على هذا النقل فى أوله .

وتدبر معانيه حتى لا يزال مصوراً في فكره ، دائراً على لسانه ، تمثلاً في قلبه ، ذا كرامه في كل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر الى اقامة الأدلة القاطعة به عليها ؛ وكفى بذلك معينا له في قصده ، ومعنياً له عن غيره ، قال الله تعالى : ﴿ مَا فُوتَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛

- وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه ، وبجزء الإنس والجن عن الاتيان بسورة من مثله ؛

ومن ذلك أن ساءلاً قال لبعض العلماء : أين تجد في كتاب الله تعالى قولهم : الجار قبل الدار ؟ قال : في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فطَلَبَ الجار قبل الدار ، ونظائر ذلك كثيرة . وأين قول العرب : « القتلُ أغنى للقتل » لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ، واكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحول عن لفظه ، ولم يغير معناه .

- فمن ذلك ما روي في عهد أبي بكر رضي الله عنه : هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، إلى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك ظني به ، وإن جار وبدل فلا ظن لي بالنبي ، والخير أردت بكم ، ولكل امرئ ما اكتسب من الإثم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال للخيرة بن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية : ﴿ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصِيدًا ﴾ .

وكتب في آخر كتاب الى معاوية : وقد علمت مواقع سيوفنا في جندك وخالك وأخيك (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ) .

وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية : (وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . -

• وكتب الحسن الى معاوية : أما بعد ، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ورسولا الى الناس أجمعين (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر كتاب لما حاربته : (طَسَمْتُ لَكَ الْكَلْبَ الْمَيِّنَ تَتَلَوُ عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنُ) الى قوله : (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَرُونَ) . وقصص عليه المنصور في جوابه عن قوله : «إنه

ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم» بقوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) .
وقيل عن الحسن البصري رحمه الله ما يدل على كراهية ذلك ، فقال حين بلغه

أن الجحاج أنكر على رجل استشهد بآية : أَلَيْسَ نَفْسُهُ حِينَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ : بَلَنِي أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَطَسَ فَشَمْتُهُ مِنْ حَضْرَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) ؟ وإذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره

على الجحاج لأنه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز أن يستشهد به إلا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى : (وَمَنْ أَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) . وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَانُ) . ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله سبحانه وتعالى .

• ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وأرغام الخصم كما روى أن الجحاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين رضي الله عنه من ذرية

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى على ذلك بشاهد من كتب الله عز وجل، وإلا قتلك، فقرأ : (وَبَلَّغْ نَجَاتَ آبَائِنَا إِبرَاهِيمَ) إلى قوله : (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَذِكْرًا وَيْحِي وَيَعِيسَى) ويعيسى هو ابن بنته، فأسكت الخجاج. وقد تقوم الآية الواحدة المشتبه بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة، والأدلة القاطعة ؛

وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب إلى بغداد كتاباً يعتد فيه موافقه في إقامة دعوة بنى العباس بمصر، فكتب جوابه بهذه الآية : (يَعْتُونَ طَيْبَكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَعْتُونَا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [

- ١٠ وكتب أمير المساميين يعقوب بن عبد المؤمن إلى الأذقوش ملك الفرنج جواباً عن كتابه إليه — وكان قد أبرق وأرعد فكتب في أطلاله — :

(إِزْجِعِ الْيَوْمَ فَلَنَأَيِّدَنَّهُمْ بِمُنُوْدٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)

ومما جاوزوا الاستشهاد به ما لا يقصد به إلا التلويح إلى الآية دون أفراد الكلام نحو قول القاضي الفاضل مما كتب به إلى الخليفة عن الملك الناصر صلاح الدين في الاستصراخ [وتحويل أمر الفرنج] : (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي) وهامى في سبيلك مبينوله، وأتى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة . وأما تفسير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز، وينبغي العدل عنه ما أمكن .

ويتلوه ذلك الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية — صلوات الله وسلامه على قائمها — وخصوصاً في السير والمنازى والأحكام، والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها

- ٢٠ (١) في الأصل : «الأذقوش» وهو تصغير، والتصويب من وفيات الأعيان .
(٢) الزيادة عن حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الوهابية .

وقفه ما لا بد من معرفته من أحكامها، ليخرج بها في مكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص سُلّم له، والفصاحة إذا طُلبت غايَتها فإنها بعد كُتب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم. وينبغي أن يراعى في الحلّ لفظ الحديث ما أمكن، وإلا فعناه.

- ويتلوه ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفته العربية، فإنه لو أتى الكاتب من البلاغة بأنّ ما يكون ولحن ذهب محاسن ما أتى به وانهدمت طبقة كلامه، وألغى جميع [ما حسنه]، ووقف به عند ما جهله.
- ويتعلّق بذلك [قراءة] ما يتبها من مختصرات اللغة، كالقصيح، وكفاية المصنف وغير ذلك من كتب الألفاظ لتسع عليه مجال العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيحتاج إلى وصفه، ويضطر إلى فته.

- ويتعلّل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصبابة وغيرهم، وخطاباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم ومكاتباتهم، وما أدعاه كلّ منهم لنفسه أو لقومه، وما قضيه عليه خصمه، لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها، وتلقّي الحوادث بما شاكلها والافتقار بطريقة من تلجّ على خصمه، واقتفاء آثار من اضطر إلى عنده، أو إبطال دعوى أو إثباتها، والأجوبة الدامغة لتأمله في موضعه فإنك ستقف منه على ما استغنى به عن ذلك.

(١) كذا في الأصل. ريادة حسن التوسل ص ٤ ط المطبعة الرومانية : «بمكان» الخ مع إسقاط قوله : «يا» ولها أقرب بقرينة ما بعدها.

(٢) موضع هذه العبارة مطبوع بالأصل تحت قراءته، وما قلناه عن حسن التوسل.

(٣) الزيادة من حسن التوسل.

(٤) في الأصل : «عما» وما أثبتناه من حسن التوسل.

(٥) تلج : ظفر، وبابه تصرو ضرب.

- ثم النظر في أيام العرب ووقائعهم وحروبهم ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم في ذلك من الأشعار والمنافسات ، لما في ذلك من العلم بما يُستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكتبة من ذكر يوم مشهوراً ، أو فارساً معيناً . وسند كذلك إن شاء الله تعالى في فن التاريخ على ما ستقف عليه ؛ فإن صاحب هذه الصناعة إذا لم يكن عارفاً بأيام العرب ، طاماً بما جرى فيها لم يدرك كيف يجب عملاً^(١) يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا مثل منها ، وحسبه ذلك قصداً في صناعته وقصوراً .

- ثم النظر في التواريخ ومعرفة أخبار الدول ، لما في ذلك من الإطلاع على سير الملوك وسياساتهم ، وذكروقاتهم ومكائدهم في حروبهم ، وما أتفق لهم من التجارب ؛ فإن الكاتب قد يضطر إلى السؤال عن أحوال من سلف ، أو يرد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها ، أو يحتاج إليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ؛ وقد أوردنا في فن التاريخ ما لا يحتاج الكاتب معه إلى غيره من هذا الفن .

- ثم حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها ، واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها ، كالحماسة ، والمفضليات ، والأسمعيات ، وديوان المذللين ، وما أشبه ذلك ، لما في ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، والأطلاع على أصول اللغة ، ونوادير العربية ؛ وقد كان الصدر الأول يمتنون بذلك غاية الاعتناء ، وقد حكى أن الإمام الشافعي رحمه الله كان يحفظ ديوان هذيل ، فلذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه مهل عليه حله ، وظهرت له مواضع

(١٢)

- (١) في الأصل : (ما) وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تخفيه اللغة .
(٢) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعل قوله : « بها » زيادة من النسخ . وعبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب المصرية : (وما توفرت دراعي العلماء بها على اختياره) ولعلها أظهر .

الاستشهاد به، وساقه الكلام إلى إبراز ما في ذخيرة حفظه منه، ووضع في مكانه وقوله في الاستشهاد والتضمين إلى ما كأنه وضع له، كما اتفق للقاضي أبي بكر الأرجاني^(١) في تضمين أنصاف أبيات العرب في بعض قصائده، فقال :

وأهد إلى الوزير المذبح يجعل * «لك المرباع^(٢) منها والصفايا»
ورافق رفقة حلوا إليه * «قَابُوا^(٣) بالباب والسبايا»
وقبل للراجلين إلى ذراه * «السم خير من ركب المطايا»^(٤)
ولا تسلك سوى طرق فإني * «أنا ابن جلا وطلاع الثنايا»^(٥)

وقال بديع الزمان المهناني :

أنا قريب دار مولاي * «كما طرب النشوان مالت به الخمر» ومن آلا رتيح إلى لقائه * «كما أنتفض الصفود بلله القطر» ومن الأمتراج بولائه * «كما ألتقت الصبياء والبارد العذب» ومن الأبتهاج بمزاره * «كما اهترتحت البارح^(٦) النصن الرطب» .
وكما قال ابن القرطبي وغيره في رسالهم على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) هذه كتيبه، واسم: أحمد بن محمد بن الحسين .

(٢) في الأصل : «المرباع» بدون ميم، وفيه قصص، والتصويب من اللسان . والمرباع : ما يأخذه الرئيس، وهو ربيع الفتيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس منها . وقوله : لك المرباع الخ صدرية، وتعامه : «وحبكك والنشيطه والقشور» . والنشيطه : ما أصاب الرئيس من الفتيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحى .
(٣) قوله : قَابُوا هو صدرية لعمرو بن كلثوم، وتعامه : «وأبنا بالملك مصفدينا» .
(٤) هو صدرية بمرمر من قصيدة يطلع بها عبد الملك بن مروان، وتعامه : «وأندى الماين بطون راح» .

(٥) قوله : أنا ابن جلا الخ، تمام البيت : «متى أضع الهامة تعرفوني» ، وقاعه صميم بن وثيل .
أنظر شرح شواهد الماين المحفوظه منه نسخة بخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ م .

(٦) الباج : الرمح الشديدة .

وكذلك حفظُ جانبٍ جيّدٍ من شعر المحدثين ، كأبي تمامٍ ومسلمِ
ابن الوليد والبُحرى وابن الرومى والمتنبي ، للطف ما أخذهم ، ودورانِ الصنعة
في كلامهم ، ودقّة توليد المعاني في أشعارهم ، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة
والكتابة .

- وكذلك النظرُ في رسائل المتقّمين دون حفظها لما في النظر فيها من
تنقيح القريحة ، وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء
بطريقة المحسن ، واستدراك ما فات القاصر ، والاحتراز بما أظهره النقد ، وردّ ما بهرجه
السيك ، فأما النهم عن حفظ ذلك فلئلا يتكل الخاطر على ما في حاصله ، ويستند
الفكر إلى ما في مودعه ، ويكتفى بما ليس له ، ويتلّسّ بما لم يعبأ "كلايس ثوبى زور" ،
وأما من قصد المحاضرة بذلك دون الإنشاء فالأحسن به حفظ ذلك وأمثاله .

- ١٠ • وكذلك النظرُ في كتب الأمثال الواردة عن العرب نظماً ونثراً
كأمثال المبدائي والمفضل بن سامة الضبي وجمرة الأصماني وغيرهم ، وأمثال المحدثين
الواردة في أشعارهم ، كأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي ، وأمثال المؤلّدين ، وقد أوردنا
من ذلك في باب الأمثال جملاً .

- ١٠ • وكذلك النظرُ في الأحكام السلطانية ، فإنه قد يامر بأمر فيعرف
منها كيف يخلص قلبه على حكم الشريعة المطهرة من تولية القضاء والحسبة وغير ذلك ،
وقد قلنا في هذا الكتاب من ذلك طرفاً جيّداً . قل : فهذه أمور كلية لا بدّ للترغّم
لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها ، والإكباب على مطالعتها ، والاستكثار منها

(١) في الأصل : «قال» وهو تحريف ، والصواب عن حسن التوصل .

ليُفِيحَ من تلك المواد، وليسلكَ في الوصول إلى صناعته تلك الجواهر، وإلا فليعلم أنه في وادٍ والكاتب في وادٍ .

قال : وأما الأمور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره، ويزين العلم بها نظمته وقته، فإنها من المكَلَّات لهذا الفن وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذهن الناقص، والطبع السليم، والفرجة المطاوعة، والفكرة المتقنة، والبديهة الخبيبة، والروية المتصرفية، لكن العالم بها متمكن من أزيمة المعاني، يقول عن علم، ويتصرف عن معرفة، ويتعبد بصحة، ويختبر بدليل، ويستحسن برهان، ويصوغ الكلام بترتيب، فمن ذلك علم المعاني والبيان والبديع، والكتب المؤلفة في إعجاز الكتاب العزيز، ككتب الجرجاني والرقماني والإمام نفي الدين السكاكي والخفاجي وآب الأثير وغيرهم؛ وذكر في كتابه جُملاً بهذه المعاني [وأورد أيضاً أموراً أخرى تتصل بذلك من خصائص] الكتابة (١٠) وهي الاقتباس والاستشهاد والحل، وأتى على ذلك بشواهد وأمثلة، وسأذكر في هذا الكتاب ملخص ما أورده في ذلك باختصار وزيادة عليه .

فأما علوم المعاني والبيان والبديع، فمنها : ذكر الفصاحة، والبلاغة والحقيقة والمجاز، والتشبيه والاستمارة، والكتابة، والخبر وأحكامه، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف والإضمار، ومباحث إق وأتم، والنظم والتجنيص، والطباق، والمقابلة، والسجع، وردّ العجز على الصدر، والإعنائ (١٥) (١) واحدة جاذة، وهي وسط الطريق وسطه .

(٢) موضع هذه العبارة مطبوس بالأصل ثم ذكر قراءته، ولعل ما أئبته مكالها يوافق الفرض الذي أرادته ويتناسب مع سابق الكلام ولا حقه .

(٣) في الأصل : «واختصار» والباقي يقتضي الباء إذ لا يستقيم السلف هنا .

(٤) في الأصل : «من» وما أئبته هو الموقوف في كتب البلاغة .

(٥) في الأصل : «والإعناق» بالفتح . وهو تعريف، والصواب من ضمن التوسل .

- والمنهـب الكلامي، وحسن التعليـل، والالتفات، والتعام، والاستطراد، وتأكيـد
المدح بما يشبه الثم، وتأكيـد الذم بما يشبه المدح، وتجاهل العاريف، والهزل
الذي يراد به الحذ، والكثايت، والمبالغة، وإعتاب المرء نفسه، وحسن التضمين
والتاميج، وإرسال المشـل، وإرسال مثليـن، والكلام الجامع، وألف والنـير
والتفسير، والتعديـد— ويسمى سياقة الأعداد— وتنسيق الصفات، والإيهام— ويقال
له : التورية — والتخيـل، وحسن الابتداءات، وبراعة التخليص، وبراعة الطلب
وبراعة المقطع، والسؤال والجواب، وصحة الأقسام، والتوشيح، والإيفال، والإشارة
والتذليل، والترديد، والتفويـف، والتسهم، والاستخدام، والعكس، والتبديل
والرجوع، والتغاير، والطاعة والعصيان، والتسميط، والنشطير، والتطرين، والتوشيح
والإغراق، والغلو، والقسم، والاستدراك، والمؤثقة والمختلفة، والتفريق المفرد
والجمع مع التفريق، والتقسيم المفرد، والجمع مع التقسيم، والتراوج، والسلب والإيجاب
والأطراد، والتجريد، والتكـيل، والمناسبة، والتفريع، وفي الشئ بإيماءه
والإبداع، والإدماج، وسلامة الاختراع، وحسن الاتباع، والتم في معرض المدح
والعنوان، والإيضاح، والتشكيك، والقول بالموجب، والقلب، والتنديـد، والإحـمال
بعد المغالطة، والافتتان، والإيهام، وحصر الجزئـ وإحـافه بالكلـ، والمقارنة
والإبداع، والألفصاـل، والتصرف، والاستدراك، والتهمك، والتدبيـج، والموجه
وتشابه الأطراف . هذا مجموع ما أورده منها، واستشهد عليه بأدلة، وأورد أمثلة
سنشرح منها ما يكفى به اللبيب، ويستغنى به اللبيب .

(١) في الأصل : «الإبداع» بالباء الموسدة، والتصويب عن حسن التومل .

(٢) في الأصل : «والاستهاد» وما أبتناه أول باليق .

(٣) كذا في الأصل، وهو مكرر مع ما قبله، ولعل صوابه : «الأريب» .

أما الفصاحة والبلاغة، فمقدّم الكلام فيهما في أول الباب، فلا فائدة في إعادته .

وأما الحقيقة والحجاز — فالحقيقة في اللغة فعيلة بمعنى مفعولة، من حقّ الأمر يحقّه بمعنى أثبتّه، أو من حققته إذا كنتّ منه على يقين . والحجاز من جاز الشيء يجوزّه إذا تعدّاه، فإذا جِلّ باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجازٌ على أنهم قد جازوا به موضعه الأصلي، أو جازوه مكانه الذي وُضع فيه أولاً، لأنه ليس بموضع أصليّ لهذا اللفظ . ولكنّه مجازه وتعدّاه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعدّاه [إلى] مكانه الأصلي . ولها حدود في المفرد والجملة، فحدهما في المفرد : أن كل كلمة أريد بها ما وضعت له فهي حقيقة، كالأسد للحيوان المفترس، واليد للجارحة ونحو ذلك . وإن أريد بها غيره لمناسبة بينهما فهي مجاز، كالأسد للزجل الشجاع واليد للنعمة أو للقوة، فإن النعمة تُعطى باليد، والقوة تظهر بكاملها في اليد، وحدهما في الجملة : أن كلّ جملة كان الحكم الذي دلّت عليه كما هو في العقل فهي حقيقة كقولنا : خلق الله الخلق؛ وكلّ جملة أُخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقل بضرب من التأويل فهي مجاز، كما إذا أُضيف الفعل إلى شيء يضاهي الفاعل، كالفعول به في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ و ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾؛ أو المصدر، كقولهم : شِعْرٌ شامِرٌ، أو الزمان، كقول النعمان بن بشير لمعاوية :
* وَلَيْكَ عَمَّا نَابَ قَوْمُكَ نَائِمٌ * ؛

أو المكان، كقولك : طريق سائر؛ أو السبب، كقولهم : بنى الأمير المدينة؛ أو السبب، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَأْتَهُمْ إِيمَانًا ﴾ . فحجاز المفرد

- لقوى، ويسمى مجازاً في المثبت، ومجاز الجمله عقل، ويسمى مجازاً في الإثبات.
- قال : فالمجاز قد يكون في الإثبات وحده، وهو أن يُضيف الفعل إلى غير الفاعل الحقيقى كما ذكرناه، وقد يكون في المثبت وحده، كقوله تعالى : ﴿فَاحْيِينَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ جعل خُضرة الأرض ونَضرتها حياة، وقد يكون فيهما جميعاً، كقولك : أحييتى رؤيتك، تريد مرتضى، فقد جعلت المِرة حياة وهو مجاز في المثبت .
- وأستنبأ إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات .

قال : وأعلم أنهم تعرّضوا في اعتبار كون اللفظ مجازاً إلى اعتبار شيئين :

- الأول أن يكون منقولاً عن معنى وُضع اللفظ بإزائه ، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك .
- الثانى أن يكون هذا النقل لمناسبة بينهما، فلا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز إذ ليس قلها لتماق نسبة [بين] المنقول عنه ومن له العلم، وإذا تحقق الشرطان سمى مجازاً، وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد، لما بين اليد وبينهما من التعاق وكما قالوا : رعبنا الفيت، يريدون التبت الذى الفيت سببه، وصا بقنا السماء، يريدون المطر، وأشباه ذلك ونظائره .
- وأما التشبيه — فهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة فى الأسد، والتور فى الشمس . وهو ركن من أركان البلاغة لإخراجها الخفى إلى الجلى، وإدناؤه البعيد من القريب . وهو حكم إضافي لا يوجد إلا بين الشيئين بخلاف الاستمارة .

(١) فى الأصل : «حيلة» وهو محريف موايه ما أتينا .

(٢) الزيادة عن حسن التمرسل ، والسابق يقتضيا .

ثم التشبيه على أربعة أقسام: تشبيه محسوس [بمحسوس] ، وتشبيه معقول^(١)
[بمعقول] ، وتشبيه معقول بمحسوس ، وتشبيه محسوس بمعقول .^(٢)

فأما تشبيه محسوس بمحسوس فلاشتراكهما إما في المحسوسات
الأولى : وهي مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، كتشبيه الخلد بالورد
والوجه بالنهار ، [وأعطيت الرجل بأصوات التفرار] ^(٣) والقواكه الحلوة بالسكر والعسل
ورائحة بعض الرايين بالمسك والكافور ، واللبن الناعم بالحبر ، والخشيش بالمسح .^(٤)
أوفي المحسوسات الثانية : وهي الأشكال المستقيمة والمستديرة ، والمقادير ، والحركات
كتشبيه المستوى المتصيب بالزح ، والقد اللطيف بالنفص ، والشيء المستدير بالكرة
والحلقة ، والعظم الجثة بالجبل ، والذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم . أوفي الكيفيات
الجسمانية ، كالصلابة والرخاوة . أوفي الكيفيات النفسانية ، كالغرائز والأخلاق .
أوفي سائر إضافية ، كقولك : هذه حجة كالشمس ، وألفاظ كالماء في السلاسة
والتسليم في الرقة ، وكالمسل في الحلاوة . وربما كان التشبيه بوجه عقلي ، كقول
فاطمة بنت الخرشب الأمارية حين وصفت بنها الكلمة فقالت : هم كالحلقة المفترقة
لا يدرى أين طرفاها .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الوجود العاوي عن الفوائد^{١٥}
بالعدم ، وتشبيه الفوائد التي تبقى بعد عدم الشيء بالوجود ، كقول الشاعر :

رب حى كيت ليس فيه • أمل يرمى لنفع وضر

وعظام تحت التراب وفوق الأرض منها آثار حمى وشكر^(٥)

(١) التكة عن حسن التوسل ، وصحة التقسيم تقتضى إيجابها . (٢) التكة عن حسن التوسل
والمقام يقتضى إيجابها . (٣) التكة عن حسن التوسل . (٤) المسح بالكسر : الكساء . من
الشعر : جمه أساح ومسح . (٥) في الأصل : «البائة» وهو محريف . (٦) في الأصل :
«منها حمد» والتكة عن حسن التوسل ربما يستقيم البيت .

وأما تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَمَادٍ اشْتَلَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ .

- وأما تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز ، لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ، ولذلك قيل : من فقد حساً فقد علماً ، فإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً والأصل فرعا .
 • ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك^(١) بالنقاء فقال : الشمس كالنجمة في الظهور ، والمسك كالثناء في الطيب ، كان ذلك سخفاً من القول فأما ما جاء في الشعر من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه أن يقتدر المعقول محسوساً ، ويُعمل كالأصل المحسوس على طريق المبالغة ، فيصح التشبيه جيداً وذلك كما قال الشاعر :

وكانَ النجوم بين دجاها * سُنُّ لَاحٍ يَنْهَنُ أَبْتِدَاعَ

- فإنه لما شاع وصف السنة بالبياض والإشراق ، واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق^(٢) بالظلمة فخيّل الشاعر أن السنن كأنها من الأجناس التي لها إشراق ونور ، وأن البدع نوع من الأنواع التي لها اختصاص بالسواد والظلمة ، فصار ذلك كتشبيه محسوس بمحسوس ، فجاز له التشبيه ، وهو لا يتم إلا بتخيّل ما ليس بمتلوّز [متلوّزاً]^(٣) ثم يتخيّله أصلاً فيشبهه به ، وهذا هو الذي تُؤوّل في قول أبي طالب الرقيّ :

- (١) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . وهو غير مستقيم كما لا يخفى ، ولعل صواب العبارة : « والمسك بالطيب » فإن المسك إنما يوصف به لا بالثناء ، وفي الجملة قبلها وفي ما يأتي من التمثيل ما يؤيده .
 (٢) في الأصل : « ويعمل المعقول محسوساً » وهو مكرّم ما قبله ، وتصويب العبارة عن حسن التوسل .
 (٣) في الأصل : « كالظلمة » وهو تحريف ، والتصويب عن حسن التوسل .
 (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يتم المعنى بدونها .

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشيق

فإنه لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كما يقال :
 أسودت الدنيا في عينه ، جعل يوم النوى كأنه أشهر بالسواد من الظلام ، فمزته به
 وشبهه ، ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشيق لأق من لم يعشيق عندهم قاسى القلب
 والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فأقامه أصلا ، فقس على هذا المثال . قال :
 وأعلم أن ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانساب إلى شيء ، وذلك إما إلى المفعول به
 كقولهم : "أخذ القوس بارحاً" وإلى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجاز والمجرور
 كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد : "كالراقيم على الماء" وإما إلى الحال ، كقولهم :
 "كالخادى وليس له بعير" وإما إلى المفعول والجاز والمجرور معا ، كقولهم : "هو
 كمن يجمع السيفين في غمد" و "كبتنى الصيد في عرينة الأسد" ، ومن ذلك قوله
 تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَارِ يَجْلُ أَسْفَارًا﴾ فإن التشبيه
 لم يحصل من مجرد الجمل ، بل لأمرين آخرين ، لأن الفرض توجيه اللوم إلى من
 أئتم نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا يتفجع به لجهله ، وكقول لبيد :
 وما الناس إلا كالديار وأهلها * بها يوم سألوها وقدوا بلاقع

فإنه لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم بحلول
 أهل الديار فيها ، ووشك رحيلهم منها . قال : وكلما كانت القييدات أكثر كان
 التشبيه أَوْضَحَ في كونه عقليا ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ آتِزَانَةٍ مِنْ
 السَّمَاءِ فَانْطَلَقَتْ بِهَا نَبَاتُ الْأَرْضِ يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَنُ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَارِيلاً أَوْ نَارًا بَحَلَّةُنَّهَا حَصِيدًا
 كَأَن لَّمْ تَنْقُ بِالْأَمْسِ﴾ . فإن التشبيه مترعر من مجموع هذه الجمل من غير أن يمكن

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «وطادوا» وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان مادة غدا .
 وغبدا : لغة في غدا .

فصل بعضها عن بعض ، فإنك لو حذف منها جملة واحدة من أية موضع كان
أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه . قال :

ثم ما به المشابهة إن كان مرتباً فإنه على قسمين :

الأول ، لا يمكن إفراد أحد أجزائه بالذکر ، كقول القاضى التنوخي :

- كأنما المزیغ والمشتري • قدماه في شايخ الرفعه
- منصرف بالليل من دعوة • قد أخرجت قدماه شمعه

فإنك لو اقتصر على قوله : كأن المزیغ منصرف من دعوة ، أو كأن المشتري
شمعة لم يحصل ما قصده الشاعر ، فإنه إنما قصد الهيئة التي يلبسها المزیغ من كون
المشتري أمامه .

- ١٠ الثاني ما يمكن إفراده بالذکر ويكون إذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه
في طريقه إلا أن المعنى يتغير ، كقول أبى طالب الرقي :

وكان أجرام النجوم لوأما • درر تُرى على بساط أزرق

فلو قلت : كأن النجوم درر ، وكان السماء بساط أزرق ، وجدت التشبيه مقبولا
ولكن المقصود من الهيئة المشبهة بها قد زال . قال : وربما كان التشبيه في أمور

- ١٥ كثيرة لا يتقيد بعضها ببعض ، وإنما يكون مضموما بعضها إلى بعض وكل واحد
منها منفرد بنفسه ، كقولك : زيد كالأسد بأسا ، والبحر بجودا ، والسيف مضاء
والبدريهأ ، وله خاصيتان : إحداهما أنه لا يجب فيه الترتيب ، والثانية أنه إذا
سقط البعض لم يتغير حكم الباقي .

ومن المتأخرين من ذكر في التشبيه سبعة أنواع :

- ٢٠ الأول التشبيه المطلق ، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير عكس ولا تبديل
كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرًا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ وقوله تعالى :

(وله البحار المنشآت في البحر كالأعلام) وقوله تعالى: (كَانَ هُمْ عَجَازٌ يُخَلِّى حَاوِيَةً).
وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الناس كاستان المشط".

الثاني التشبيه المشروط، وهو أن يشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا، ولولا
أنه بصفة كذا، كقوله: أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تنق ميامنه
وتدم حماسه، وكقوله: وجه هو كالشمس لو لا كسوفها، والقمر لو لا خسوفه
وكقول البديع:

قد كان يحبك صوب الغيث ملسكا * لو كان طلق الحيا يطر الزها
والدهر لو لم تحن والشمس لو قطعت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وكقول الآخر^(١):

عزماته مثل النجوم ثوابا * لو لم يكن لثاقبات أقول.

الثالث تشبيه الكناية، وهو أن يشبه شيئا بشيء من غير أداة التشبيه، كقول
المتنبي:

بدت قرأ وماست حوطة بان * وفاحت عنبرا ورنث غزالا
وقول الواو^(٢) الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤا من زرج فسقت * وردا وعصت على العناب بالبد.

الرابع تشبيه التسوية، وهو أن يأخذ صفة من صفات نفسه، وصفة من
الصفات المقصودة، ويشبهها بشيء واحد، كقوله:

(١) هورثيد الدين الوطواط.

(٢) في الأصل: ألولو. وفي حسن التبريل: الواد؛ وهو تحريف في لهما، والتصويب من

شرح القاموس. والواو: قبه، واسمه محمد بن أحمد النصاب، وكنيته أبو الفرج.

صُدُعُ الحبيب وحلى * كلامها كآليل
(١١)
وتغمره في صفاء * وأدعى كالآلى.

الخامس التشبيه المعكوس، وهو أن تشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر
كقول الشاعر :

• النمر تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح نمر بمجد
فاشرب على جاميد ذوبه * ولا تبغ لذة يوم بفسد
وكقول الصاحب بن عباد :

رقق الزجاج وراقت النمر * قشائها قشاكل الأمر
فكأنه نمر ولا قلدح * وكأنه قلدح ولا نمر

• وكقول بعضهم في النثر : كم من ديم أهرقناه في البر، ونخص أهرقناه في البحر،
فأصبح البر مجرا من دوائهم، والبحر برأ بأشلائهم .

السادس تشبيه الإضمار، وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء فدل ظاهر
لفظه أن مقصوده غيره، كقول المتنبي :

ومن كنت جارا له يا علي لم يقبل الدز إلا بآرا

• فدل ظاهره على أن مقصوده الدز، وإنما غرضه تشبيه المدح بالبحر .

السابع تشبيه التفضيل، وهو أن يشبه شيئا بشيء ثم يرجع فيرتج المشبه
على المشبه به، كقوله :

حسبت جماله بدرا مضيفا * وأين البدر من ذاك الجمال

(١) في الأصل : «نوره» والتصويب عن حسن التوكل .

(٢) في الأصل : «ذا» وفيه قص، والتصويب عن حسن التوكل .

وكقول ابن هندو^(١) :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَكَ بِالْفَامِ فَا * أَنْصَفَ فِي الْحَكَمِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاكًا أَبَدًا * وَذَاكَ إِنْ جَادَ دَامَعَ الْعَيْنُ .
قَالَ : وَقَدْ تَقَلَّمَ تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ .

فَأَمَّا تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْئَيْنِ فَكَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَتَعْطَوُ بَرَحْصَ غَيْرِ شَيْئَيْنِ كَأَنَّهُ * أَسَارِجُ رَمْلِ أَوْ مَسَاوِيكُ إِخْطِيلِ .

❦

وَأَمَّا تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ فَكَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

كَأَنَّمَا يَبِيعُ عَنْ لَوْلَا * مُتَضَيِّدٌ أَوْ بَرْدٌ أَوْ أَفْلَحُ .

وَأَمَّا تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَكَأَنَّ الْقَالَ الْمَوْلَى شَهَابَ الدِّينِ أَبُو النَّثَاءِ

١٠ محمود الحلبي الكاتب :

يَفْتَرُّ طَوْسُكَ عَنْ سَطُورِ جَادَها الْفَكْرِ السَّلِيمِ بِصَوْبِ مِسْكِ أَذْفَرِ

فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ * أَوْ سَمُكٌ دَرٌّ أَوْ قِلَادَةٌ عَنْبَرِ .

وَأَمَّا تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ فَكَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ :

يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلَا رَطْبٌ وَعَنْ بَرْدٌ * وَعَنْ أَفْلَحٍ وَعَنْ طَلَعٍ وَعَنْ حَبِيبِ .

وَأَمَّا تَشْبِيهِ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فَكَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الْعَالِيَةِ رَطْبًا وَبَابَسًا * لَدَى وَكْرَهَا الْعَنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَابِلُ

١٥

(١) هكذا في نسخة الأديب. لياقوت ج ١ ص ١٦٨ ط مطبعة هندية . وفي الأصل : « بن هند » ولم تقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة وساجم الأعلام . (٢) في الأصل : « اذا » والتصويب عن حسن التوسل . (٣) تعطو : تناول . والرحص : القين الثام . والشتن : اللطيف الكو . والأساريج : درء آخر يكون في القيل والأماكن السعيدة ، تشبه بأامل النساء . والإخيل بكسر الزه : شجر من شجر المساريج . (٤) المشهور في روايته : (علي) كما في نسخة الشاعر . ونظي بفتح فسكون : اسم يلقب قريب من ذي قار ، وهو أحسن بلاد الله أساريج .

٢٠

وأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر:

لَيْلٌ وَبَدْرٌ وَغُصْنٌ * شَعْرٌ وَوَجْهٌ وَقَدْ

نَحْمَرُ وَنَزَّ وَوَرْدٌ * رَيْقٌ وَثُغْرٌ وَخَدٌ .

وأما تشبيه أربعة بأربعة فكقول امرئ القيس :

لَهُ أَجْطَلًا ظَنِي ^(١) وَسَاقًا نَمَامِي * وَإِرْخَاءُ مِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْقِيلِ

وكقول أبي نواس :

تَبَكَّى فَتَذَرَى التَّرَمْنَ نَجَسٌ * وَتَطْلِمُ السُّورِدَ بَعْنَابٌ .

وأما تشبيه خمسة بخمسة فكقول أبي الفرج الدمشقي ^(٢) :

قَالَتْ مَتَى الْبَيْنُ يَا هَذَا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّمَا غَدَا زَعَمُوا أَوْ لَا فَبَعْدَ غَدٍ

فَامْطَرْتُ لَوْلَا مَنْ نَجَسَ فَسَقْتُ * وَوَرَدَا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْهَرْدِ ١٠

وشبه قاضي القضاة نجم الدين بن البارزي سبعة أشياء بسبعة أشياء وهي :

يُقَطَّعُ بِالسَّكِينِ بِطَلِيخَةٍ ضَمِي * عَلَى طَبِيقٍ فِي مَجْلِسٍ لِأَنَّ صَاحِبَهُ

كَشَمِيسٍ يَبْرُقُ قَدْ بَدَرَا أَهْلَةً * لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ شَتَّى كَوَاكِبَهُ .

قال : والغرض من التشبيه قد يكون بيان إمكان وجود الشيء عند أدعاء

مالا لا يكون إمكانه بينا ، كقول ابن الزومى :

وَكَمْ أَبْ قَدْ عَلَا بَيْنَ ذُرَى شَرِيفٍ * كَمَا طَلَّتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدَنَاتُ

وكقول المتنبي :

إِن تَفَقَّ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ * فَإِنَّكَ الْمَسْكُ بِعَصُ دَمِ الْغَزَالِ

ر (١) واحد أَيْطَل ، وهو الخاسرة . والإرخاء : شدّة العدو . والتقريب : وضع الرجلين مكان اليدين في العدو . والتقل : ردة القلب .

٢٠

(٢) موضع هذا الاسم طلموس بالاصل ، وما أُنْتُهَاءُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

أو بيانَ مقداره ، كما إذا حاولتَ نفي الفائدةِ عن فعل إنسان قلت : هذا كالفوضى على الماء ، لأن خللوا الفعل عن الفائدة مراتبَ مختلفة في الإفراط والتفريط والوسط ، فإذا مُثِّلَ بالمحسوس عُرِفَت مرتبته ، ولذلك لو أردت الإشارة إلى تنافي الشبهين فأشرت إلى ماء وثار قلت : هذا وفذاك هل يجتمعان ؟ كان تأثيره زائداً على قولك : هل يجتمع الماء والثار ؟ وكذلك إذا قلت في وصف طول يوم : كأطول ما يتوهم ، أولاً آخره ، أو أنشدت قوله :

في ليل صُويلٍ تنأى العُرض والطول * كأنما ليـله بالليل موصول
لم تجد فيه من الأتس ما تجده في قوله :

ويوم كطلّ الرمح قصر طوله * دم الزرق عتاً واصطفق المزارع

وما ذاك إلا للتشبيه بالمحسوس ، وإلا فالأول أبلغ ، لأن طول الرمح متناهٍ وفي الأول حكمت أنه ليـله موصول بأقليل ، وكذلك لو قلت في قصر اليوم : كأنه ساعة ، أو كلبصير ، لوجدته دون قوله :

ظلفنا عند دار أبي أنيس * بيوم مشل سالفه الأذاب^(١)
وقوله :

ويوم كإيهام القطاة مُزَيْن * إلى صباه ظالب لي باطله .

قال : وقد يكون غرض التشبيه طائفاً على المشبه به ، وذلك أن تقصد على عادة التخيل أن توهم في الشيء القاصير عن نظيره أنه زائد ، فتشبه الزائد به ، كقوله :

(١) في الأصل : «رأشدت» والسياق يقتضي السلف بأوركا في حسن التوسل .

(٢) البيت لمحتج ابن حنبل المزي . ورسول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأيواف .

أشار معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٣٥ ط المدرسة المحرومة بمدينة خنتة .

(٣) في الأصل : «مه» وما أشتاء عن حسن التوسل ، إذ هو المناسب لقوله جد : (في قوله) .

(٤) السابقة : صفحة المتى ، أراد هذا المتى كله .

(١١) وبدأ الصبح كأنَّ غَرَّتَهُ * وجه الخليفة حين يَمْسَحُ

وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصبح، لأن تشبيه الوجه بالصبح أصل متفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثر، وإنما الذي يستكثر تشبيه الصبح بالوجه . قال : ثم الغرض بالتشبيه إن كان إلحاق الناقص بالزائد امتنع حكمه مع بقاء هذا الغرض، وإن كان الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل واللون صح العكس . كنشيه الصبح بغزة الفرس الأدهم لا البالغة في الضياء، بل لوقوع منير في مظلم وحصول بياض قليل في [سواد] كثير .

قال : والتشبيه قد يحىء غربيا يحتاج في إدراكه إلى دقة نظر، كقول ابن المعتز :

* والشمس كالمرآة في كَفِّ الأشلِّ *

والباع الاستدانة والإشراق مع تواصل الحركة التي تراها للشمس إذا أنمت :
التأمل في اضطراب نور الشمس ، ويقرب منه قول الآخر :

كان شعاع الشمس في كل غلوة * على ورق الأشجار . أول طالع
دنانير في كَفِّ الأشلِّ يضمها * لقبض وتهوى [من] فروع الأصابع
وكقول المتنبي :

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حجاب
سكانها بؤدفة أَيْت * يحول فيها ذهب ذائب

(١) البيت لمحمد بن وهيب الحميري من قصيدة يمدح بها الامون .

(٢) في الأصل : «مفتح» وهو تحريف ، والتصويب من حسن التوسل .

(٣) كذا في الأصل وفي حسن التوسل . ولعله «يتبيض» بالياء .

(٤) الكلمة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ، وقد قلناها من حسن التوسل ، وبها يستقيم

الوزن والمعنى . (٥) في الأصل : «يرطقة» وهو تحريف ، والتصويب من حسن التوسل .

والبردة : مودع برونه ، وهي ما يصنع فيه الذهب واللينة مبرقة عند الصباغة ، ويقال فيه : برقة .

ومن لطيف ما جاء في هذا المعنى من التشبيه قول الأخطيل في مصلوب :

أوقائهم من ناس فيه لؤثته ^(١) * موصل لقطيه من الكسل

شبهه بالتمطى ، لأن المتعطى بمد يديه وظهره ثم يعود إلى حالته الأولى ، فزاد فيه أنه موصل لذلك ، وعلة بالقيام من الناس لما في ذلك من اللؤمة والكسل .

قال : والتشبيه ليس من المجاز ، لأنه معنى من المعاني ، وله ألقاظ تدل عليه وضعا . فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه ، وإنما هو توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة .

والتشليل ، لأنه كالأصل لها وهما كالفرع له ، والذي يقع منه في حين المجاز عند أهل هذا الفن هو الذي يبيى على حد الاستعارة ، كقولك لمن يتردد في الأمر [ين] أن يفعله أو يتركه : « أراك تهتم رجلا وتؤثر أخرى » والأصل فيه أراك في ترددك كن يقيم رجلا ويؤثر أخرى .

وأما الاستعارة — فهي أدعاء معنى الحقيقة في الشيء للبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا . وإن شئت قلت : هو جعل الشيء الشيء ^(٢) [أو جعل الشيء للشيء] لأجل المبالغة في التشبيه .

فالأول كقولك : لقيت أسدا وأنت تعنى الرجل الشجاع .

والثاني كقول لبيد :

* إذ أصبحت بيد الشمال زامها ^(٣)

أثبت اليد للشمال مبالغة في تشبيهها بالقادر في التصرف فيه على ما يأتي بيان ذلك .

- (١) القوة بالغنى : الاسترخاء . (٢) في الأصل : (الجميل) وما أبتناه من حسن التوسل .
(٣) الزيادة من حسن التوسل . (٤) كذا في الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، ولعل صوابه : « من الشين » ، يريد الطرفين . (٥) التكلفة من حسن التوسل ، والتشليل الآتي يقتضى إثباتها .
(٦) في نسخة الشاعر : « قد » والمعنى يستقيم على كل منها . ومصدر البيت : « وعداء ربح قد وضعت وقرة » . يريد أنه رب وعداء ربح ويرد قد دفتها عن العادة بمر الجور لم والإطعام ، وإذ كاه النار لعتهم وقوام . وأما شخص الشمال لأنها أبرد الرياح .

وحذ الرقائي الاستعارة فقال : هي تطبيق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للإبانة .

- وقال ابن المعتز : هي استعارة الكلمة من شيء قد عُرف بها إلى شيء لم يُعرف بها . وذكر الخفاجي كلام الرقائي وقال : وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل : **(وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا)** استعارة ، لأن الاشتغال للنار ، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب (١٨) فلما قيل إليه إن المعنى لما اكتسبه من التشبيه ، لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحمله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تسرى في الخشب حتى تحمله إلى غير [حالته] المتقدمة ؛ فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ، ولا بد من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها ، لأنها الأصل ، وليس ينبغي على المتأمل أن قوله **(وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا)** أبلغ من كثر شيب الرأس ، وهو حقيقة هذا المعنى .
- ولا بد للاستعارة من حقيقة هي أصلها ، وهي مستعار منه ، ومستعار ، ومستعار له ، فالنار مستعار منها ، والاشتغال مستعار ، والشيب مستعار له . قال : وأما قولنا مع طرح ذكر المشبه ، فأعلم أننا إذا طرحناه كقولنا : رأيت أسداً ، وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالافتقار ، وإن ذكرنا معه الصيغة الدالة على المشابهة كقولنا : ١٥ زيد كالأسد أو مثله أو شبهه فليس باستعارة ؛ وإن لم تذكر الصيغة وقولنا : زيد أسد فالتحتمل أنه ليس باستعارة إذ في اللفظ ما يدل على أنه ليس بأسد فلم تحصل
-
- (١) في الأصل : (الاستعارة) وفيه تعريف وزيادة هاء ، والسياق يقتضي ما أثبتنا كما في حسن التوسل .
- (٢) الزيادة عن حسن التوسل ، ولا يستقيم الكلام بدونها . وعبارة الأصل : (كان بمنزلة النار التي تسرى في الخشب حتى يحمله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار حتى يحمله إلى غير لونه المتقدمة) . وفيها تكرار ووقف . ٢٠
- (٣) بها أي بالعبارة .

المبالغة ، فإذا قلت : زيد الأسد فهو أبعد عن الاستعارة ، فإنَّ الأوَّلَ خرج بالتكبير عن أن يحسَّن فيه كاف التشبيه ، فإنَّ قولك : زيد كأسد كلامٌ نازل بخلاف الثاني .
قال ضياء الدين بن الأثير : وهذا التشبيه المضمر الأداة قد خطئه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما ، وذلك خطأ محض .

قال : وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فأقول : أما التشبيه المظهر الأداة فلا حاجة بنا إلى ذكره لأنه لا خلاف فيه ، ولكن نذكر التشبيه المضمَّر الأداة فنقول : إذا ذكر المقول والمقول إليه على أنه تشبيه مضمَّر الأداة قيل فيه : زيد أسد ، أى كالأسد ، فأداة التشبيه فيه مضمَّرة مقترنة ، وإذا أظهرت حسن ظهورها ، ولم تصدح في الكلام الذى أظهرت فيه ، ولم تزل عنه فصاحت ، وهذا بخلاف ما إذا ذكر المقول إليه دون المقول فإنه لا يحسَّن فيه ظهور أداة التشبيه ، وإذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفاً به من الحسن والقصاحة .

قال : ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول : قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو :

فرعاء إنَّ نهضت لحاجتها * عجل القضيبي وأبطأ الدعص^(١)

وهذا لا يحسَّن تقدير أداة التشبيه فيه ، فلا يقال : عجل^(٢) كالقضيبي وأبطأ^(٣) [ردف] كاللحص ، فالفرق إذن بين التشبيه المضمَّر أداة التشبيه فيه وبين

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل والمثل السائر من ٢١٥ ط يولاق ، وهو غير مستقيم ، فإن الذى يذكر في الاستعارة هو لفظ المشبه به ، وهو المقول دون المقول إليه ، ولعل صواب العبارة : « وهذا بخلاف ما إذا ذكر المقول دون المقول إليه » وفي التمثيل الآتى ما يؤيده .

(٢) الفرعاء : الطويلة الشعر . (٣) عبارة الأصل : « عجل كالقضيبي وأبطأ كاللحص » بدون هاتين التبادلتين ، وما أجنبناه من حسن التوسل والمثل السائر .

الاستعارة أن التشبيه المضمّر الأداء يحسن إظهار أداة التشبيه فيه ، والاستعارة لا يحسن ذلك فيها . والاستعارة أخص من المجاز إذ قصد المبالغة شرطاً في الاستعارة دون المجاز ، وأيضاً فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه . والحق أن المعنى يمار أولاً ثم بواسطته يمار اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان التشبيه مقرواً بينهما ظاهراً ، وإلا فلا بد من التصريح بالتشبيه ، فلو قلت : رأيت نخلة أوخامة (١) وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل النخلة » أو « كمثل الخامة » لكنت كالمفتر التارك لما يفهم (٢) . ولما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسناً بحيث تكون اللفظ من التصريح بالتشبيه ، فإنك لو رمت أن تظهر التشبيه في قول ابن المعتز :

- ١٠ أثمرت أغصان راحته * لجنة الحسن حنايا
أحسجت أن تقول : أثمرت أصابع راحته التي هي كالأغصان لطالب الحسن
شبه الكتاب من أطرافها المفضوبة ، وهذا مما لا يخفاء بنتائنه .
وربما جمع بين علة استعارات إلحاقاً للشكل بالشكل لإتمام التشبيه فتريد
الاستعارة به حسناً ، كقول آخرى القيس في صفة الليل :
١٥ فقلت له لما تغطي بصلبه * وأردف أعجازاً وناءً بكلل

فصل فيما تدخله الاستعارة ومالا تدخله

قال : الأعلام لا تدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز . وأما الفعل فالاستعارة تقع أولاً في المصدر ، ثم تقع بواسطة ذلك في الفعل ، فإذا قلت : نطقت الحال بكنا

- (١) في رواية : (كمثل النخلة) بإلقاء المهمة ، يريد نخلة الصل ، وما هنا هو المنعرج .
(٢) فنه في كتاب النهاية هكذا : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع عتيها الرياح » والخامة :
الطاقة النضة الناعمة من الزرع .
(٣) في الأصل : « فلا » والتصويب عن حسن التوسل .

فهذا إنما يصح لأنك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء، فلا جرم
[أنك] ^(١١) استعرت النطق لتلك الحالة ثم قلبته إلى الفعل . والأسماء المشتقة في ذلك
كالفعل ؛ فظهر أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء الأجناس . ثم الفعل
إذا كان مستعاراً فاستعارته إما من جهة فاعله ، كقوله : نطقت الحال بكنا
ولعبت بي الهموم ، وقول جرير :

تحي الرواس ربها فتجده * بعد البلى وتبته الأمطار ^(١٢)
وقول أبي حبة :

وليلة مرضت من كل ناحية * فما تضيء لها شمس ولا قمر
أو من جهة مفعوله : كقول ابن المعتز :

جميع الحق لنا في إمام * قتل الجوع وأحيى السما ^(١٣)

أو من جهة مفعوليه ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إذا نطقت * بما نأقود الحرون الشموسا ^(١٤)
أو من جهة أحد مفعوليه ، كقول الشاعر :

قريبهم لهذيات تفتها * ما كان خاط عليهم كل زئاد

أو من جهة الفاعل والمفعول ، كقوله تعالى : ^(١٥) زيكاد البرق يخطف أبصارهم .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والله تقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : «الرواس أرضها» وهو تحريف ، والصواب عن حسن التوسل . والرواس :
الرياح التي تنقل القراب من يد إلى يد . يريد أن الرياح تكشف التراب المنطى لأفانال ريح فظهرها
ويصوب المخرطها فيفوقها ويخفى على الناظر .

(٣) في حسن التوسل : (الجود) والمعنى يستفهم على كلتا الروايتين ، وما هنا أقرب إلى قوله : السباح .

(٤) هو القطا .

قال : ويتصل بهذا ترشيح الاستمارة وتجريدها، أما ترشيحها فهو أن ينظر فيها إلى المستمار، ويراعى جانبته، ويؤله ما يستدعيه، ويضم إليه ما يقتضيه، كقول كثير :
 رمى بهم ريشه الهدب لم يصب * بظاهر جسمى وهو في القلب جارح^(١)
 وكقول النابغة :

- وصدر أراح الليل طازب هم * تضاغف فيه الحزن من كل جانب
 فالمستمار في كل واحد منهما وهو الرمي والإراحة منظور إليهما في لفظ السهم^(٢)
 والمازب، وكما أنشد صاحب الكشاف :

ينازني ردائي عند عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
 في الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فأعجز منه بشرط

- ١٠ أراد بردائه سيفه، ثم نظر إلى المستمار في لفظ الاعتجار. وأما تجريدها فهو أن يكون المستمار له منظورا إليه، كقوله تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ)^(٣)
 فإن الإذافة لما وقعت عبارة عما يدرك من أثر الضرر والألم تشبها له بما يدرك من الطعم المزعج، واللباس عبارة عما يفتش منهما ويلبس فكانه قال : فأذاقها الله ما حشينا من ألم الجوع والخوف، وكقول زهير :

- ١٥ لدى أسيد شاكى السلاح مقذيف * له ليد أظفاره لم تهلم

فلو نظر إلى المستمار لقال : أسد دامى الخالب أودامى البرائن، ونظر زهير في آخر البيت إلى المستمار أيضا، ومنه قول كثير :

عمر الداء إذا تهم ضاحكا * خلقت لضحكته رقاب المال

(١) هذه الباء ماقفة من الأصل، وبها يستقيم الوزن . (٢) في الأصل : (الكتاب) والتصويب

عن حسن التوسل . (٣) في الأصل : (الضرورة) وما أتبعناه من حسن التوسل . (٤) شاكي السلاح وشاذكه رشاكه : حديد . والمقذوف : الذي يقذف به كثيرا في الواقع . مبالغة في التلف .

استعار الرءاء للعروف لأنه يصون عرض صاحبه صونَ الرءاء لما يُلقى عليه^(١) ووصفه بالغمز الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرءاء .

قال : ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية ، وهي أن لا يصرّح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيها به عليه ، كقولهم : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يعرف منه الناس .

وكقول أبي ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفتَ كلَّ نيمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد ، والمنية سبع ، والعالم بحر ، وهذا وإن كان يشبه الاستعارة المجردة إلا أنه أغرب وأعجب ، ويقرب منه قول زهير :

ومن يعض أطراف الزجاج فإنه * يطبع العوالى ركبت كلَّ لهنم

أراد أن يقول : من لم يرض بأحكام الصالح رضى بأحكام الحرب ، وذلك أنهم كانوا إذا طلبوا الصالح قبلوا زجاج الرماح وجعلوها قدامها مكانَ الأسنّة ، وإذا أرادوا الحرب أشرعوا الأسنّة ، وقد يسمى هذا النوع الممانلة أيضا .

قال : وقد يزلون الاستعارة منزلة الحقيقة ، وذلك أنهم يستعمرون الوصف المحسوس للشيء المقول ويعملون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة ، وأن الاستعارة لم توجد أصلا ، مثاله استعارتهم المثلّ لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر عالوا مكانيا ، كقول أبي تمام :

(١) في الأصل : (موصف) بدون هاء ، وما أثبتناه عن حسن التوسل .

(٢) مقتضى ما سبق من التمثيل تقديم هذه العبارة على ما قبلها إن لوحظ الترتيب كما في حسن التوسل .

(٣) واحده زج بالضم ، وهو حديدة تكون في أسفل الزرع .

(٤) في الأصل : «مكانا» وما أثبتناه عن حسن التوسل .

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْحَسُودُ * بَارَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

مَكَارِمُ بَلَّتْ فِي عَطْوٍ كَأَنَّمَا * تَحَاوَلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ^(١)

وَلِذَلِكَ يَسْتَعِيرُونَ أَسْمَ شَيْءٍ لَشَيْءٍ مِنْ نَحْوِ شَمْسٍ أَوْ بَدْرٍ أَوْ أَسَدٍ وَيَقُولُونَ إِلَى
حَيْثُ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَسْتَعَارَةٌ، كَقَوْلِ أَهْلِ الْعَمِيدِ :

قَامَتْ تَظَلَّلَتْنِي مِنَ الشَّمْسِ * تَقَسَّ أَعْرَ عَلَى مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تَظَلَّلَتْنِي وَمِنْ عَجَبٍ * شَمْسٌ تَظَلَّلَتْنِي مِنَ الشَّمْسِ

وَقَوْلِ آخَرٍ :

أَيَا شَمْسَ مَا يَنْفِي بِلَا أَنْطَفَاءٍ * وَيَابِدِرَا يُلُوحُ بِلَا مُخَافٍ^(٢)

فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا مَعْنَى أَنْتَقَاصِي؟ * وَأَمَّا الشَّمْعُ مَا مَعْنَى احْتِرَاقِي؟^(٣)

[فَلَوْلَا أَنَّهُ أَنْفَى نَفْسَهُ أَنْ هَاهُنَا أَسْتَعَارَةٌ لِمَا كَانَ لِهَذَا التَّعْجِبِ مَعْنَى، وَمِنْ أَمَارِ

هَذَا النَّوعِ عَلَى التَّعْجِبِ]

وَقَدْ يَمِيزُ عَلَى عَكْسِهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٤) :

لَا تَحْجِبُوا مِنِّي بِلَى غَلَاتِهِ * قَدْ زَرَّ أَزْرَارَهُ عَلَى الْقَمَرِ .

فصل في أقسام الاستعارة

١٥

قال : وهي على نوعين :

الأول أن تعتمد نفس التشبيه ، وهو أن يشترك شيان في وصف واحد

أقص من الآخر ، فتعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقق ذلك الوصف له

(١) في الأصل : «نارا» بالنون ؛ وهو مجرّف . (٢) في الأصل : (انتقاص) و(احتراق)

٢٠ مجزّف . (٣) المتكلم فيها ، والمقام يقتضى إثباتها كما في حسن التوسل . (٤) الزيادة عن حسن

التوسل ؛ والمقام يقتضىها . (٤) هو أبو الحسن بن طباطبغا العلوي .

كقولك : رأيت أسدا وأنت تني وجلا شجاعا ، وعنت لنا غليظة وأنت تريد امرأة .

والثاني أن تعتمد لوازمه عند ما تكون جهة الاشتراك وصفا ، وإنما ثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فتثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة في إثبات المشترك ، كقول لبيد :

وغداة ربح قد كشفت وقرعة ^(١) * إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وليس هناك مشار إليه يمكن أن يجري اسم اليد عليه كما جرى الأسد على الرجل لكنه خيل إلى نفسه أن الشمال في تصرف الغداة على حكم طبيعة الإنسان المتصرف فيما زمامه ومقاديرته بيده ، لأن تصرف الإنسان إنما يكون باليد في أكثر الأمور فاليد كالآلة التي تكمل بها القوة على التصرف ، ولما كان الغرض إثبات التصرف — وذلك مما لا يكمل إلا عند ثبوت اليد — أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض ^(٢) ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال ، وكذلك قول تابط شرا :

إذا هزته في عظم قرن تهلت ^(٣) * فواجذ أفوام المنايا الضواحيك

لما شبه المنايا عند هزّة السيف بالمسرور — وكما الفرح والمسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهلّل فيه النواجذ — أثبت تحقيقا للوصف المقصود ، وإلا فليس للمنايا ما يُنقل إليه اسم النواجذ ، وهكذا الكلام في قول الحماسي :

سقاه الردي سيف إذ نسل أو مضت * إليه ثايا الموت من كل مرّ قريب ^(٤)

(١) في الأصل : « دقوة » بالوار ، وهو تحريف . والقرعة بالكسر : ما أصاب الإنسان من البرد .

(٢) هذه اللمة ساقطة من الأصل ، والمقام يقتضى إثباتها .

(٣) في الأصل : « فواجده » والملاء زيادة من الناصح .

ومن هذا الباب قولهم : فلان مُرْتَحَى العنان ، وملقَى الزمام .

قال : ويسمى هذا النوع استعارة تخيلية ، وهو كإثبات الجناح للذئب في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ . قال : إذا حُرِفَ هذا فالنوع الأول على أربعة أقسام :

٥. الأول — أن يستعار المحسوس للمحسوس ، وذلك إما بأن يشتركا في الذات ويختلفا في الصفات ، كاستعارة الطيران لغير ذى جناح في السرعة ، فإن الطيران والدور يشتركان في [الحقيقة وهي] الحركة الكائنة ^(١) إلا أن الطيران ^(٢) أسرع . أو بأن يختلفا في الذات ويشتركا في صفة إما محسوسة كقولهم : رأيت شمسا ويريدون إنسانا يتהלّى وجهه ، وكقوله تعالى : ﴿ وَأَشْتَعَلْ الرُّسُ شَيْئًا ﴾ فالمستعار منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع الانبساط ، ولكنه في النار أقوى ؛ وإما غير محسوسة كقوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ المستعار له الريح ، والمستعار منه المروء والجامع المنع من ظهور النتيجة .

الثاني — أن يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف

عديم أو شوبقي وأحدهما أكمل في ذلك الوصف ، فيتّخذ الناقص منزلة الكامل

١٥. كاستعارة اسم العدم للوجود إذا اشتركا في عدم الفائدة ، أو استعارة اسم الوجود للعدم إذا بقيت آثاره المطلوبة منه ، كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الإدراك والعقل ، وكقولهم : فلان لقي الموت إذا لقي الشدائد ، لاشتراكهما في المكروهية ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ رُوسَى الْغَضَبُ ﴾ والسكوت والزوال أمران معقولان .

(١) التكلفة عن حسن التوسل . (٢) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : (المكاتبة) راعها أظهر . (٣) في الأصل : (الوصف) والسياق يقتضى ما أثبتنا كما في حسن التوسل .

الثالث — أن يستعار المحسوس للعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس
للحجة ، واستعارة القسطاس للمعدل ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ تَنْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَذَرُوهٗ ﴾ فالنذف والدمغ مستعاران ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَغَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ استعارة لبيان
عما أوحى إليه كظهور ما في الزجاجة عند انصداعها ، وكلُّ خوض في القرآن العزيز فهو
مستعار من الخوض في الماء ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ جعل لمطاعة وقولا .

الرابع — أن يستعار اسمُ المعقول للمحسوس على ما تقدم ذكره في التشبيه
كقوله تعالى : ﴿ إِذَا الْقَوَايِمُ حُمِلُوا فِيهَا تَحْمِلُونَهَا تَحْمِيلًا وَهِيَ تَحْمِلُ عَنْكُمْ أَثْقَالًا ﴾ فالشميق
والغيط مستعاران ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ والأقوال في الاستعارة
كثيرة ، وقد أوردنا فيها ما يُستدلُّ به عليها .

وأما الكناية — قال : اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها
فلا يخلو : إما أن يكون معناها مقصودا أيضا ليكون دالًّا على ذلك الغرض الأصلي
وإما أن لا يكون كذلك .

فالأول هو الكناية ، ويقال له : الإرداف أيضا .
والثاني المجاز .

فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني لا يذكره
باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يبيح إلى معنى هو تاليه ويدنه في الوجود
فيؤيى به إليه ، ويعمله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم : طوليل النجاد وكثير
رماد القدر ، يعنون به أنه طويل القامة ، كثير القري ، ومن ذلك قوله تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدِّ آيَاتِنَا هُمْ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ قَبِيلَ تَوْبَتِهِمْ ﴾ كنى بنفى قبول
التوبة عن الموت على الكفر .

(١) في الأصل : (تأكيد) وهو محريف ، والمصوب عن حسن التوصل .

وقول الشاعر ^(١١) :

بميدة مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلِ * أَبُوهَا وَإِنَّمَا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَائِمٌ
أَرَادِيذَ كُرْطُولٍ جِيدَهَا [فَأَتَى بَنَاتِهِ وَهُوَ بِمِدْمَهْوَى الْقُرْطِ]، وَكَقَوْلِ لَيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ :

وَمُخْرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ نَحَالَهُ * وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
كَنْتُ عَنْ جُودِهِ بِحَرِّ الْقَمِيصِ مِنْ جَذْبِ الْعَفَاةِ لَهُ عِنْدَ أَزْدَحَامِهِمْ لِأَخْذِ
الْمِطَاءِ، وَأَمثال ذلك . قال :

وَالْكَايَةُ تَكُونُ فِي الْمَثَبِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ وَهِيَ مَا إِذَا حَاولُوا
إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لَشَيْءٍ فَيَتَكُونُ التَّصْرِيحُ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ ، وَيَتَهَوَّنُ لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ ،
كَقَوْلِهِمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ ، وَالْكَرَمُ بَيْنَ بَرْدِيهِ ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

١٠ إِنْ الْمَرْوَةَ وَالسَّاحَاةَ وَالنَّدَى * فِي قِيَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ .
قال : وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَايَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْجَبَازِ لِأَنَّكَ تَعْتَبِرُ فِي أَلْفَاظِ الْكَايَةِ مَعَانِيهَا
الْأَصْلِيَّةَ ، وَتَقِيدُ بِمَعْنَاهَا مَعْنَى ثَانِيًا هُوَ الْمَقْصُودُ ، فَتَرِيدُ بِقَوْلِكَ : كَثِيرُ الرَّمَادِ حَقِيقَتُهُ
وَيَجْعَلُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى كَوْنِهِ جَوَادًا ، فَالْكَايَةُ ذِكْرُ الرَّدِيفِ وَإِرَادَةُ الْمُرْدُوفِ .

وَأَمَّا التَّمَرِيزُ — فَهُوَ تَضْمِينُ الْكَلَامِ دَلَالَةً لَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ ، كَقَوْلِكَ : مَا أَفْبَحَ
الْبَهْلُ ! لِمَنْ تُعْرِضُ بِجَهْلِهِ ، وَكَقَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْحَسَنِ : لَمْ يُعْرِقْ فِي أَتْمَهَاتِ
الْأَوْلَادِ ، يَتَوَضَّعُ بِالْمَنْصُورِ بِأَنَّهُ ابْنُ أُمَةٍ ، وَأَمثال ذلك .

وَأَمَّا التَّثْنِيلُ — فَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ بَابِ الْجَبَازِ إِذَا جَاءَ عَلَى حَدِّ الْأَسْتِعَارَةِ ، مِثَالُهُ
قَوْلُكَ لِلشَّعِيرِ : فَلَانٌ يَقْسَمُ رِجْلًا وَرِثْرًا أُخْرَى ، فَلَوْ قُلْتَ : إِنَّهُ فِي تَحْيِيرِهِ كُنْ يَقْدِمُ

(١) هُوَ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِيَّةَ الْخَزَرِيُّ . (٢) التَّكْلَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ عَنْ حَسَنِ التَّرْسِلِ .
(٣) هُوَ زِيَادُ الْأَعْمَى . وَالْبَيْتُ مِنْ تَضْمِينِ قَالِمًا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَشْرِجِ وَكَانَ قَدْ رَفَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ حُلِ
نَيْسَابُورَ . (٤) فِي الْأَصْلِ : « سَمَاهَا » وَالسِّيَاقُ يَتَضَمَّنُ مَا أُتْبِنَاهُ . (٥) فِي الْأَصْلِ :
« حَقِيقَةٌ » بِدُونِ هَاءٍ ، وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ حَسَنِ التَّرْسِلِ . (٦) فِي الْأَصْلِ : « قَوْلُ الْخَبَرِ » وَفِيهِ تَقْصُصٌ
وَتَحْوِيزٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ حَسَنِ التَّرْسِلِ .

رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز، وكذلك قولك لمن أخذ في عمل لا يتحصل منه مقصود^(١) : أراك تنفخ في غير صرم، وتحط على الماء .

قال : وأجمعوا على أن للكناية مزية على التصريح لأنك إذا أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي [معها]^(١١) شاهد ودليل، وذلك أبلغ من إثباتها بنفسها .



وأما الخبر وأحكامه — فقد قال : الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو الإثبات . وتسمية أحد جزئي الخبر بمجازية . ثم المقصود من الخبر إن كان هو الإثبات المطلق فيكون بالاسم، كقوله تعالى : ﴿وَكَلِّمَهُم بِأِسْطَ ذِرَاعِهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وإن لم يتم ذلك إلا بإشعار زمانه فيكون بالفعل، كقوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِيٍّ خِيراً إِنَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَلْمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن المقصود لا يتم بكونه معطيا للرزق [بل بكونه معطيا للرزق] في كل حين وأوان، والإخبار بالفعل أخص من الإخبار بالاسم ، وإذا أنهمت النظر وجدت الاسم موضوعا على أن تثبت به المعنى للشيء من غير إشعار بتجديده شيئا فشيئا، بل جميل الإطلاق أو البسط مثلا صفة ثابتة ثبوت الطول أو القصر في قولك : زيد طويل أو قصير، بخلاف ما إذا أخبرت بالفعل فإنه يشعر بالتجدد وأنه يقع جزءا بجزءا، وإذا أردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت :

لَا يَأْلَفُ الدَّهْرُ الْمَضْرُوبَ صُرْتًا * إِلَّا يَمُوتُ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلَقٌ^(٥)

(١) الزيادة عن حسن التوسل، وصحة البيارة تخفيا . (٢) الزيادة عن حسن التوسل، وإتمام مقتضى إثباتها . (٣) في الأصل : «ثبوت» والباء زيادة من التامع . (٤) البيت لخضر ابن جوية بن الضر . (٥) في تلخيص الفتاح ومساعد التلخيص ص ٩٦ ط بولاق : «لكن» .

بجاء بالأسم، ولو أتى بالفعل لم يحسن هذا الحسن . والفعل المتعدي الى جميع
مفعولاته خبر واحد، حتى اذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا
شديدا تأديبا له كان الخبر شيئا واحدا وهو إسناد الضرب المقيد بهذه القيود الى
زيد، فظهر من ذلك [أن] قولك : جاءني رجل مغائرا دلا عليه قولك : جاءني
رجل ظريف، وإنك لست في ذلك [إلا] كن يضم معنى الى معنى . وحكم المبتدأ^(٤)
والخبر أيضا كذلك، فقول بشار :

كأن مثار التقيع فوق رموسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

خبر واحد . وإذا قلت : الرجل خير من المرأة فاللام فيه قد تكون للعموم
أو لخصوص بأن ترجع الى معهود، أو لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها
وخصوصها . وإذا قلت : زيد المنطق، أو زيد هو المنطق أفاد انحصار الخبر به
في الخبر عنه، فإن أمكن [الحصر ترك] على حقيقته، وإلا فعل المبالغة . وإذا قلت :
المنطق زيد فهو إخبار عما عُرِفَ بما لم يُعرف، فكان المخاطب عَرَفَ أن انسانا
أنطق ولم يعرف صاحبه، فقلت : الذي تمتد أنه منطلق زيد .

وأما الذي — فهو للإشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة^(٥)
كقولك : ذهب الرجل الذي أبوه منطلق، وهو تحقيق قولهم : إنه يستعمل لوصف
المعارف بالجلل . والتصديق والتكذيب يتوجهان الى خبر المبتدأ لا الى صفته، فإذا

(١) في الأصل : (البر) وفيه تحريف وقص .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها كما في حسن التوسل .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) في الأصل : (الايتاء) وما أئنتاه من حسن التوسل .

(٥) في الأصل : «وأما الذي هو» بدون فاء، والصواب إثباتها كما تقتضيه القواعد .

كَلَبَتِ القائل في قوله : زيد بن عمرو كريمة ، فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما .

وأما التقديم والتأخير — قال : اذا قُدم الشيء على غيره فلما أن يكون في نية التأخير، كما اذا قدم الخبر على المبتدأ؛ وإما أن يكون في نية التأخير ولكن أنتقل الشيء من حكم الى آخر، كما اذا جئت الى اسمين جاز أن يكون كل واحد منهما مبتدأ فجعلت أحدهما مبتدأ، كقولك : زيد المنطلق، والمنطلق زيد . قال الجرجاني : قال صاحب الكلب : كأنهم يقدّمون الذي يباهه أهم لهم وهم يشانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهتمان به ويعينانهم ، مثاله : أن الناس اذا تصالحوا فصرهم بقتل خارجي مغمض ولا يبالون من صدر القتل منه ، وأراد مريد الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى [فيقول] : قتل الخارجى زيد ، ولا يقول : قتل زيد الخارجى لأنه يعلم أن قتل الخارجى هو الذى يهتفون به ، وإن كان قد وقع قتل من رجل بعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدّم الخبر ذكر الفاعل فيقول : قتل زيد رجلا لا يجتهد الناس في المذكر خلافاً ذلك . انتهى كلام الجرجاني .

قال : ولتذكر ثلاثة مواضع يعرف بها ما لم يذكر :

الأول الاستفهام — فلما أدخلته على الفعل وقلت : أضريت زيدا ؟ كان الشك في وجود الفعل ، وإذا أدخلته على الأسماء وقلت : أنت أضريت زيدا ؟ كان الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل . وهكذا حكم التوكيد ، فلما قلت : أجامدك رجل ؟ كان المقصود : هل وجد المجيء من رجل ؟ فلما قلت : أرجل جامد ؟ كان ذلك سؤالاً عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من إنسان ، وقس عليه

(١) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيا .

(٢) في الأصل : « يا لم تذكر » بإسقاط « ما » والمقام يقتضى إثباتها كما في حسن التوسل .

- الخبر في قولك : ضربت زيدا، وزيدا ضربت، وجاءني رجل، ورجل جاءني؛ ثم الاستفهام قد يعيى للانكار، فإن كان ^(١) [في] الكلام فعل ماضٍ وأدخلت الاستفهام عليه كان لانكاره، كقوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ وإن أدخلته على الاسم فإن لم يكن الفعل مترددا بينه وبين غيره كان لانكار أنه الفاعل، ويلزم منه في ذلك الفعل، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَذِّنْ لَكُمْ﴾ أي لو كان إذنٌ لكان من الله، فلما لم يوجد منه دلٌّ على أن لا إذن، كما تقول: متى كان هذا، في ليل أم نهار؟ أي لو كان لكان في ليل أو نهار، فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد أصلا، وطلبه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَرَّمَ آمَ الْأَتْنِينَ﴾. وإن كان مراداً بينه وبين غيره كان إما للتقرير والتوبيخ، وطلبه قوله تعالى حكاية عن قول مُرُودَ: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا مَعْتَبِرُ يَا إِزْرَإِيمُ﴾. وإما لانكار أنه الفاعل مع تحقيق الفعل، كقولك لمن اتحل شعرا: أأنت قلت هذا؟

وان كان الفعل مضارفاً، فإن أدخلت حرف الاستفهام عليه كان إما لانكار وجوده، كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ مَكُونًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾. أو لانكار أنه يقدر على الفعل، كقول امرئ القيس:

- أيقنني والمشرقُ مضاجعي * ومسنونةٌ زُرْقُ كَأَنِّيَابِ أَغْوَالِ ١٥
أول إزالة طمعٍ من طمعٍ في أمر لا يكون، فيجعله في طعمه، كقولك:
أيرضى عنك فلان وأنت على ما يكره؟. أو لتعنيف من يضيغ الحق، كقول الشاعر:
أخترتك إن قلت دواهم خاله * زيارته إني إذن للكسيم

(١) في الأصل: «فإن كان الكلام» وازيادة عن حسن التوسل.

(٢) في الأصل: «أو» والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد.

(٣) كذا في الأصل. والقي في حسن التوسل ودلائل الإيجاز ص ٨٧ ط المثار. «أأترك» والبيت

لعمارة بن عطي بن بلال بن جرير في خاله بن يزيد بن مزيد الشيباني.

أو لتندم الفاعل، كما تقول لمن يركب الخطر: أخرج في هذا الوقت ؟ .

وإن أدخلته على الاسم فهو لإتكار صدور الفعل من ذلك الفاعل إما للاستحار

كقولك : أنت بمعنى ؟ . أو للتعظيم كقولك : أهو يسأل الناس ؟ . أو للبالغة

إما في كرمه، كقولك : أهو يمنع سائله ؟ ؛ وإما في خساسته، كقولك : أهو يسمح

بمثل هذا ؟ . وقد يكون لبيان استحالة فعل ظن ممكنا، كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ

الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى ﴾ وكذلك إذا أدخلته على المفعول، كقوله تعالى : ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ

أَكْمَدَ وَلِيًّا ﴾ و ﴿ أَغْيَرَ اللَّهُ مَدْعُونَ ﴾ و ﴿ أَبْشَرْنَا بِأَحَدًا نَبِيَّهُ ﴾ .

الثاني في التقديم والتأخير في النفي — إذا أدخلت النفي على الفعل فقلت :

ما ضربت زيدا فقد نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزید ، وهذا لا يقتضي كون

زيد مضروبا . ١٠

وإذا أدخلته على الاسم فقلت : ما أنا ضربت زيدا أقتضى من باب دليل

الخطاب كون زيد مضروبا، وعليه قول المتنبي :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ولهذا يصح أن تقول : ما ضربت إلا زيدا، وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد

من الناس، ولا يصح أن تقول : ما أنا ضربت إلا زيدا، وما أنا ضربت زيدا ولا ضربه ١٥

أحد من الناس .

أما الأول فلاقت قصص النفي بآلا يقتضي أن تكون ضربته ، ^(١) [وتجديك ضميرك

وإلا حرف النفي يقتضي ألا تكون ضربته ^(٢)] فيندافمان .

(١) التلجة عن حسن التوسل . والمقام يقتضيها . (٢) في حسن التوسل : «أن تكون»

بجذ لا النافية، والسياق يقتضي اثباتها كما يستفاد من دلائل الإيجاز ص ٩٣ ط مطبعة المنار . ٢٠

(٢٥)

وأما الثاني فلأن أول الكلام يقتضى أن يكون زيدٌ مضروباً ، وآخره يقتضى ألا يكون مضروباً فيتناقضان . إذا عُرِفَ هذا في جانب الفاعل فإنه مثله في جانب المفعول ، فإذا قلت : ما ضربتُ زيدا لم يقتضِ أن تكون ضارباً لغيره ، وإذا قلت : ما زيدا ضربتُ اقتضى ذلك ، ولهذا صح ما ضربتُ زيدا ولا أحداً من الناس ولا يصح [ما] زيدا ضربتُ ولا أحداً من الناس .

وحكمُ الحار والمجرور حكمُ المفعول ، فإذا قلت : ما أمرتك بهذا لم يقتضِ أن تكون قد أمرته بشيء غير هذا ، وإذا قلت : ما بهذا أمرتك اقتضاه . وإذا قلتُ صيغة العموم على السلب وقلت : كلُّ ذاك لم أفعله ، برفع كلِّ كان قيا عاماً ، ويتناقضه الإيجابُ الخاصُّ ، فلو فعلتُ بعضه كنتُ كاذباً .

وان قدِّمتَ السلب وقلت : لم أفضل كلَّ ذاك كان قيا للعموم ولا ينافي الإيجابَ الخاصُّ ، فلو فعلتُ بعضه لم تكن كاذباً ، ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كلِّ ونصبه في قول أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيل تدعى * على ذنبا كله لم أصنع

فإن رفعته كان النفي عاماً ، وأستقام غرضُ الشاعر في تبرئة نفسه من جملة الذنوب ، وإن نصبته كان النفي قيا للعموم ، وهو لا ينافي إثباتَ بعضِ الذنوب فلا يتم غرضه .

الثالث في التقديم والتأخير في الخبر المثبت — ما تقدّم في الاستفهام والنفي قائم هنا ، فإذا قدِّمتَ الاسم وقلت : زيد فعل وأنا فعلت فالتقصد إلى الفاعل ، إما لتخصيص ذلك الفعل به ، كقولك : أنا شفعت في شأنه متعياً للأفراد بذلك

(١) الكلمة التي بين مبرزين سابقة من الأصل ؛ وصحة التثنية تقتضى إثباتها كما في حسن التوسل .

أولاً تأكيد إثبات الفعل له لا للحصر، كقولك : هو يعلو الجوزيل، لتسكن في نفس السامع أن ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ فإنه ليس المراد تخصيص المخلوقة بهم، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ نَجَّوْا بِهِ ﴾ وكقول دروي بنت عبيدة ^(١) :

هما يلبسان المجد أحسن ليسة * شيطان ما أسطاطا عليه كلامهما

وقول الآخر :

هما يفرشون اللبد كل طيرة ^(٢) ، وأجرد سياح يسد الغالب ^(٣)

- قال : والسبب في هذا التأكيد أنك إذا قلت مثلاً : زيد، فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشويق إلى معرفته ، فإذا ذكرته قبلته النفس [قبول الماشق معشوقه] فيكون ذلك الخلق في التحقيق وفي الشك والشبهة ، ولهذا تقول لمن تعبد : أنا أعطيك أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك إذا كان من شأن من يسبق له وعد أن يترضه الشك في وفائه ، ولذلك يقال في المدح : أنت تعطي الجزيل ، أنت تجود حين لا يعود أحد ، ومن هاهنا تصرف الصخامة في الجمل التي فيها ضمير الشأن والقصة كقوله تعالى : ﴿ فَلَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْبُصُورِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وأن فيها ما ليس في قولك : فإن الأبصار لا تعمى ، وإن الكافرين لا يفلحون ، وهكذا

(١) في الأصل وفي حسن التوسل : «مضة» ثابته مضمين ، وهو تحريف ، والتصويب عن القانوس . (٢) هي الطريقة القوام الخفيفة من الأفراس . (٣) في الأصل : «يد المالبس» وفي حسن التوسل : «يد المالبس» وهو تحريف في كليهما ، والتصويب عن دلائل الإيجاز ص ٩٥ ط المنار . ويد بالقال المسجدة : يقلب . (٤) الكلمة التي بين مبرمين سابقة من الأصل ، وقد قلنا من حسن التوسل إذ بها يتم التليل ، فإن مجرد قبول النفس لا يكفي في تليل هذا التأكيد.

في الخبر المتني، فإنما قلت : أنت لا تُحْسِنُ هذا ، كان أبلغ من قولك لا تُحْسِنُ هذا ، فالأقول لمن هو أشد إعجابا بنفسه وأكثر دعوى بأنه يُحْسِنُ .

قال : واعلم أنه قد يكون تقديم الأسم كاللزام نحو قوله :

يا طافلي دعني من عندك * . مثل لا يقبل من مثلك

وقول المتني :

مثلك يتي الحزن عن صوبه * ويسترد الرفع عن غربه

وقول الناس : مثلك يرى الحق والحكمة ، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه وجيء به البالغة ، وقد عبر المتني عن هذا المعنى فقال :

ولم أقل مثلك أعني به * سواك يا فردا بلا مشيه .

وكذلك حكم « غير » إذا سلك فيه هذا المسلك ، كقول المتني :

ضري يا كثر هذا الناس يتخدع * إن قاتلوا جبنوا أو حذثوا شجعوا

أى لست ممن يتخدع ويفتر ، ولو لم يقدّم مثلا وضرا في هذه الصور لم يؤد هذا المعنى .

قال : ويقرب من هذا المعنى تقديم بعض المفعولات على بعض في نحو قوله تعالى : (وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْيُنَى) فإن تقديم شركاء على الجن أفاد أنه ما ينبغي لله شركاء لا من الجن ولا من ضريح ، لأن شركاء مفعول ثان لجلسوا ، والله متعلق به والجن مفعوله الأول ، فقد جعل الإنكار على جعل الشريك لله على الإطلاق من غير اختصاص بشيء دون شيء ، لأن الصفة إذا ذكرت مجزئة عن مجراها على شيء كان

(١) في الأصل : « التام » . وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « يقل » . وهو تحريف صوابه ما اتينا كما في حسن التوسل .

(١) الذى تعلق بها من المتىّ عما فى كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة، فإذا قلت : ما فى الدار كريمة، كنت قيت الكينونة فى الدار عن كل شىء يكون الكرم صفة له، وحكم الإنكار أبدا حكم النفى، فاما إذا أخرت شركاء فقلت : وجعلوا الجن شركاء لله فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل أن يكون المقصود بالإنكار جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، قدّم شركاء نفيا لهذا الاحتمال .

فصل فى مواضع التقديم والتأخير

قال : أما التقديم فيحسن فى مواضع :

- الأول : أن تكون الحاجة إلى ذكره أشد، كقولك : قطع اللص الأمير .
- الثانى : أن يكون ذلك أليق بما قبله من الكلام أو بما بعده، كقوله تعالى : (وَتَقَتَّى وَجُوهَهُمُ النَّارُ) فإنه أشكل بما بعده وهو قوله : (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) وبما قبله وهو : (مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ) .
- الثالث : أن يكون من الحروف التى لها صدر الكلام، كحروف الاستفهام والنفى، فإن الاستفهام طلب فهم الشىء، وهو حالة إضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده .

الرابع : تقديم الكلى على جزئياته، فإن الشىء كلما كان أكثر عموما كان أعرف فإن الوجود لما كان أهم^(٤) الأمور كان أعرفها عند العقل .
الخامس : تقديم الدليل على المدلول .

- (١) فى حسن التوصل : « من النفى »، وهو أظهر .
- (٢) فى الأصل : « الانكار »، وهو تحريف .
- (٣) الكلمة من حسن التوصل، ولا يستقيم المتى بدنها .
- (٤) فى الأصل : « كلما أهم »، وهو غير مستقيم، والصواب : عن حسن التوصل .

وأما التأخير فيحسن ^(١) في مواضع :

الأول : تمام الأسم كالصلة والمضاف إليه .

الثاني : توابع الأسماء .

الثالث : الفاعل .

- الرابع : المضمّر، وهو أن يكون متأخرا لفظا وتقديرا، كقولك : ضرب زيدُ غلامه
أو مؤخرا في اللفظ مقبلا في المعنى كقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ أو بالعكس
كقولك : ضرب غلامه زيد ، وإن تقدم لفظا ومعنى لم يميز كقولك : ضرب
غلامه زيدا .

الخامس : ما يفيض إلى اللبس، كقولك : ضرب موسى عيسى، أو أكرم هذا

- هذا، فيجب فيه تقديم الفاعل .

السادس : العامل الذي هو ضعيف عمله، كالصفة المشبهة والتمييز وما عمل فيه
حرف أو معنى، كقولك : هو حسن وجهها، وكريم أبا، وتصهب عرقا، وخمسة وعشرون
درهما، وإن زيدا قائم، وفي الدار سعد جالسا . ولا يجوز الفصل بين العامل
والمعمول بما ليس منه، فلا تقول : كانت زيدا الحمى تأخذ إذا رفعت الحمى ^(٢) فكانت
الفصل بين العامل وما عمل فيه، فإن أضمرت الحمى في كانت صححت المسألة .

١٥

وأما الفصل والوصل — فهو العلم بمواضع المطف والاستئناف، والتهدي
إلى كيفية إيقاع حروف المطف في مواقعها، وهو من أعظم أركان البلاغة، حتى إن

(١) أراد بالحسن هنا ما يميل للوجوب .

(٢) في الأصل : «فكانت» ؛ باقائه وهو تحريف .

بعضهم حدّ البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل . وقال عبد القاهر : إنه لا يكفل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا بكل لسان معاني البلاغة .

قال : اعلم أن فائدة [المطف] التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو ، ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء

وهم وأو ، وغرضنا هنا متعلق بما لا يفيد إلا الاشتراك فقول : المطف إما أن

يكون في المفردات ، وهو يقتضي التشريك في الإعراب ، وإما أن يكون في الجملة ، وتلك الجملة إن كانت في قوة المفرد كقولك : مررت برجل خلقه حسن وخلقته

قيح ، فقد اشتركت بينهما في الإعراب [والمعنى] لاشتراكهما في كون كل واحد منهما تهيئاً للوصف ، ولا يتصور أن يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك

معنى يقع ذلك الاشتراك فيه ، وحتى يكونا كالنظيرين والشركيين ، وبمحيط إذا عرفت السامع حاله الأول عساه يصرف حاله الثاني ، يدلك على ذلك أنك إذا

عطفت على الأول شيئاً ليس منه بسبب ولا هو مما يدّ كذب كره لم يستقم ، فلو قلت : نرجعت اليوم من داري ، وأحسن الذي [يقول] بيت كذا قلت ما يضرك منه ،

ومن هاهنا عابوا على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النوى * صبر وأن أبا الحسيف كريم .

وإن لم تكن في قوة المفرد فهي على قسمين :

الأول أن يكون معنى إحدى الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما إذا كانت كالتركيد لما أو كالصفة ، فلا يجوز إدخال العاطف عليه ، لأنّ التركيد والصفة

(١) الكلمة التي بين مربعين عن حسن التوسل ، واستقامة الكلام تقتضي إثباتها .

(٢) في الأصل : « ما لا يفيد » وهو غير مستقيم ، والصواب حذف اللام كما في حسن التوسل .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل ، والمقام يقتضيها . (٤) الزيادة عن حسن التوسل ، وصحة

التمثيل تقتضيها . (٥) في الأصل : « الأكثر » وصوابه ما أثبتنا .

- متعلقان بالمؤكد والموصوف لهما، والتعلق الذاتي يعني عن لفظ يدل على التعلق، فمثال التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فلا ريب فيه توكيد لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ كأنه قال: هو ذلك الكتاب، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تأكيد ثانٍ أبلغ من الأول، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ولم يقل: ويخادعون، لأن المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: آمنا مع أنهم غير مؤمنين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا﴾ ولم يقل تعالى: وكأن، وأمثلة [ذلك] في القرآن العزير كثيرة.

- القسم الثاني إلا يكون بين الجملتين تعلق ذاتي، فإن لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف أيضاً، لأن العطف للتشريك ولا تشريك، ومن هنا أيضاً عابوا على أبي تمام البيت المتقدم، لا والذي هو طالم...، إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وبين كرم أبي الحسين، ولذلك لم يحسن جواز العاطف.
- وإن كان بينهما مناسبة فيجب ذكر العاطف.

- ثم إن كان المصنّف عنه في الجملتين شيئين فللمناسبة بينهما إما أن تكون بالذی أخبر بهما، أو بالذی أخبر عنهما، أو بهما كليهما؛ وهذا الأخير هو المعبر في العطف.
- قال: ونعني بالمناسبة أن يكونا متشابهين، كقولك: زيد كاتب وعمر [شاعر] (١) [أو متضادين تضاداً على الخصوص، كقولك زيد طويل وعمر [قصير، وكقولك: العلم حسن والجمل قبيح، فلو قلت: زيد طويل والخليفة قصير لا أختل معنى عند

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ومن حسن التوصل، وتقام التثنية بضمها.

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضي كما في حسن التوصل.

ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة، ولو قلت : زيد طويل وعمرو شاعر لا أختل لفظاً، إذ لا مناسبة بين الطويل القامة والشاعر .

وإن كان المحلث عنه في الجملتين شيئاً واحداً، كقولك : فلان يقول ويضعل ويضّر وينفع ، ويأمر وينهى ، ويسى ويحسن ، فيجب إدخال العاطف .
فإن الفرض جعله فاعلاً لأمرين، فلو قلت : يقول يفعل بلا عاطف لتوهم أن الثانى رجوع عن الأول .

وإذا أفاد العاطف الاجتماع أزداد الاشتراك^(١)، كقولك : العجب من أنك أحسنت وأسات، والعجب من أنك تهى عن شىء وتأتى مثله، وكقوله :
لا تطمعوا أن تُهينونا ونكرمكم * وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن المعنى جعل الفعلين في حكم واحد، أى لا تطمعوا أن تروا إكرامنا إياكم يُوجد مع إهانتكم إيانا .

قال : وقد يجب إسقاط العاطف في بعض المواضع لاختلال المعنى عند إثباته كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) فقوله تعالى : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كلام مستأنف، وهو إخبار من الله تعالى، فلو أتى بالواو لكان إخباراً عن اليهود بأنهم وصفوا أنفسهم بأنهم يُفسدون فيختل المعنى، وكذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ) وأمثال ذلك كثيرة؛ وإذا كان كذلك فلا حاجة إلى العاطف بخلاف قوله تعالى : (يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (وَمَكْرُوا اللَّهَ) فإن كل واحدة من الجملتين خبرٌ من الله تعالى .

(١) في الأصل : «اشتراك» وهو تحريف .

قال : وما يجب ذكره هاهنا الجملة إذا وقعت حالا فلأنها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فتقول : الجملة إذا وقعت حالا فلا بد أن تكون خبرية تحتمل الصدق^(١) والكذب ، وهو على قسمين :

الأول وله أحوال :

- الأولى : أن يُجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال ، كقولك : جاء زيد وبه على غلامه ، ولقيت زيدا وفرسه سابقه ، وهذه الواو تسمى واو الحال .

الثانية : أن تجيء بالضمير من غير واو ، كقولك : كلمته فوه الى في ، وهو في معنى مشافها ، والرايط الضمير ، فلو قلت : كلمته الى في فوه ، ولقيته عليه جبة وشي لم يكن من باب وقوع الجملة حالا ، لأنه يمكننا أن نرفع فوه وجبة بالهاز والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا ، والتقدير كلمته كلنا الى في فوه ، ولقيته مستقرة عليه جبة وشي ، وعليه قول بشر :

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها * فتدوت مع البازي على سواد.

- الثالثة : أن تجيء الواو من غير ضمير وهو كثير ، كقولك : لقيتك بالجيش قادم وزرنا والشتاء خارج . ويحوز أن يُجمع بين حالين مفرد وجملة إذا أجزنا وقوع حالين كقولك : لقيتك راكبا بالجيش قادم ، فالجملة حال من التاء أو من الكاف ، والعامل فيها فيها لقيت ، أو من ضمير "راكبا" و"راكبا" هو العامل فيها .

القسم الثاني الجملة الفعلية ، ولا بد أن تكون ماضيا أو مضاربا أما الماضي فلا بد معه من الإتيان بالواو وقد أو بأحدهما ، كقولك : تكلمت وقد

(١) كذا في الأصل وحسن التوصل بتذكير الضمير . وهو حائد على الحال لا على الجملة ؛ والحال يذكروا ويثبت . أنظر المصباح مادة «حلد» .

عجلت، وجاء زيد قد ضرب عمرا، وجئت وأمرعت في المجيء، قال الله تعالى :
 ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ولم يُجِزَ البَصَرُونَ خَلَوْهُ عنهما، وقالوا في قوله
 تعالى : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ وفي قول أبي حنيفة المثل :

وإني لتعروني لذ كرك هرة * كما آتَفَضَ المَصْفُورُ بِلَه القَطَر :

إِنَّ قَد مَقْدَرُهُ فَيُحَا، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ مَوْضِعُهُ جَازَ حَذْفُهُ .

وأما للمضارع فإن كان موجبا فلا يرقى معه بالواو، فنقول : جاءني زيد
 يضحك، ويحيى عمرو يسرع، وأجلس تحتنا بالرفع أى عهدنا لنا، لأنه بتجوده
 عما يغير معناه أشبه آمم الفاعل إذا وقع حالا .

وإن كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لأصل الفعل الذي هو الإيجاب
 وجاز إثباتها، لأن الفعل ليس هو الحال، فإن معنى قولك : جلس زيد ولم يتكلم
 جلس زيد غير متكلم، بغرى تجرى الجملة الإسمية، فالحذف كقولك : جاء
 زيد ما يقو بهبت شفة، قال الله تعالى : ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لِيَمَسَّنَا
 فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسَّنَا فِيهَا تَلُوبٌ﴾ فقوله : لا يمسنا في موضع نصب على الحال من
 ضمير المرفوع في أحلنا، والإثبات كقولك : جلس زيد ولم يتكلم، قال الله تعالى :
 ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ . قال : وشبهوا به الفعل
 الماضي فقالوا : جاء زيد ما ضرب عمرا، وجاء زيد وما ضرب عمرا .

وأما الحذف والإضمار— فقد قال : الأفعال المتعدية التي ترك ذكر مفعولاتها
 على قسمين :

الأول : ألا يكون له مفعول معين، فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويُجمل حاله
 كحال غير المتعدى، كقولهم : فلان يَحُلُّ وَيَقْدِرُ، ويأمر ويَنْهَى، وبضرب وينفع
 (١) في الأصل : «إلا بالواو» وقوله : «إلا» زيادة من النسخ، إذ هي بخلاف المراد .

والمقصود إثبات المعنى في نفسه للشيء من غير التعرض لحديث المفعول، فكأنك قلت: بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهى ونفع وضرر، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن ينص على معلوم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَشْحَكُ وَأَبْشَرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْفَى وَأَقْفَى﴾ وبالجملة فحي كان الفرض بيان حال الفاعل فقط فلا تمد الفعل، فإن تعديته تنقض الفرض. ألا ترى أنك إذا قلت: فلان يعطى الدنانير كان المقصود بيان جنس ما يتناولوه الإعطاء لا بيان حال كونه معطيا ؟

الثاني: أن يكون له مفعول معلوم إلا أنه يُحذف في اللفظ لأغراض:

الأول: أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأنت ذلك الحال دأبه لا بيان المفعول

كقول طُفَيْل:

جزى ألقمتا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملؤا ولو أن أمتا * ثلاني الذي لا قوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس والجلوا * إلى مجبرات أدفات وأظلت

والأصل أن يقول: لمتنا وأجلونا وأدفاتنا وأظلتنا، فحذف المفعول المعين من هذه

المواضع الأربعة، وكأنه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه، كما تقول: قد مل فلان، تريد قد دخل عليه المال من غير أن تخصص شيئا بل لا تريد مل أن يجعل

(١) في حسن التوسل: «الفعل» والمعنى يستقيم حل كليهما.

(٢) في الأصل: «من القروش» بقاء مثاة وشين مجمة، وهو تحريف، والتصويب من دلائل الإيجاز وفيه من كتب البلاغة والأدب.

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل. ومباراة دلائل الإيجاز ص ١١٥ ط النار: «وكان الفعل»
قد أبهم أمره ولم يقصد به قصد شيء يقع عليه» وهي أظهر.

المَلَل من صفته، فلذلك الشاعرُ جعل هذه الأوصافَ من دأبهم، ولو أضاف إلى مفعول معين لبطَل هذا الغرض، وعليه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَمَسَقُ لَهَا﴾ فقد حذف المفعول في أربعة مواضع، فإن ذكره ربما يُحِلُّ بالمقصود، فلو قال تعالى مثلا: تَنُودَانِ غَنَمَهُمَا لَتَوَهُمَّ أَنَّ الْإِنكَارَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ ذَوْدِهِمَا الْغَنَمَ لَا مِنْ مَطْلَقِ التَّوَدِّ، كقولك : مالك تمنع أخاك؟ فإنَّ الإنكار من منع الأخ لا من مطلق المنع .

الثاني : أن يكون المقصود ذكره إلا أنك لا تذكره إيماءً بأنك لا تقصد ذكره كقول البحرى :

شَجَوُ حَسَادِهِ وَغِيْظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مَبْصَرًا وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصرُ محاسنه، أو يسمع واعي أخباره، ولكنه تتافل عن ذلك إيماءً بأن فضائله يكفى فيها أن يقع عليها بصرٌ أو يسمع حتى يعلم أنه المتفرد بالفضائل، فليس لحساده وعدائه شيء من علمٍ بأن هتا مبصرا وسماعا .

الثالث : أن يُحذف لكونه يئنا، كقولهم : أصغيت إليك، أى أذنى، وأغضيت عليك، أى جفنى .

فصل في حذف المبتدأ والخبر

قال : قد يحسن حذف المبتدأ حيث يكون الغرض أنه قد بلغ في استحقاق الوصف بما جُمِلَ وصفًا له إلى حيث يُعلم بالضرورة أن ذلك الوصف ليس إلا له سواء كان في نفسه كذلك، أم بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة، فيذكره

(١) في الأصل : «أرى والصواب ما أثبتنا كاختصيه القواعد؛ قال في معنى اللبيب ص ٢٢ ط الحلي : إذا حُفِظت بسد الهزة بأوتان كانت هزة النسوية لم يميز قياسا، وقد أوقع الفقهاء وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا، وهو نظير قولهم : يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا؛ والصواب السلف في الأول بأم ... الخ .

يُطِيلُ هَذَا الْفَرْصَ ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أَسْمٍ يُحْنَفُ فِي الْحَالَةِ
الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْنَفَ فِيهَا إِلَّا وَحَدَّثَهُ أَحْسَنَ مِنْ ذِكْرِهِ ، فَمِنْ حَذَفِ الْمُبْتَدَأِ قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ ^(١) أَيْ هَذِهِ سُورَةٌ ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يُعِيدُ اللَّهُ التَّلْبِيْبَ ^(٢) وَالْخَارَاتِ إِذْ قَالَ الْجَنِيْسُ نَمَّ

- أَيْ هَذِهِ نَمَّ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُدُ فِيهَا حَذَفُ الْمُبْتَدَأِ
بِالْقَطْعِ وَالِاسْتِنْفَافِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ وَيَقْتُمُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ، ثُمَّ يَدْعُونَ
الْكَلَامَ الْأَوَّلَ وَيَسْتَأْثِرُونَ كَلَامًا [آخِرَ] ^(٣) وَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَتَوْا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِخَبَرٍ مِنْ
غَيْرِ مُبْتَدَأٍ ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَذَا * كَمْ مُتَازِلٌ كَتَبًا وَتَهْدَا

قَوْمَ إِذَا لَيْسُوا الْحَدِيدَ شَمَّرُوا حَقًّا ^(٤) وَقَلَّا

١٠

وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

هُمْ خَلَوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلُوثِ * وَمِنْ حَسْبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاعُوا

بُنَاءَ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةَ كَلِمٍ * دُمُؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءِ ^(٥)

وَأَمْثَلُهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ .

٢٠

- (١) التَّلْبِيْبُ : التَّحَرُّمُ بِالسَّلَاحِ ، يَرِيدُ التَّهَيُّزَ لِلْحَرْبِ . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَبَعْدَهُ دَلَالٌ
الْإِعْجَازُ ص ١٠٦ ط المار : «القطع والاستنفاف يدعون» الخ يسقط الباء وقوله : «أنهم» ، والمعنى
يستقيم على كتا المارين . (٣) الزيادة عن دلائل الإعجاز . (٤) في الأصل : «في ذلك» وقوله
«في» زيادة من الناصح . (٥) كذا في الأصل بإلغاء المصيبة . وفي دلائل الإعجاز ص ١٠٧
ط المار : «حقا» بإلغاء المهملة ، والمعنى يستقيم على كل من الروايتين ، والقاعدة بكسر التاء : الجلب .
(٦) الكلب بالتصريح : داء يمرض الإنسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا يعنى
أحدا إلا كلب ، وتعرض له أعراض رديئة ، ويحتج من شرب الماء حتى يموت عطشا . وأراد الخطيب
بهذه العبارة وصف من يندسهم بالشرف والسيادة ، قال الهياثي : إن الرجل الكلب يعنى إنسانا فياتون
وجلا حرمها فيقتلهم من دم أمييه فيقولون الكلب فيرا .

١٥

٢٠

ومن حذف الخبر قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أى لولا أنتم مضبوطا
وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لولا على هلك عمر ، أى لولا على حاضر
أو مقيت .

فصل

الإضمار على شريطة التفسير كقولهم : أكرمنى وأكرمت عبد الله
أى أكرمنى عبد الله وأكرمت عبد الله ، وما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاءت
بعد لو ، فإن كان مفعولها اسما عظيما أو غريبا فالأولى ذكره ، كقوله :
ولو شئت^(١) أن أبكى دما لبكىته • عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
فإن بكاء الإنسان دما عجيب ، وإن لم يكن كذلك فالأولى حذفه ، كقوله
تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ والتقدير لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى
لجمعهم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ يَسْأَلْكُمْ
يَحْيَىٰ عَلَىٰ قَالِكٍ﴾ و﴿مَنْ يَسْأَلْهُ يَضِلُّهُ وَمَنْ يَسْأَلْهُ يَهْدِهِ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .
قال : واعلم أنه قد ترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة العظمة
كقول البحرى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو • دد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ، ثم حذف ، لأن هذا المدح إنما يتم بنفى المثل ، فلو قال :
قد طلبنا لك مثلا فى السؤدد والمجد فلم نجده لكان قد أوقع قبح الوجود على ضمير
المثل ، فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا أوقفه على صريح المثل ، فإن الكناية لا تبلغ مبلغ

(١) البيت الخزيمى ، وهو إسحاق بن حسان ، ويكنى بأبى يعقوب ، وكان من السيم ، وكان مولى
ابن خزيم الذى يقال لأبيه خزيم الناعم . وهذا البيت من قصيدة يرى بها أبا الهيثم ، وهو عامر بن
عمارة الخزيمى ، وهو والد موسى بن طاهر المحدث . أنظر ساعد التنصيص ص ١١٣ و ١١٦ ط بولاق .

الصریح ، ولهذا لو قلت : وإلحق أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد . وهو الصمد لا تجدد من الصّامة ما تجده في قوله تعالى : ﴿ وَإِلْحَاقُ أَنزَلْنَاهُ وَإِلْحَاقُ نَزْلٍ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ وعلى ذلك قول الشاعر :

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ * تنصّ الموتُ ذا النفي والفقر.

• وأما مباحث إن وإلما — فإنه قال : أما إن فلها فوائد :

- الأولى أن تربط الجملة الثانية بالأولى ، وبسببها يحصل التاليف بينهما حتى كأن الكلامين أفرضا إفرازا واحدا ، ولو أسقطتها كان الثاني ثانيا عن الأول ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وقد تتكرر في كلام واحد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيهِمْ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ثم متى أسقطت « إن » من الجملة التي أدخلتها عليها ، فإن كانت الجملة الثانية إنما تذكر لإظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة أحتجت إلى الفاء ، وإلا فلا ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ فلو قلت :
 ١٠ فالمتقون لم يكن كلاما ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنُّصَارَى وَالْحَبْشَةَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ في موضع خبر إنك ، فدخل الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدأ ، وهو غير جائز عند أكثر النحويين .

الثانية : أنك ترى لضمير الشأن والقصة في الجملة الشرطية مع «إك» من الحسن واللفظ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليها، كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَنَّهُ مِنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

الثالثة : أنها تهيئ النكرة وتصلحها لأن يحدت عنها، كقوله : ^(١)

إِن شِوَاءَ وَنَسْوَةٌ • وَغَيْبِ الْبَازِي الْأَمُونِ ^(٢)

فلولا هي لم يكن كلاما ؛ وإن كانت النكرة موصوفةً جاز حذفها ولكن دخولها أصح، كقول حسان :

إِكْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجَمَلٍ • زَمَانٌ يَمُ الْإِحْصَانِ .

❶

الرابعة : أنها قد تُضَي عن الخبر، كما إذا قيل لك : الناس إِلْبٌ عَلَيْكُمْ فهل لكم أحد؟ قلت : إك زيدا وإك عمرا، أي لنا، قال الأعشى : ^(٣)
إِن عَمَلًا وَإِك مُرَحَلًا • وَإِك فِي السَّفَرِ أَدْمَضُوا مَهَلًا . ^(٤)

(١) البيت لسلي بن ربيعة .

(٢) الخب هو المراحة بين الدين والرجلين في السير، أروقت الأيمن جيما والأيسر جيما فيه .
والأمون : النافة الوثيقة الخلق ، الأمورة العتار والإعلاء ، جمه أمن ككتب .

(٣) الإلب بكسر الهمزة ، وتفتح في لغة : الجماعة .

(٤) هو الأعشى الأكبر واسمه سمون بن قيس بن جندل بفتح الجيم .

(٥) كذا في الأصل وحسن القوسل . والذي في مساحد التتميض ص ٩٢ ط بولاق : (وإن في شعر من مضى مثلا) وكلتا الروايتين توكّدت معنى صحيحا ؛ ورواية اللسان مادة «حل» : «وإن في السفر ما مضى مهلا» ، وقال في تفسيره : أراد بالسفر الذين ماتوا فصاروا في البرزخ ، والمهل : البقاء والانتظار .

- الخامسة : قال المُبَرَّد : اذا قلت عبد الله قائم ، فهو إخبار عن قيامه ، فاذا قلت :
 إن عبد الله قائم ، فهو جواب عن إنكار مُنْكَرٍ لقيامه ، سواء كان المنكر هو السائل
 أو الحاضرين ، والدليل على أنَّ إنَّ إنما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من
 المبتدأ والخبر ، نحو : والله إنَّ زيدا لمطلق ، فالجاجة إنما تدعو الى « إنَّ » اذا كان
 السامع ظنَّ بخالف ذلك ، ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يتعد ، كقول
 أبي نواس :

ملك بالياس من الناس • إنَّ ضيِّفَ نَفْسِكَ في الياس .

- ومن لطيف مواقفها أن يُدعى على المخاطب ظنًّا لم يظنه ولكن [صدر] منه فعل^(٣١)
 يقتضى ذلك الظنَّ ، فيقال له : جالك تقتضى أن تكون قد ظننت ذلك ، كقول
 الشاعر^(٤) :

١٠

جاء شقيق عارضا رحمه • إنَّ بنى عمك فيهم رماح

- أى جيتك هنا مُدِلًّا بنفسك بجيء من يَتَقَدُّ أنه ليس مع أحد ربح غيره .
 وقد بجى اذا وجد أمر كان المتكلم يظنُّ أنه لا يوجد ، كقولك للشيء الذى أراد المخاطب^(٥)
 ويسمعه : إنه كان من الأمر ما ترى ، إنه كان منى إليه إحسان فقابلنى بالسوء
 كأنك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت ، وعليه قوله عز وجل حكاية عن أم مريم :
 ١٥ ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾ وحكاية عن نوح : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَوْمِى كَذِبُونَ ﴾ .

(١) فى الأصل : « بآن » ، والباء زيادة من النسخ .

(٢) فى الأصل : « ينفذ » ، وفى حسن التوسل : « متد » وهو تحريف فى طلبها .

(٣) الكلمة التى بين مريمين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها . انظر حسن التوسل

ص ٣٩ ط الوهاية .

٢٠

(٤) هو جمل بن فضة .

(٥) كذا فى حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهاية . والذى فى الأصل : « له » .

وأما إنما - فارة تحيى، المحصر بمعنى أن هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور
وهي بمنزلة ليس إلا، كقوله تعالى : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمُونَ) وقوله :
(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) وقوله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ) .
ونارة تحيى، لبيان أن هذا الأمر ظاهر عند كل حد، سواء كان كذلك أم في زعم
المتكلم، ومنه قول الشاعر :^(١)

إنما مُصْعَبُ شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلمات
مدعى أن ذلك مما لا ينكره أحد من الناس، قال : وأعلم أنه يستعمل للتخصيص
ثلاث عبارات :

الأولى : إنما جاء زيد؛

الثانية : جاعى زيد لاعمرو، والفرق أن في الأولى يُفهم إصباح الفعل من زيد
ونفيه عن غيره دفعة واحدة، ومن الثانية دفتين، ثم إنهما كليهما يستعملان لإثبات
التخصيص لا لنى التشريك؛ وفيه نظر .

الثالثة : ما جاعى إلا زيد، وهي بأصل الوضع تحيد نى التشريك، ولهذا لا يصح
ما زيد إلا قائم لا قاعد، لألك بقولك : إلا قائم نغيت عنه كل صفة تنافى القيام،
فيندرج فيه نى القعود، فأننا قلّت بعده : لا قاعد كان تكراراً لأن لفظة «لا»
موضوعة لأن ينفى بها ما أوجب الأول لا لأن يباد بها نى ما نفى أولاً، ويصح إنما
زيد قاعد لا قائم، لأن صيغة «إنما» بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمدكور،

(١) في الأصل : «أر» ؛ والصواب إثباتا كما تقتضيه القواعد، انظر منى اليب ص ٢ ؛ ط الحلي .

(٢) هو عبد الله بن نيس الرقيات، قاله في مصب بن الزير، وكان مقطعا إلى كثير الملح له .

(٣) في الأصل : « كلاهما » بالأنف، والفتحة تختص ما أثبتنا .

(٤) في حسن التوسل ص ٣٩ ط الوهابية : «خاد» بالفاء الموحدة ؛ والمضى يستقيم على كليهما .

- وأما قى الشُّرْكة فهو لازمٌ من لوازمها، فليس له من القوة مآ يدل عليه بوضعه، ولهذا يصح: زيد هو الجاني لا عمرو،^(١) فنبت أن دلالة الأولين على التخصيص أقوى، ودلالة الثالثة على قى التشريك [أقوى]^(٢)، لكن الثالثة قد تمام، تمام الأولين في إفادة التخصيص، كما إذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قلت بخلافه، فقلت له: ما قلت الآن إلا ما قلته قبل، وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتني به شيئاً، ولكن المعنى أنى لم أدع مما أمرتني به [أن]^(٣) أقوله شيئاً.

- قال: وحكم «غير» حكم «إلا» فإذا قلت: ما جاءنى غير زيد آحتمل أن يكون المراد قى أن يكون جاء معه إنسان آخر، وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالذكور لا نفيه عما عداه.

فصل

- إذا دخل ما وإلا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود بالذكر ما اتصل بإلا متأخراً عنها، فإذا قلت: ما ضرب عمراً إلا زيد، فالمقصود المرفوع، وإذا قلت: ما ضرب زيد إلا عمراً، فالمقصود المنصوب، وإذا قلت: ما ضرب [إلا] زيد عمراً، فالاختصاص للضارب، وإذا قلت: ما ضرب إلا زيداً عمرو، فالاختصاص للضروب، فإذا قلت: لم أكس إلا زيداً جبة، فالمعنى تخصيص

(١) في الأصل: «الجاني» وهو تعريف.

(٢) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل، وقد قلنا ما من حسن التوصل، والتمام يقتضى إثباتها.

(٣) عبارة الأصل: «بـ أقوله» يسقط لفظة «أن»؛ وما أثبتناه من حسن التوصل من نسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب.

(٤) في الأصل: «من الفكر»؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا.

(٥) الكلمة الموضوعة بين مربعين من حسن التوصل، وصحة التمثيل تقتضيها.

زيد من بين الناس يكسوة الجبة، وإن قلت : لم أكنس إلا جبة زيدا، فالعنى
تخصّص كسوة جبة من بين الناس بزيد، وكذلك الحكم حيث يكون بدل أحد المفعولين
جاراً ومجروراً، كقول السيد الجيرى :

لو خير المنبر فرسانه * ما أختار إلا منكم فارما.

وكذلك حكم المبتدأ والخبر والتعليل والفاعل، كقولك : ما زيد إلا قائم، وما قام
إلا زيد .

وأما إنما فالاختصاص فيها يقع مع المتأخر، فإذا قلت : إنما ضرب زيدا عمرو
فالاختصاص فى الضارب، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فالغرض
بيان المرفوع وهو أن الخاشعين هم العلماء، ولو قُتِم المرفوع لصار المقصود بيان الخشية
منه، والأول اتم، ومنه قول الفرزدق :

أنا النائد الحامى اللمار وإنما * يندافع عن أصحابك أنا أو مثلى

فإن غرضه أن يحصر المدافع بأنه هو لا المدافع عنه، ولو قال : إنما أنا أدافع
عن أصحابك، توجه التخصيص الى المدافع عنه، [وحكم المبتدأ والخبر] إذا أدخلت^(١)
عليها إنما، فإن قلّمت الخبر فالاختصاص للمبتدأ، وإن لم تهتمه فلخبر، فإذا
قلت : إنما هذا لك فالاختصاص فى "لك"^(٢)، بدليل أنك بعده تقول : لا لغيرك،
فإذا قلت إنما لك هذا فالاختصاص فى "هذا"، بدليل أنك بعده تقول : لا ذاك، وعليه
قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَمَلَيْنَا الْحِسَابَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَسْئَلُ عَلَى الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُوكَ ﴾ فالاختصاص فى الآية الأولى للبلاغ والحساب، وفى الثانية فى الخبر
الذى هو على الذين دون المبتدأ الذى هو السبيل .

(١) هذه الكلمة الموضوعة بين مربعين ساقطة من الأصل ومن حسن التوسل ؛ وسياق الكلام يقتضها .

(٢) فى الأصل : « ذلك » وهو محرف .

وإذا وقع بعدها الفعل فالمنى أن ذلك الفعل لا يصبح إلا من المذكور، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ ثم قد يجتمع معه حرف النفي، إما متأخرا عنه كقولك، إنما يعني زيد لا عمرو؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لِّسَاطِطِهِمْ بِمُصِيطِهِمْ﴾ وقال لبيد:

فإذا جوزيت قرضا فأجزه • إنما يجزي النقي ليس الجمل^(١)

وإما مقدما عليه، كقولك: ما جاءني زيد وإنما جاءني عمرو، فهذا هو لم نقل: إنما، وقلت: ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاءاك جميعا، وإذا أدخلتها فإن الكلام مع من غلط في الجائي أنه زيد لا عمرو.

قال: وإعلم أن أقوى ما تكون «إنما» إذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس

- معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، فإذا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار ويقال لهم: إنهم من فرط العناد في حكم من ليس بذي عقل، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ والتقدير إراك من لم تكن له هذه الخشية، فهو كمن لم تكن له أذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار، وهذا الغرض لا يحصل دون «إنما» لأن من شأنها تضمين الكلام معنى النفي بعد الإيجاب، فإذا أسقطت لم يبق إلا إثبات الحكم للذكورين، فلا يدل على نفيه [عن] غيرهم إلا أن يُذكر في معرض مدح الإنسان بالتيقظ والكرم وأمثالها، كما يقال: كذلك يفعل الماقل، هكذا يفعل الكريم.

(١) مجز هذا البيت يضرب مثلا في المكافأة، والمراد: إنما يجزيك من فيه إنسانية لا بهيمة.

(٢) في الأصل: «وما تختم» وهو تحريف. (٣) حجارة الأمل وحسن التوصل: «في غيرهم» وفيها قص لا يستقيم به المعنى. وما أبتناه تفضيه صحة العبارة، وما قبله يؤيده.

تثنيه -- قال : كاد تَقَرَّبَ الفعل من الوقوع ، فنثنيهاً يَنْثِي القُرْبَ ، فإن لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فيفيد تَقَى الوقوع وتَقَى القرب منه ، كقوله تعالى : (لَمْ يَكُنْ بِرَأْفًا) [أى لم يَرْفًا] ولم يَاقرب رؤيتها ، وكقول ذى الرمة :

إذا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكُنْ * رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حَبِيبَةِ يَرْحَمُ
المنى أن يَرَّاحَ حبها لم يَاقرب الكَوْنُ فضلاً عن أن يكون .

وأما النظم -- فهو عبارة عن تونى معانى النحو فيما بين الكَلِمِ ، وذلك أن تَضَعْ كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو بأن تنظر في كل باب إلى قواعده والفروق التى بين معانى اختلاف صيغِهِ ، وتضع الحروف مواضعها وتراعى شرائط التقديم والتأخير ، ومواضع الفصل والوصل ، ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها ، وتعتبر الإصابة في طريق التشبيه والتجليل .

وقد أطلق العلماء على تعظيم شأن النظم ، وأن لا يفضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه إلى ما بلغ ، وأق سبب فسادهِ [تَرْكُ] العمل بقوانين النحو واستعمال الشيء في غير موضعه .

ثم قال : الْجُمْلُ الكثيرة إذا نُظِمَتْ نظماً واحداً فهي على قسمين :
الأول : أن لا يتعلّق البعض ببعض ولا يحتاج واضعه إلى فكر وروية في استخراجه ، بل هو كنّ عَمْد إلى الآلات ينظمها في سلك ، ومثاله قول الجاحظ

- (١) الكلمة الموضوعة بين مريمين عن حسن التوسل ؛ والمقام يقتضى إثباتها .
- (٢) في الأصل : « ما » والتصويب عن حسن التوسل وشره . ورويس الهوى : بفتح واؤه ، أو هو الثالث الذى قد لم مكانه ولم يرحه .
- (٣) في الأصل : « مقاربتا » وهو تحريف ؛ والتصويب عن حسن التوسل .
- (٤) في الأصل : « منه » ؛ وهو تحريف .
- (٥) الكلمة الموضوعة بين مريمين عن حسن التوسل ؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها .

- في مصنفاته : جَبَّكَ اللهُ الشُّبُهَةَ ، وعصمك من الخيِّرة ، وجعل بينك وبين المعروف
نَسِيًّا ، وبين الصدق سببًا ، وَجَبَّ اليك التَّثَبُّتُ ، وَزَيَّنَ في عينك الإنصاف
وأناذك حلوة التقوى ، وأشعر قلبك حِرْمَ الحق ، وأودع صدرك بَرْدَ اليقين ، وطرد
عنك ذُلَّ الطمع ، وعزفك مافى الباطل من اللُّثْلَة ، وما في الجهل من القِلَّة . وكقول
الناطقة للثمان ومفضله إياه على ذى فائض يزيد بن أبي جَفَنَةَ ^(١) ، وكقول حَسَّانَ
ابن ثابت لما رث الجَفَنِيَّ يفضله على النعمان بن المنذر ، وكقول ضَرَارِ بْنِ صَمْرَةَ لمعاوية
في وصف عليٍّ ؛ وقد تقدّم شرح أقوالهم في الباب الأوّل من القسم الثالث من هذا
الفن في الملح ، وهو في السِّفَرِ الثالث فلا حاجة بنا الى إعادته . وهذا النظم لا يستحق
الفضل إلا بسلامة معناه وسلامة ألفاظه ^(٢) ، إذ ليس فيه معنى دقيقٌ لا يُدْرِكُ إلا بتأقّب
الفكر .

١٠

- قال : وربما طُلُقَ بالكلام أنه من هذا المجلس ولا يكون منه ، كقول الشاعر :
سالت عليه شعابُ الحَيِّ حين دعا * أنصأره بوجوه كالدنانير
فإن الحسن فيه ليس مجرّد الاستمارة ، بل لما في الكلام من التقديم والتأخير ^(٣) ،
ولهذا لو أزلت ذلك قلت : سالت شعابُ الحَيِّ بوجوه كالدنانير عليه حين دعا
أنصأره ، فإنه يذهب بالحسن والحلاوة .

١٥

(١) كذا في الأصل . وصوابه سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يعصب بن مالك ، وكان الناطقة مقطعا
إليه قبل اتصاله بالثمان ، كما في السفر الثالث من هذا الكتاب الذي أسأل عليه . وقاض : موضع باليمن كان
يحميه سلامة بن يزيد كما في شرح القاموس . وقال باقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٨٤٩ ط المدرسة
المخرومة بمدينة فنتنة : « وقاض واد في أرض اليمن » ، وبه سمى سلامة بن يزيد بن هريرة بن تريم بن
مرثد : ذا فائض .

٢٠

(٢) في حسن القوسل ص ٤١ ط الوهاية : « وسلامة » بالسین المهملة ، والمعنى يستقيم على كل منهما .
(٣) في الأصل : « النكأب » وهو تحريف .

الثاني : أن تكون الجمل المذكورة يتماق بعضها ببعض ، وهناك تظهر قوة الطبع ، وجودة التريخية ، واستقامة الذهن .

ثم [ليس] لهذا الباب قانون يُحفظ ، فإنه يحى على وجوه شتى :

منها الإيجاز ، وهو العبارة عن الفرض بأقل ما يمكن من الحروف ، وهو على ضربين : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف ، وقد تقدم الكلام على ذلك وذكر أمثله عند ذكر الفصاحة .

ومنها التأكيد — وهو تقوية المعنى وتقريره ، إما بإظهار البرهان ، كقول قابوس :

يا ذا الذى بصُروف الدهر عَبرنا * هل عائد الدهر إلا من له خَطر
أما ترى البحر تملو فوقه جَيف * وتَسْتَقِرُّ بأقصى قعره الدَّرد
وفي السماء نجوم ما لها عَدد * وليس يُحْصَى إلا الشمس والقمر
وإما بالمعزية ، كقوله تعالى : ﴿ قُورِبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَطْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ وكقول الأَشْثَرِ النَّخَعِيِّ :

بَقِيْتُ وَفَرَى وَأَحْرَفْتُ عَنِ الْعَمَلِ * وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ حَبُوس
إِن لَمْ أَشْنُ عَلَى أَبْنِ حَرْبٍ غَارَةً * لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ قُوس
يريد معاوية بن أبي سفيان ، وكقول أبي نواس :

لا تَرْجِ اللَّهَ عَنِّي إِنْ مَدَدَتْ يَدِي * إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ مِنْ حَبْكِ الْفَرْجِ

(١٢)

(١) الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ واستقامة العبارة مخفضة إثباتها . انظر حسن التوسل ص ٤١ ط الوهاية .

(٢) في الأصل وفي حسن التوسل : « غير ذي عدد » ، وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن القسرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أراء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٨ أدب .

وكقول أبي تمام :

حُرِمْتُ مَنَى مَنكِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي * تَقُولُهُ الْوَاشُونَ حَقًّا كَمَا قَالُوا .

أو بالتكرار، كقولهم : اللَّهُ أَكْبَهُ، وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ، وكقول الحاذِرَةِ ^(١) :

أُظَاعِنَةُ وَمَا تَوَدَّعْنَا هُنْدُ * وَهَنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

وهذا في التثنية كثير، وَالْعَلَمُ فِيهِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ .

وَأَمَّا التَّجْنِيسُ — فَهُوَ يَتَشَبَّهُ مِنْهُ شُعْبٌ كَثِيرَةٌ :

فَمِنْهُ الْمُسْتَوْفَى التَّامُّ — وَهُوَ أَنْ يَمِيَّءَ الْمُتَكَلِّمُ بِكَلِمَتَيْنِ مُتَّفَقَتَيْنِ لَفْظًا، مُخْتَلِفَتَيْنِ

مَعْنَى، لَا تَفَاوُتَ فِي تَرْكِيبِهِمَا، وَلَا اخْتِلَافَ فِي حَرَكَتَيْهِمَا، كَقَوْلِ الْغَزَّيِّ :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانٌ يَلَاذِبُهُ * فَلَا بَرَحَ لَمِينِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا

وقول عبادة بن طاهر :

وَأَنَّى لِلثَّغْرِ الْخَوْفُ لِكَالِي * وَلِلثَّغْرِ يَمْرَى ظُلْمُهُ لِرُشُوفِ

وكقول البُسْتِيِّ :

سَمَاءٌ وَحَمَى بَنَى سَامٍ وَحَامٍ * فَلَيْسَ كَشَلِّهِ سَامٌ وَحَامِي

وذكر التبريزي أن التجنيس المستوفى كقول أبي تمام :

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَحْيَا لَدَى يَمِيٍّ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ

وقال : وإنما عُدَّ مِنْ هَذَا الْبَابِ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ أَحَدُهُمَا فَعْلٌ،

وَالْآخَرُ أَسْمٌ .

(١) هروقة بن أوس التميمي، والحاذرة لقبه .

(٢) الظلم بفتح الظاء المسبوبة : ماء الأسان وبريقها .

ومنه المختلف — ويسمى التجنيس الناقص — وهو مثل الأول في اتفاق

حروف الكلمتين إلا أنه يخالفه : إما في هيئة الحركة، كقوله صلى الله عليه وسلم
 "اللهم كما حسنت خلقي لحسن خلقي"؛ وكقول معاذ رضى الله عنه : الدين يهدم..
 الدين؛ وكقولهم : جبة البرد جنة البرد؛ وكقولهم : الصديق الصديق أول المقد
 وواسطة المقد؛ وكقول المعري :

لنيرى زكاة من جمال فإن تكن * زكاة جمال فاذا كرى ابن سبيل

أو بالحركة والسكون، كقولهم : البدة شرك الشرك. أو بالتخفيف والتشديد
 كقولهم : الجاهل إما مفريط وإما مفرط .

ومنه المذيل — ويقال له : التجنيس الزائد والناقص أيضا — وهو أن يحىء

بكلمتين متجانستى اللفظ متفقى الحركات، غير أنهما يختلفان بحرف، إما في آخرهما
 كقولك : فلان حاتم حامل لأعباء الأمور، كاتم لمصالح الجمهور؛ وقولهم :
 أنا من زمانى فى زمانه، ومن إخوانى فى خيانه ؛ وقولهم : فلان سالى عن إخوانه ،
 سالم من زمانه ؛ ومن النظم قول أبى تمام :

يكدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواص قواصيب

وقول البحتري :

لئن صلبت عتا قربت أنفص * صوادى تلك النفوس الصواف

وإما من أولها، كقوله تعالى : (وَأَلْقَيْتُ الْحَسَاىَ السَّاقِىَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْحَسَاىَ)

ومن النظم ما أنشد عبد القاهر :

وكم سبقت منه إلى عوارف * شائى من تلك العوارف وأرؤف

وكم غرر من بره ولطائف * تشكرى على تلك اللطائف طائف .

(١) كذا فى الأصل وحسن التوسل . وجه التمثيل بها حتى ، و«ظاهر أن محل التمثيل أول العبارة .

(٢) كذا فى الأصل ونزاة الأدب المعوى ص ٣٠ ط بلاق ؛ والهدى فى حسن التوسل : « من أترانه » .

ومنه المركب وهو على ضربين :

الأول : ما هو متشابه لفظا وخطا ، كقولهم : هَمَتِكَ الهمّة الفاترة ، وفي صميم قلبك أنفاته ، ومن النظم قول البُستيّ :

إِذَا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبِهِ * فَدَمَهُ فِدْوَلُهُ ذَاهِبِهِ

وقول الآخر :

عَضَبْنَا الدَّهْرَ بِنَابِهِ * لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ

وقول طاهر البصري :

نَاطِرَاهُ فَيَا جَنِي نَاطِرَاهُ * أَوْدَعَانِي رَهْنًا بِمَا أَوْدَعَانِي .

الثاني : ما هو متشابه لفظا لاختلا ويسمى التجنيس ^(١) [المفروق] ، كقوله :

كُنْتُ أَطْلَعُ فِي مَجْرِيكَ ، وَمَطَايَا الْجَهْلِ تَجْرِي بِكَ ؛

ومن النظم قول الشاعر :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرَّوَاةِ قَصِيدَةً * مَا لَمْ تَكُنْ بَالِغَةً فِي تَهْذِيبِ

فَلِإِذَا عَرَضْتَ الْقَوْلَ فَيْرْمَهْذَبٌ * عَدُوهُ بَنِكَ وَمَاوِسَا تَهْذِي بِهَا

وأمثال ذلك كثيرة .

ومن أنواع المركب المرفق ، وهو أن يجمع بين كلمتين إحداهما أقصر من

الأخرى ، فنضم إلى القصيدة حرفا من حروف المعاني أو من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يتبدل ركنها التجنيس ، كقولهم :

يَا مَغْرُورَ أَمْسِكَ ، وَقَسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ ؛

ويقرَّب منه قول الهمذاني :

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا حِفْظٌ فِي دَرَكِ دَرَكٍ ، تَخَفَّضْنَا مِنْ شَرَكِ شَرَكٍ ؛

(١) الكلمة التي بين مربعين من حسن التوسل ص ٤٤ ط الرواية ؛ واستقامة الكلام تقتضي إنباتها .

وقول الحريري :

إِنْ أَخْلَيْتَ مِنَّا مَبَارِكَ مَبَارِكَ، نَخْطِصْنَا مِنْ مَعَارِكَ مَعَارِكَ؛

ومن النظم قول البستي :

فَهَيْتُ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي • فَهَيْتُ وَلَا تَجِبُ أَنْ أَهْيَا

ومنه قول الآخر :

نُورَاحَةٌ وَكَفَّتْ نَدَى وَكَفَّتْ رَدَى • وَقَضَتْ يَهْلِكَ عُذَاتُهُ وَعِدَاتُهُ

كَالْنَيْتِ فِي إِرْوَاهِ وَرُوَاهِ • وَاللَيْتِ فِي وَثْبَاهِ وَثْبَاهِ.

ومنه المزدوج — ويقال له التجنيس المزدوج والمكرر أيضا — وهو أن يأتي

في أواخر الأبحاج وقوافي الأبيات بلفظتين متجانستين إحداهما نيمية الأخرى

وبعضها، كقولهم : الشراب بغير النعم فم، وبغير النعم سم؛

وقول البستي :

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْسَبْ لَشَيْئِي ^(١) • بَاقِي مِنْ حُلِّ الْأَشْعَارِ طَارِي

فَلِي طَبِيعَ كَسَلَسَالٍ مَعِينٍ • زُلَالٌ مِنْ دُرَى الْأَحْجَارِ جَارِي

إِذَا مَا أَكَبْتَ الْأَدْوَارَ زَيْدًا • فَلِ زَيْدٍ عَلَى الْأَدْوَارِ وَارِي.

ومن أجناس التجنيس المصحف — ويقال له تجنيس الخط أيضا —

وهو أن تأتي بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً، كقوله تعالى : (وَهُمْ يُحْشَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ) وقوله تعالى : (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي)

وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالأيكار فإنهن أشدُّ حُباً وأقلُّ حِبَا » وقول النبي ^(٢)

صلى الله عليه وسلم [لعلّ] رضى الله عنه : قَصْرٌ مِنْ ثِيَابِكَ فَإِنَّهُ أَبْيَى وَأَبْيَى وَأَبْيَى.

(١) في حسن التوسل : « لشيء » بالياء، وهو تعريف . (٢) عبارة الأصل وحسن

التوسل : « وقول علي » وفيها قصص ؛ والفككة عن خزنة الأدب الهروي ص ٤٤ ط بولاق .

وكقول أبي فراس :

من بحر شعرك أعترف * وبفضل طبعك أعترف.

ومنه المضارع — ويسمى المَطْعَم — وهو أن يُجاء بالكلمة ويُبدأ بأختها على مثل أكثر حروفها، فتقطع في أنها مثلها، فتخالقها بحرف؛ ويسمى المَطْرُوف وهو أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تتفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتقاربة، سواء وقع آخرًا أو حشواً، كقوله صلى الله عليه وسلم : « انليل معقود بنواصبها الخير » ومنه قول الخطيبة :

مطامير في المحيط مطامير في الدجى * بنى لهم آباؤهم وبني الجند وقول البحتري :

- ١٠ ظَلَّتْ أَرْجَمُ فِيكَ الظُّنُونُ * أَحَابَهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ؟ (١)
- وإن كان التفاوت بين المتقاربة سمي التجنيس اللاحق، كقوله تعالى : (وَإِنَّا جَاعِلُهُمْ أُمَمًا مِّنَ الْأُمَمِ) وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وقول البحتري :

هل لما فات من ثلاثٍ ثلاثي * أم لشاك من الصباية شافي.

- ١٥ ومنه المشوَّش — وهو كل تجنيس يتجاوز طرفان من الصنعة فلا يمكن إطلاق أسم أحدهما عليه، كقولهم : فلان ملجح البلاغة، صحيح البراعة (٢)

(١) في الأصل : « الالتفات » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كأيدل عليه السياق .

(٢) في الأصل وحسن التوسل : (الصينة) بياء مثناة بعدها غين معجمة ؛ وهو تحريف ، والصواب من شرح الباعونية المحفوظ منه نسخة بخطوطه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاغة ، وهو شرح على يد عبيد بن موسى بالفتح المين في مدح الأمين .

- ٢٠ (٣) كذا ورد هذا المثال في الأصل وحسن التوسل . ووجه التثنية به نفي ، ولم تحذف عليه فها لدينا من المراجع .

ومنه تجنيس الاشتقاق — ويسمى الاكتضاب أيضا، ومنهم من عدّه أصلا برأسه، ومنهم من عدّه أصلا في التجنيس — وهو أن يبيء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ وقوله تعالى : ﴿يَحْيَىٰ اللَّهُ الرَّبُّ وَيُزِي الصَّدَقَاتِ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ذوالوجهين لا يكون عند الله وجها » وقوله : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ومن النظم قول أبي تمام :

عَمَّمت الخلق بالنعماء حتى * خدا التخلان منها مُثقلين

وقول المَطَرَزِي :

وإني لأستحي من المجد أن أرى * حليف غوايب أو أليف أغاني ^(١)

وقول الصاحب بن جباد :

وقائلة لم صرّتك المومم * وأمرك ممثّل في الأهم

قلت ذري على غصتي * لأن الموم بقدر المم

وقول آخر :

إن ترى الدنيا أظارت * ونجوم السعد ظارت

فصروف المهر شق * كلما جارت أجارت

(٣)

(٢)

ومما يشبه المشتق — ويسميه بعضهم المشابه، وبعضهم المنابر — قوله

تعالى : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ تَانٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارَى سَوْءَةُ أَخِيهِ﴾

(١) في الأصل : « غوايب » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « المشتق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « المشابهة والمنابر » ، بتأنيث القطين ؛ والصواب من حسن التوصل .

وقوله تعالى: (وَإِنْ يُرِيدَكَ غَيْرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) وقوله تعالى: (وَأَسْمَتُ مَعَ سُلَيْمَانَ)
ومن النظم قول البحتري:

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ جُودِكَ هَبَتْ * صَارَ قَوْلُ الْعَذَلِ فِيهَا هِبَاءً.

ومن أجناس التجنيس تجنيس التصريف - وهو ما كان كالمصحف
[١٢] في اتحاد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج
أو لا تتقارب فإن تقاربت سُمِّيَ مضارباً، وإن لم تتقارب سُمِّيَ لا حقا.

مثال الأول قوله تعالى: (وَمِمَّنْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ) وقوله تعالى: (يَا كُتُبُ
تَفَرَّحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَا كُتُبُ تَمْرَحُونَ) وقول قُتَيْبِ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي:
"من مات فأت"

وقول الشاعر:

يَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعِزْمٍ طَوَاهِمَا * جَدِيدُ الْبَلِي تَحْتَ الصِّفَا وَالصَّفَاهِمَا
وهذا البيت يشتمل على المضارع والمتمم؛

ومثال الثاني قول علي رضي الله عنه: الدنيا دار مَمَرٍ، والآخرة دار مَقَرٍّ، وقول
عبد الله بن صالح وقد وصف الجن: ليس فيه إلا ناصبٌ رُدٌّ، أو سائسٌ قُودٌ.

- (١) في الأصل: «رياح» بالميم، وهو محريف.
- (٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد قلنا هنا عن حسن التوصل ليستقيم بها التصريف ويصح بها التمثيل
الآتي، فإنه ليس بين قوله: «ينهون» و«يخون» اتحاد في الكتابة. وصار ابن أبي الإصمعي في تحرير التحرير
المحفوظ مع نفسه غلطاً بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٥٠ بلاءة في تعريف هذا النوع: «وهو
اختلاف صيغة الكلين بإبدال حرف من حرف إما أن يخرجهُ أو من قريب منه».
- (٣) حارة الأصل: «من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج، فإن تقاربت، فإن تقاربت» الخ.
- جاء موحدة في الكلمات الثلاث ووارتاء مثناة فوقية، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى.
- (٤) في الأصل: «سامر» وما أثبتناه عن حسن التوصل.

ومنها التجنيس المخالف - وهو أن تشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الأخرى دون ترتيبها، كقول أبي تمام :

يَبْسُ الصَّفَائِحُ لَا سُودَ الصِّمَاطِ فِي * مَتُونِهِ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
وَقَوِيَ الْبَحْتَرَى :

شَوَابِرُ أَرْحَامٍ تُقَطَّعُ بَيْنَهُمْ * شَوَابِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا
وقول المتنبي :

مَمْنَعَةٌ مَمْنَعَةٌ رَدَّاحٌ * يَكْلَفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا

(١٧)

فإن اشتملت كل كلمة على حروف الأخرى، وكان بعض هذه حروف هذه
خُصَّ باسم جناس العكس، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « يقال لصاحب القرآن
يوم القيامة اقرأ وأرق » وقول عبد الله بن رواحة يمدح [النبي] صلى الله عليه وسلم :
تَجَمَّله النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مَعْتَجِرَا * بِالْبُرْدِ كَالْبُرْدِ جَلَّى نَوْرُهُ الظُّلْمَاءُ .

ومنها تجنيس المعنى - وهو أن تكون إحدى الكلمتين دالة على الجنس بمعناها
دون لفظها، وسبب استعمال هذا النوع أن يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقها
الوزن على الإتيان باللفظ المجانيس فيعدل إلى مرادفه، كقول الشاعر يمدح المهلب
ويذكر فعله بقطري بن النعمان، وكان قطري يكتنى أبا نعام :
حدا بابي أم الرِّثَالِ فَأَجَلْتُ * نَمَاتُهُ مِنْ عَارِضٍ مَتَلَبِّ (١٨)

أراد أن يقول : حدا بابي نعام فأجلت نعامه أي روحه ، فلم يستقم له
فقال : بابي أم الرِّثَالِ ، وأم الرِّثَالِ هي النعام، وكقول الشماخ :

(١) التكة عن حسن التوسل . (٢) في الأصل : « متلب » ، وما أتينا من حسن التوسل إذ هو

المتلب (١) هنا ، ولعل ما في الأصل مقولوب عن متلب ، أي متوقفة غير رحيمة . والمتلب : المحترم
بالإلحاح ، يريد المتجهي للقتال .

وما أَرَوَى وإن كَرُمْتُ طليتا * بأدنى من موقفة حَرُون^(١)

أَرَوَى : آمم امرأة . والموقفة الحرون من الوحش : أَرَوَى ، وبها سميت المرأة فلم يمكنه أن يأتى باسمها فأتى بصفتها ، وقد صرح بذلك المَعزى فى قوله :

أَرَوَى النِّياق كَأَرَوَى الثَّيِّقِ يَعْصِمُهَا^(٢) * ضرب يظلل له السرحان مبهوتا

- وبعضهم لا يدخل هذا فى باب الصجنيس . قال : وإنما يحسن الصجنيس إذا قل ، وأتى فى الكلام عفوًا من غير كد ولا استكراه ، ولا بُد ولا ميل إلى جانب الركة ولا يكون كقول الأحنى :

وقد قدوت إلى الخانوت يَتَّبِعُنِي * شَاوِمِشَلْ شَلُولْ شُلُولْ شُولْ^(٤)
ولا كقول مسلم بن الوليد :

- سُتْتُ وَسُتْتُ ثُمَّ سُلْتُ سُلِيْهَا * فأتى سليل سليلها مسلولًا
ولا كقول المتنبي :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِى قَلَقَ الْحِشَا * قَلَاقَلْ عَيْشَ كُلِّهِمْ قَلَاقَلْ.

وأما الطِّبَاقُ — قال : المطابقة أن تجمع بين ضمتين مختلفتين ، كالإيراد والإصدار والليل والنهار ، والسواد والبياض ، قال الأخفش وقد سئل عنه : أجد قومًا يختلفون

(١) . الموقفة من الوقف ، وهو الخطأ أو السواد من العاج وغيره ، وأراد به هنا : الأروى التى فى رجليها أروىها يابض تنبها لها بلباسة الخطأ أو السواد .

(٢) . الثيق بالكسر : أرض مريض فى الجبل ، جمه نياق وأنياب ونيوق .

(٣) . فى الأصل : « كدر » براء زائفة فى آخره ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) . قال فى اللسان مادة خل : الشاوى : الذى شوى . والشلول : الخفيف . والمثلل :

المجرد . والمثلل : الخفيف الغليل . وكذلك الشلول . والألفاظ متقاربة أريد بذكرها واجمع بينها المبالغة . . .

فيه، فطائفة — وهم الأكثر — يزعمون أنه الشيء وضئته، وطائفة تزعم أنه أشترك
المتعين في لفظ واحد، كقول زياد الأعجم :

وَنَبَتْهُمْ يَسْنُصِرُونَ بِكَاهِل * وَلَلْأَوْمُ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

ثم قال : وهذا هو التجنيس بعينه، ومن ادعى أنه طباق فقد خالف الأعمى
والخليل، قيل له : أَوَكانا يعرفان ذلك؟ فقال : سبحان الله ! وهل أعلم منهما
بالشعر وتميز خيشه من طييه ؟ . ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ
وهو أن تجتمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل، فلا يجيء بأسم مع فعل ولا بفعل مع
أسم، مثاله قوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) وقوله تعالى : (وَتَحْسَبُهُمْ
أَيَّامًا يَوْمَهُمْ زُرُّودٌ) وقوله تعالى : (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ
مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وقوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) إلى قوله :
(يَتَّبِعِ حِسَابِ) وقوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إنكم لتكثرُونَ عند الفزع
وتَهْلُونَ عند الطمع » ومن النظم قول جرير :

وبأسط خير فيكم بينه * وقابض شرّ عنكم بشمالها .

وقول البحتري :

وأتمه كان قبح الجور يُسْخِطُهَا * حيناً فأصبح حسن العدل يرضيها .

وقوله أيضاً :

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى * كالبرق والرعد وسطَ العارض البردِ

وقول ذي الصل :

لا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * تَحْكُمُ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبِكَيْ

وقول ابن المعتز :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَوَّاهَاتُ وَأَوَّانٌ * قَنَا انْطَلَقَ إِلَّا أَوَّاهُ تِلْكَ ذَوَابِلُ

فَإِنَّ هَاتَا لِلْخَاضِرِ، وَتِلْكَ لِلْغَائِبِ، فَكَانَتَا مُتَقَابِلَتَيْنِ؛ وَقَدْ تَجَمَّعَتِ الْمَطَابَقَةُ بِالْفِعْلِ
[وَالْإِثْبَاتِ] كَقَوْلِ الْبَحْرِيِّ:

تُقْبِضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوْى * وَيَسْرِى إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ.

وقال الزكيُّ بْنُ أَبِي الْإِصْبَغِ الْمَصْرِيُّ فِي الطَّبَاقِ: وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ يَأْتِي
بِالْفَافِ الْحَقِيقَةِ، وَضَرْبٌ يَأْتِي بِالْفَافِ الْمَجَازِ، فَمَا كَانَ بِلَفْظِ [الْحَقِيقَةِ] سَمِيَ طَبَاقًا^(١)
وَمَا كَانَ بِلَفْظِ الْمَجَازِ سَمِيَ تَكَافُؤًا، فَتَالِ التَّكَافُؤُ قَوْلَ أَبِي الْأَشْعَثِ الْمُبَسِّمِ مِنْ إِنْشَادَاتِ
قُدَامَةَ:

حُلُو الشَّمَالِ وَهُوَ مَرَّةً بِاسِل * يَحْمِي الدَّمَارَ صَبِيحَةَ الْإِرْهَاقِ
لَأَنْ قَوْلَهُ: حُلُو مَرَّةً خَارِجٌ تَحْرِجُ الْأَسْتِمَاعَةَ، إِذْ لَيْسَ الْإِنْسَانُ وَلَا شَيْءٌ مِمَّا^(٢)
يُلَاقِي بِجَاسَةِ الدُّوقِ.

١٠

وَمِنْ أَمْثَلَةِ التَّكَافُؤِ قَوْلُ أَهْنُ رَشِيقٍ:
وَقَدْ أَطْفَأُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا * نَجْمَ الْعَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجٍ
وَقَدْ جَمَعَ دِصْلٌ فِي بَيْتِهِ الْمُتَقَدِّمَ بَيْنَ الطَّبَاقِ وَالتَّكَافُؤِ، وَهُوَ:
لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ * تَحْكَمُكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبِكِي

١٥

لَأَنَّ حَكْمَ الْمَشِيبِ مَجَازٌ، وَبِكَاءُ الشَّاعِرِ حَقِيقَةٌ.
قَالَ: هَكَذَا قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَغِ، وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الطَّبَاقُ عِنْدَهُ هُوَ التَّضَادُّ
مِنْ حَقِيقَتَيْنِ، وَالتَّكَافُؤُ التَّضَادُّ مِنْ مَجَازَيْنِ، فَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ مَا شَرَطَهُ.

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَائِلَةٌ مِنَ الْأَمَلِ وَنَحْنُ حَسَنُ الْفَوَسْلِ؛ وَالْمَقَامُ يَحْتَضِرُ إِبْتَاهَا.

(٢) فِي الْأَمَلِ: «يَحْتَضِرُ» وَهُوَ تَعْرِيفٌ.

٢٠

(٣) الْكَلِمَةُ مِنْ حَسَنِ الْفَوَسْلِ ص ٤٨ طُورُ الْوَهَائِيَّةِ؛ وَاسْتِقَامَةُ الْكَلَامِ يَحْتَضِرُهَا.

(٤) فِي الْأَمَلِ: «لَمَّا كَانَ» وَمَا أُثْبِتَهُ مِنْ حَسَنِ الْفَوَسْلِ، إِذْ بِهِ يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ.

قال : وما جمع بين طباق السلب والإيجاب قولُ الفرزدق من إنبادات
أبن المعتز :

لن الإله بنى كليب إنهم * لا يفترون ولا يفون لحار
يستيقظون إلى نيق حيرهم * وتسام أعينهم عن الأوتار.

٥. وذكري في آخر الباب طباق التردد، وهو أن يرذ آخر الكلام المطابق إلى أوله
فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رذ الإعجاز على الصدور، ومثاله قول الأضي :

لا يرقع الناس ما أوهوا وإن جهدوا * طول الحياة ولا يؤهون ما رقعوا.
وأما ^(١١)المقابلة — وهي أعم من الطباق، وذكر بعضهم أنها أخص، وذلك

أن تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو المخالفة، فتأتي في الموافق بما وافق،
١٠. وفي المخالف بما خالف أو تشترط شروطاً وتعد أحوالاً في أحد المعنيين فيجب
أن تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعدلت [في الأول] ^(١٢)، كقوله عز وجل : (فَأَمَّا
مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ يَبْغِلْ وَأَسْتَفَى وَلَكِنَّ
بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) وقوله تعالى : (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) ومثاله
١٥. من النظم قولُ الشاعر :

فيا عجباً كيف آخفنا فناصح * وفي ومطوى على الفل ظادر!

وقول آخر :

تأصّرن وأملّين لي ثم إنه * أنت بعد ألبم طولاً أمرت

(١) حزان هذا اتصل سائل من الأصل؛ والسياق يقتضيه إنباده .

(٢) الكلمة عن حسن التوسل .

وقول زهير بن أبي سلمى :

علماء في النادى إذا ما جتمعهم * جهلاء يومَ عِجاجةٍ ولقاء.

ومن فساد ذلك أن يقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه، كقول أبي عدى

القرشي :

يا ابن خير الأخيار من عهد شمس * أنت زين الدنيا وغيث الجُود

فليس قوله : غيث لجود موافقا لقوله : زين الدنيا ولا مخالف له

(١٩)

وكقول الكُتَيْب :

وقد رأينا بها حورا منعمة * ييضأ تكامل فيها اللؤلؤ والشذب

فالشذب لا يشاكل اللؤلؤ .

وقول آخر :

١٠

رحمًا بذى الصلاح وضربا بون فلما لماسة الصنديد.

قال : وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال :

فمن مقابلة اثنين بأثنين قوله تعالى : (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُفُوا كَثِيرًا) ؛ وقول

النايف :

١٥ قى تم فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الأعداء ؛

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر^(١) :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وقول أبي نواس :

أنا أستدعيك عفوك من قريب * كما أستعفيت خطبك من بعيد ؛

٢٠

(١) يمزى هذا البيت لأبي دلالة .

ومن مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى : ﴿عَلَّمَا مَنْ أَعْطَى وَآتَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنَمَرُهُ لِلْإِسْرَى وَأَمَّا مَنْ يَبْغِلْ وَأَسْتَفْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنَمَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ المقابل بقوله تعالى : «أَسْتَفْنَى» قوله تعالى : «وَأَتَى» لأن معناه : زهد فيها عند الله وأستغنى بشهوات الدنيا عن نعم الآخرة، وذلك يتضمن عدم التقوى، ومنه قول النابغة :
إِذَا وَطِئَ مَهْلًا أَمَارًا نَجَّاجَةً * وَإِنْ وَطِئَ حَزَنًا تَسْقَى الْجَنَدَلُ ؛

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يسفَع لي * وأتني وبياض الصبح يُغَيِّرُ لي
قابل أزور بأنني ، وسواد ببياض ، والليل بالصبح ، ويسفَع يُغَيِّرُ ، ولي بقوله : بي .

١٠ وأما السجع — فهو أن كلمات الأصباح موزونة على أن تكون ساكنة الأعجاز^(١) بموقوفا عليها ، لأن الغرض أن ينافس بين قرائن ، ويأوج بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف ، ألا ترى إلى قولهم : «ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوات ، فلو ذهبت تصل لم يكن بُد من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب ، فتختلف أواخر القرائن ، ويفوت الساجع غرضه ، وإذا رأيتهم يخرجون الكلمة عن أوضاعها للاندواج فيقولون : آيتك بالندايا والعشايا ، وهتأى الطعام ومرآني ، وأخذ ما قدم ١٥ وما حدث ، « وأنصرفت مازورات غير ماجورات » ، يريد النّدوات ، وأمرأني وحلت ، وموزورات ، مع أنه فيه ارتكابا لمخالفة اللغة [فا الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافي] .

(١) في الأصل : «ساقطة» ؛ وهو تصحيف .

(٢) الحكمة من حسن التوصل ص ٤٩ ط الوهاية .

قال : والسجع أربعة أنواع وهي : الترصيع والمتوازي والمطرّف والمتوازن .

أما الترصيع — فهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز، كقوله تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) وقوله تعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم أقبل توبتي ، وأغسل حوبتي " وقولهم : فلان يقتخر بالهمم العاليه ، لا بالزم الباليه ؛ وقولهم : عاد تمرضك تمريحاً ، وتمريضك تصحيحاً ؛

ومن النظم قولُ الخلساء :

حامي الحقيقة ودنا الحقيقة * دى الطريقة نفاع وضرار
جواب قاصية جزاء ناصية * عقاد ألوية الخيل جرار

وقد يبي مع التجنيس ، كقولهم :

إذا قلت الأنصار ، كلت الأبصار ؛ وما وراء الخلق الدميم ، إلا الخلق النعيم ؛

ومن النظم قولُ المطرزي ^(١) :

وزند تدى فواضله وري * وزند ربا فضائله نصير
ودنر جلالة أبدا شير * ودنر نواله أبدا غزير

وأما المتوازي — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القريتين الوزن

مع اتفاق الحرف الأخير منهما ، كقوله عن وجل : (فيها مرر مر فوعة وأكواب موصوعة) .

(١) في الأصل : « المرز » بدون ياء ، والتصويب عن حسن التوسل ، وهو تاصرير أبي المكارم

عبد السيد بن علي ، ويكنى أبا الفتح ، وكانت وفاة سنة خمس وخمسة مائة هـ . انظر رقيات الأعيان ج ٢

وقول الحريري: أَلْجَانِي حَكْمُ نَحْرٍ قَاسِطٍ، إِلَى أَنْ أَتَجَمَّ أَرْضٌ وَاسِطٌ.^(١)

وقوله: وَأَوْدَى النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، وَرَبَّى لَنَا الْخَاسِدَ وَالشَّامِتَ.

وأما المطوّف — فهو أن يراعى الحرف الأخير في كلمتي قريبته من غير مراعاة الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٢) وقوله: جَنَابَهُ حَقَّ الرِّحَالِ، وَنَحْمُ الْآمَالِ.

وأما المتوازن — فهو أن يراعى في الكلمتين الأخيرتين من القريبتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما، كقوله تعالى: ﴿وَيَمَارِكُ مَصْفُوفَةً وَزَّرَانِي مَبْنُوتَةً﴾^(٣) وقوله: أَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ، وَمَقْصُضِ التَّزَالِ، وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ، وَمَدَامَةِ الْمِرَاسِ؛ فإن راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو أكثرها، وقابل الكلمة منها بما يعادلها وزناً كان أحسن، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وقول الحريري: أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضَ، وَأَبْيَضَ يَوْمِي الْأَسْوَدَ؛ ويسمى هذا في الشعر الموازنة، كقول البحرى:

فَقَدْ مُسِعِدًا فَيَنْزِلُ إِنْ كُنْتُ طَاذِرًا * وَمِرْمِعِدًا عَنْهُنَّ إِنْ كُنْتُ طَاذِلًا

(١) قال في معجم البلدان ص ٨٨١ ج ٤ ط المدونة المروسة بمدينة ختفه: واسط في عدة مواضع: تبدأ أولاً بواسطة الحجاج لأنه أعطى لها وأظهرها ثم تبعها الباقي. فأقول ما نذكر لم سميت واسطاً ولم صرفت؟ فلما تسميتها فلائها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً إلخ. ثم ذكر بعد ذلك قلاً عن أبي حاتم أنه معروف لأنه مذكر، فأنهم أرادوا به يدا واسطاً أو مكاناً واسطاً؛ وأنه قد يذهب به مذهب القيمة أو المدينة فيمنع من الصرف فلائث يحفظ. وقد ابتدأ الحجاج في عبارته ستة أربع ومائتين وقرع منها ستة وست ومائتين.

(٢) كذا في الأصل وحسن التوسل. وبحال التمثيل هذه القرية مع القريبتين اللتين بعدها دون التي قبلها لاختلاف الحرف الأخير فيهما.

قال : وما هو شرطُ الحسن في هذا المحافظةُ على التشابه ، وهو اسمُ جامع للملازمة والتناسب .

فالملازمة : تأليف الألفاظ الموافقة بعضها لبعض على ضرب من الاحتفال كقول لبيد :

- وما آلمه إلا كالتهاب وضوئه * يعود زمانا بعد إذ هو ساطع
وما ألام والأهلون إلا وديعة * ولا بد يوما أن تُردّ الوذائع
وبعضهم بعد التفتيق من باب الملازمة ، وهو أن تضمّ إلى ذكر الشيء ما يليق به
ويجري مجراه ، أي تجمع الأمور المناسبة ، ويقال له : مراعاة النظر أيضا ، كقول
أبي سمعون^(١) للمهلي :

- أنت أيها الوزير إبراهيمي الجود ، إسماعيلي الوعد ، شعبي التوفيق ، يوسفى
العفو ، محمدى الخلق .
وكقول أبي الفوارس الحمداني^(٢) :

أأنا الفوارس لو رأيت موافقى * وإنليل من تحت الفوارس تحيط^(٣)
لقرأت منها ما تحيط يد الوعى * والبيض تسكّل والأسنّة تسقط

- ١٥ (١) في الأصل : « ابن سمعون المهلي » بالثنية المجعولة ومقطوع اللام ؛ وفي حسن التوسل :
« ابن سمعون المهلي » بالهمزة ، ولم تقف على هذه النسبة لكلا الشخصين فيا بين أيدينا من كتب التراجم
ومعاجم الأعلام ، ولعل مواب العبارة ما أثبتنا ؛ والمهلي هو الوزير أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون
يتصل نسبه بالمهلي بن أبي صفرة ؛ وكان وزيرا لحز الدولة بن يويه . وكانت وفاته سنة اثنين وخمسين وعلامة
انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ ط دار الطباعة المصرية . وابن سمعون هو أبو الحسين محمد بن أحمد
ابن إسماعيل الراعي البغدادي ؛ وتوفي سنة سبع وثمانين وعلامة وفات الأعيان ج ١ ص ٧٠١ .
٢٠ (٢) كذا في الأصل ، والحق في حسن التوسل : (أبو الشائر) وكلاهما من آل حمدان ، ولم نشر فيا بين
أيدينا من المثلان على ما يرجح إحدى الروايتين ، كما أننا لم نقف على هذين البيتين في شرح أبي فراس الحمداني
كما توهم تحريف ما هنا عنه .
(٣) في الأصل : « أأجاد » وهو تحريف .
٢٥ (٤) تحيط : من السطع ، وهو صوت الخيل من القتل والإحياء ، يكون بين الصدر والخلق .

وكقول آخر :

وكم سائل بالنيب عنك أجبت * هناك الأيادي الشفع والسودد الوتر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وقول ابن حيوس ^(١) :

يقينك والتقوى وجودك والنفي * ولغظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب : هو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلأم ولا تتنافر، كقول التابنة :

والرفق بمن والأناة سعادة * فاستان في ريق نال نجاحا ^(٢)

والياس عما فات يقب راحة * ولرب مطمعة تمسود ذباحا

ويسمى التشابه أيضا، وقيل : التشابه أن تكون الألفاظ غير متباعدة بل متقاربة

في الجزالة والروقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكسو اللفظ ^(٣)

الشرق المعنى السخيف، أو على الضد، بل يصاغان مما صياغة تناسب وتلائم .

فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها

❦

قال : قصر الفقرات يدل على قوة التمكن وإحكام الصنعة ، وأقل ما تكون

كلماته ، كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَتَوَّابًا فَطَهِّرْ ﴾ وأمثال ذلك

في الكتاب العزيز كثيرة، لكن الزائد على ذلك هو الأكتب، وكان بديع الزمان يكثر من

(١) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس، ويكنى أبا القتيان، ويقب بصفى العدة .

(٢) في الأصل : « والرزق » بالواو المعجمة، وهو تحريف، والتصويب عن حسن التوصل .

(٣) في الأصل : « يكثر » بالطاء المحقة والراء المهملة، وهو تحريف .

ذلك في رسائله ، كقوله : ^(١) كُتِبَتْ نَهْدٌ ، كَأَتْ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ؛ يَطِمْ الْأَرْضَ بِزُرٍ وَيَزِلُّ مِنَ السَّمَاءِ بِخَبَرٍ . قالوا : لكن التذادُ السامع بما زاد على ذلك أكثر ، لشوقه إلى ما يَرِدُ مقابِلًا على سمعه .

- فأما الفقر المختلفة فالأحسن أن تكون الثانية أزيد من الأولى ولكن لا بقدر كثير لئلا يبعد على السامع وجودُ القافية فيقلُّ الاكتئادُ بسامعها ، فإن زادت القرائن على اثنين فلا يضُرُّ تساوى القريبتين الأولىين وزيادة الثالثة عليهما وإن زادت الثانية عن الأولى يسيرا ، [والثالثة على الثانية] ^(٢) فلا بأس ، لكن لا يكون أكثر من المثل ، ولا بد من الزيادة في آخر القرائن ، مثاله في القريبتين : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُّ السَّمَاوَاتُ بِتَفْطُرِهِ مِنْهُ وَتَلْشَقُ الْأَرْضُ وَتَحِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ ومثاله في الثالثة قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبِيدُ سَمِعُوا لَهَا نَفِيظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ وأقصر الطوال ما كان من إحدى عشرة لفظة وأكثرها ضمير مضبوط ، مثاله من إحدى عشرة لفظة : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ^(٣) ﴾ والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ، ومثاله من عشرين لفظة قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْتَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّلُوفِ ﴾ .

- (١) الكبت من الخيل يستوى فيه الذكر والوث ، ولونه الكنة ، وهي سواد تشوبه حرة تكون في الإبل والخيل . والهد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .
(٢) الكلمة عن حسن التوصل .
(٣) في الأصل : « في » وما أبتناء عن حسن التوصل .
(٤) في الأصل : « وإن » وهو تحريف .

وأما ردَّ العَجَز على الصِدْر — فهو كل كلام متور أو منظوم يلاق
آخره أوَّلُه بوجه من الوجوه، كقوله تعالى : (وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَاهُ)
وقوله تعالى : (لَا تَقْرَؤْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَرَى) وقولهم :
«القتل أنقى للقتل» و«الحيلة تركُ الحيلة» وقولهم : طلبُ ملُكهم فسلبُ ما طلب،
ونهبُ ما لم فوَّهب ما نهب .

وهو في النظم على أربعة أنواع :

الأول : أن يَقدَّما طَرَفَيْنِ، إما متفقين صورة ومعنى، كقوله :

سريع إلى ابنِ المِ يَشْتِمُ عِرْضَهُ * وليس إلى داعي الندى بمرجع

وقوله :

سَكْرَانُ سَكْرَ هَوًى وَسُكْرُ مِلَامَةٍ * أَيْ يُفِيقُ قَبْلَ بِهِ مُسْكِرَانُ،

أو متفقين صورة لا معنى، وهو أحسن من الأول، كقول العَبْرِيّ :

يَسَارُ مَنْ حَبَّبَتْهَا الْمَنَايَا * وَيَتْنَى مِنْ عَطِيَّتِهَا الْبَسَارُ

وقول الآخر :

ذَوَائِبُ سُودٍ كَالْمُنَاقِدِ أُرْسِلَتْ * فَمَنْ أَجْلَهَا مَنَا الْفُؤُوسُ ذَوَائِبُ؛

أو معنى لا صورة، كقول عَمْرٍو بْنِ أَبِي رِيعة ^(١) :

وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً * إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَقِيدُ

وقول العَبْرِيّ :

ضَرَائِبُ أَبْلَحَتَهَا فِي السَّحَابِ * فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيحًا

(١) في الأصل : «لا صورة له» وقوله : «له» زيادة من النسخ .

وقول الآخر :

تُبْكُ أهل الفضل قد دلتني * أنك مقصود ومشلوب
أولا صورة ولا معنى ولكن بينهما مشابهة اشتقاق، كقول الحريري :
ولاح يلحى على جرى العنان الى * ملها فُسْحًا له من لائح لاجي

الثاني : أن يقما في حشو المصراع الأول وعجز الثاني، إما متفقين صورة
ومعنى كقول أبي تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شيء * من الأشياء كالمال المضاع

وقول آخر :

أنا القبور فأنهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور

أو صورة لا معنى، كقول النمازي :

وإذا البلبال أفصحت بلغاتها * فأنف البلبال باحتساء بلبال

فالأول جمع بُكِّل ، والثاني جمع بُكِّلَة وهي المم [والثالث جمع بُكِّلَة الإبريق]^(١)

وقول الزمخشري :

وأخرفي دهرى وقتم معشرا * لأنهم لا يعلمون وأعلم^(٢)

فقد أطلع الجهال أعلم أني * أنا المم والأيام أطلع أعلم^(٣)

١٥

(١) الكلمة من حسن التوسل ، وتعام الكلام في معنى إنباتها . والقي في كتب اللغة : ان البلبلة يضم
الباسم ويسكون اللام بينهما : كوز فيه بلبل الى جنب رأسه .

(٢) كذا في الأصل . والقي في حسن التوسل ص ٣ ط الوهاية : « حل أنهم » وكذا الرازيين
كودي معنى صحيحا .

(٣) في حسن التوسل : « أيقنت » ولا شاهد فيه حل هذه الرواية .

٢٠

(٤) الأطلع : المشقوق الشقة السفلى . والألم : المشقوق الشقة العليا ، يريد تشبيه الأيام في جهول
قدره بالأطلع الألم الذي لا يتطبع النطق بالمم .

أو معنى لا صورة، كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يحزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام :

دمن ألم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الإمام

وقول أبي فراس :

وما إن شئت من كبير ولكن * لقيت من الأحبة ما أشاء

أو في الاشتقاق فقط، كقول أبي فراس :

منحناها الحرائب^(١) فبرآنا * إنا جرتا منحناها الحراباء

الثالث : أن يقعا في آخر المصراع الأول ويجزئ الثاني، إما متفقين صورة

ومعنى كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواكب مفرما * فما زلت بالبيض القواضب مفرما

أو صورة لا معنى، كقول الحريري :

فشغوف بآيات الثاني * ومفتون برئات المشافي

أو معنى لا صورة، كقول البحتري :

فعملك إن سئلت لنا مطيع * وقولك إن سألت لنا مطاع

الرابع : أن يقعا في أول المصراع الثاني والسجز، إما متفقين صورة ومعنى

كقول النجاشي :

(١) واحدة حربية، وهو المال الذي يماش به، أو هو المال المسلوب، يريد : ردنا عليها ما مله

فرباننا من أموالها فيما سلف .

(٢) في الأصل : « غفقا » وما اشتباه عن حسن التوصل، وهو أنصب ليزائق ما قبله .

فَلَا يَكُنْ إِلَّا مَحَلًّا سَاعِيَةً * قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

أو صورة لا معنى، كقول أبي ذؤاد :

عَهِدْتُ لَهَا مَقَرًا دَائِرًا * وَأَلَّ عَلَى الْمَاءِ يَجْعَلُنِ آلَا^(١)

فَلَا أَقُولُ الْإِتْبَاعَ، وَالْثَانِي أَعْمَلَةُ الْخِيَامِ، وَكَقَوْلِ آخَرَ :

رَمَاكَ زَمَانُ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَى * فَرَأَى وَلَمْ يَنْظُرْ بِمَا هُوَ رَامَا

أَوْ مَعْنَى لَا صَوْرَةَ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامَ :

تَوَّى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحِيَا بِهِ الثَّرَى * وَيَضْمُرُ صَرْفَ النِّهْرِ نَائِلُهُ النِّهْرِ^(٢)

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْبَوَاتِرُ فِي الْوَعْيِ * بَوَاتَرُ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بَرَّ

قَالَ : وَمِنْ نَوَادِرِ هَذَا الْبَابِ يَتَا الْحَرِيرَى اللَّذَانِ سَمَّاهُمَا الْمُطَرِّقَيْنِ، وَهَمَا :

يَمِّمٌ سِمَةٌ مَحْسُوسٌ آثَارُهَا * وَأَشْكُرُ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ مِمِّسِمَةً
وَالْمَكْرُمَهُمَا أَصْطَلَحَتْ لَا تَنَاهَهُ * لَتَهْتَنِي السُّودَدُ وَالْمَكْرُمَةُ.

قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَقَعْ فِي السَّجْزِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، كَقَوْلِهِ :

وَبَشَّعْتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ * وَلِلْوَمِّ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ

(١) فِي دِيْوَانِ الْخَمَاسَةِ ج ٢ ص ١٣٥ ط التوفيق : « مزج » بفتح الزاء الجملة مع التشديد
والحنى يستقيم كل كلا الرابينين .

(٢) فِي الْبُحْرَانِ مَادَّةُ أَوَّلَ : « حُرِفَتْ » وَكَلَامُهُمَا يَسْتَقِيمُ فِي الْحَقِّ . وَدَائِرُ كَدَارِيسَ وَزَنَ وَمَعْنَى
وَالْأَخِيَّةُ رَوَايَةُ الْبُحْرَانِ . (٣) فَصَّرَ فِي الْبُحْرَانِ أَلَّاكَ الْأَوَّلَ بِأَنَّهُ عِيدَانُ الْخَمِيَّةِ ، وَالْثَانِي بِأَنَّهُ لِلشَّخْصِ .

(٤) كَلَامٌ فِي الْأَمَلِ وَدِيْوَانِ أَبِي تَمَّامَ ص ٣٣١ ط الأديبة بيروت . وَاقِي فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ :
* وَبِأَمْنِ حَرْفِ النِّهْرِ جَاهِلُهُ النِّهْرُ * وَبِأَمْنِ الرُّوَابِيَةِ خُفَّتْ . وَالنِّهْرُ بَفَتْحِ النَّيْنِ
عَلَى رَوَايَةِ الْأَمَلِ وَالْهَيَوَانَ : الْكَثِيرُ . وَبِالْقَمِّ عَلَى رَوَايَةِ حَسَنِ التَّوَسُّلِ : مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا خِيَاءَ عَصَمَ .
فِي حَقْلٍ وَلَا بَأَى وَلَا عَمَلٌ .

وكقول الأقره الأودى :

وأقطع الحوَجَل مستأبسا * يهْوَجَل عَيْرَانَة عَتْرِيس^(١)

فالهُوَجَل الأول : القَلَة ، والثاني : الناقة السريعة .

وأما الإعنات — ويقال له التضيقُ والتشديدُ ولزومُ ما لا يلزم — فهو أن

يُنْتِ نفسهُ في التزامِ رَدْفٍ أو دَخِيلٍ أو حرفِ غُصُوصٍ قَبْلَ حرفِ الرويِّ ، أو حركةٍ

مُخْصِصة ، كقوله تعالى : (فَأَمَّا آلَيْتُمُ فَلَا تَقْهَرُ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرُ) ، وقول النبي

صلى الله عليه وسلم : « اللهم بك أحوِل ، وبك أصاوِل » وقوله عليه الصلاة والسلام

« شَرُّ ما في المرءِ شُحُّ هَالعٍ ، أو جُبْنٌ خَالعٌ^(٢) » وقوله عليه الصلاة والسلام : « زُرْ غِيَابًا

تُرَدِّدُ حُجًّا » وقول عمر رضي الله عنه : لا يَكُنْ حَبْكُ كَلْفا ، ولا بُغْضُكَ تَلْفا ؛

وقول المَعزى :

مُحْكَا وكان الضُّمكُ مناسفاةً * وَحَقَّ لِسُكَّانِ البَسيطةِ أنْ يَحْكُوا

يُحْطِمْنا صَرَفَ الزِمانِ كَأَنَّا * زُجَاجٌ وَلَكِنْ لا يَمادُ لَهُ السَّبْكُ

وقول آخر :

يقولون في البَستانِ لِلعينِ لَذَّةٌ * وفي الخمرِ والماءِ الذي غَيْرُ آسِنِ

إِذا شُئْتَ أنْ تَلقَى الحاسِنَ كُلَّها * ففى وجهِهِ من تَهوى جَميعُ الحاسِنِ

وقد ألتزم ابن الرومي التثنية قَبْلَ حرفِ الرويِّ — وكان أولُ الناسِ بذلك —

فقال :

لَمَّا تَوَدَّنَ الدُّنيا به من صُروفِها * يَكُونُ بُكاءُ الطُفْلِ ساعَةً يُولدُ

(١) العناية من النياق : الطاجية في نشاط . والمتروك : التلظية الوثيقة .

(٢) قال في النهاية مادة خلج في تفسير هذه الكلمة : أى شديد ، كأنه يتطلع فواده من شدة بحره .

وإلا فأيُّكم فيها وإنها * لَا وَسِعَ مَمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدَ
 إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا أَسْتَهْلَ كَانَهُ * بِمَا سِيلَاقِي مِنْ أَذْهَابِ هُدُودِ
 وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الشُّعْرِ كَثِيرَةٌ .

وأما المذهب الكلامي — فهو إيراد حجة للطلوب على طريقة أهل الكلام
 نحو قوله عز وجل : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ومنه قول النابغة يتندر
 إلى الثمان :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريةً * وليس وراءَ الله للره مذهب
 لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي جنايةً * لمبْلُغِكَ الواشي أغش وأكذب
 ولكنتي كنتَ امرأاً لى جانب * من الأرض فيه مُستَراد ومذهب
 ١٠ ملوك وإخوان إذا ما ملحتهم * أحكم في أموالهم وأقرب
 كفعلك في قوم أراك أصطفتهم * فلم ترهم في ملحتهم لك أنذنبوا

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فلدحوك، وأنا أحسن إلى قوم فلدحتهم، فكما
 أن مدح من أحسنت إليه لا يعدّ ذنباً فكنا مدحى لمن أحسن إلى لا يعدّ ذنباً .
 قال ابن أبي الإصبع، ومن شواهد هذا الباب قول الفرزدق :

لكلِّ امرئٍ قسّان نفسٍ كريمةٌ * ونفسٌ يماصيها الحقُّ ويطيعها
 ١٥ ونفسٌ من نفسيك تشفعُ للندي * إذا قلَّ من أحرارهنَّ شفيها

يقول : لكلِّ إنسان قسّان : نفس مطمئنة تأمره بالخير، ونفس أمارة تأمره
 بالشر، والإنسان يماصى الأمارة مرة ويطيعها أخرى، وأنت إذا أمرتكَ الأمارة

بترك الندى شَقَعَتِ المَطْمَنَةُ إليها في الندى في الحالة التي يَهْلُ فيها الشفيع في الندى
من النفوس، فانت أكرم الناس .

وأما حسن التعليل — فهو أن يُدعى لوصفِ علةٍ مناسبةٍ له باعتبار لطيف
وهو أربعة أضرب : لأن الصفة إما ثابتة قُصِدَ بيانُ طَبعها، أو غيرُ ثابتةٍ أريد إثباتُها
فالأولى إما لا يظهر لها في المادة علة، كقوله :

لَمْ يَمَكِّ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا * حُمْتُ بِهِ فَصِيحُهَا الرُّحَصَاءُ^(١)
أو يظهر لها علة، كقوله :

مَا بِهِ قَتْلُ أَغَاذِيهِ وَلَكِنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ^(٢)
فإن قتل الأغصاء في المادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره .

والثانية إما مُمكنة، كقوله :

يَا وَاشِيَا حُسْنَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ * تَحْيِي حِنَارَكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغُرُقِ^(٣)
فإن استحسنان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكره .
أو غير مُمكنة، كقوله :

لَوْلَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ * لَمَا أَتَتْ وَعَلَيْهَا حَقٌّ مَسْطِقُ^(٤)

(١) البيت لأبي الطيب المتني؛ والرحاء ضم الزاء وضع الحاء المهمة : العرق أثر الحمى .
(٢) البيت لأبي الطيب المتني كما بقه؛ انظر معاهد التنصيص ص ٣٥٨ ط بولاق .
(٣) في الأصل : «بركة»؛ وهو تحريف، ولا معنى له .
(٤) في الأصل : «جذواك» وهو تحريف؛ والتصويب عن معاهد التنصيص ص ٣٥٩، والبيت
لمسلم بن الوليد .

(٥) في معاهد التنصيص ص ٣٦٧ ط بولاق أن هذا البيت مرفوع من القارسية ولم يسم قائله .

قال : وألحق به ما بُحِيَ على الشكِّ ، كقول أبي تمام :

رُبَّما شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِزَاحِهَا * إِلَى الْمُزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعٌ
كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرْعَيْنِ تَحْتَهَا * حَيِّبًا فَمَا تَرَقَّا لِمَنْ مَدَامِعُ

وقد أحسن ابن رشيقي في قوله :

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ كَانَتْ مَصْلِيَّ * وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطِيًّا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقِيَةٍ لِأَنِّي * حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَيًّا.

وأما الالتهفات — فقد فسره قدامة بأن قال : هو أن يكون المتكلم آخذًا في معنى فيعترضه إما شكٌّ فيه وإما ظنُّ أنَّ راقًا يردُّه عليه ، أو سائلاً له عن سببه فليفت إليه بعد فراقه منه ، فلما أن يُجِلَّ الشكُّ ، أو يُؤكِّدُه ، أو يذَكِّرُ سببه ، كقول الرماح بن ميادة :

فَلَا صَرْمُهُ يَبْدُو قِيَّ الْيَاسِ رَاحَةً * وَلَا وَصْلُهُ يَصِفُو لَنَا فَتَكَارُمُهُ

كأنه توهم أن فلانا يقول : ما تصنع بصرمه ؟ فقال : لأن في اليأس راحة .

وأما ابن المعتز فقال : الالتهفات أنصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، ومثاله

في القرآن العزيز الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين ، [ثم قال] : (لِمَاكَ تَعْبُدُ وَلِمَاكَ

تَسْتَعِينُ) ومثاله في الشعر قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طَلُوحٍ * مُسْقِيَتِ النَّيْتِ أَيُّهَا الْخَلِيَامُ ؟

(١) عبارة قدامة : « أن يكون الشاعر » ، كما في كتابه قد الشعر ص ٥٢ ط البزائب ؛

وما هنا أمم .

(٢) التكلفة عن حسن التوسل ص ٦٦ ط الرواية .

(٣) ذو طلوح : موضع في جن بن يربوع بين الكوفة وقيد .

أو أنصرف المتكلم عن المخاطبة [إلى الإخبار]، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ومثال ذلك في الشعر قول عنترة: ولقد نزلت فلا تظنني ضيعة * متى بمزلة المحب المكرم ثم قال خيرا عنها :

كيف المزار وقد ترجع أهلها * بئينين^(٢١) وأهلنا بالقيس؛

أو أنصرف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُتُقْتَلُ﴾ ؛

أو أنصرف المتكلم من التكلم إلى الإخبار، كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُظهِرْكُمْ فَنَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ وقد جمع أمرؤ القيس الاكتفانات الثلاثة في ثلاثة أبيات متواليات، وهي قوله :

تَطَاوَلْ لِيْلُكَ بِالْإِنْمِد^(٢٢) * وَنَامَ الْخِلْـلُ وَلَمْ تَرْقُدْ
وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لَيْلَةٌ * كَلِيلَةُ ذِي السَّائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نِيَا جَاءَنِي * وَخُبْرُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(١) الزيادة من حسن التوصل . وصحة العبارة تقتضي إثباتها .

(٢) عتينين ثنية عتيرة ، وهو بمساء : موضع بين البصرة ومكة ، أو هو من أودية اليمامة ؛ والفيلم : موضع ذكره ياقوت ولم يسمه .

(٣) كذا وردت هذه الآية بالنون في الكلمات الثلاث في نزاة الأدب المسمى ص ٧٤ ط يولاق وعليه يستقيم التمثيل ، وقال الحموي بعد إيراد الآية : « والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة قلها صاحب البحر الزانر » . والقي في الأصل وحسن التوصل وفرح الباعونية : « إن ينشأ بذهبكم ويات » بإيلاء المثناة في الكلمات الثلاث ؛ والتمثيل بها عل هذه القراءة غير مستقيم .

(٤) الإنمِد : موضع ذكره ياقوت في مصبه ولم يسمه .

(٥) السائر : كل ما أمل العين ، أو هو بئر في الجلفن الأسفل منها .

يُخاطَب في البيت الأول ، وأنصرف إلى الإخبار في البيت الثاني ، وأنصرف
عن الإخبار إلى التكمُّل في البيت الثالث على الترتيب .

- وأما التمام — وهو الذي سماه الحاتمي التتميم ، وسماه ابن المعتز اعتراض
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود المتكلم فيتممه ، وشرح حله بأنه الكلمة التي إذا
طُرحت من الكلام قصَّ حسنُ معناه ومبالغته ، مع أن لفظه يوم بأنه تام ؛ وهو
• على ضربين : ضرب في المعنى وضرب في اللفظ ، فالذي في المعنى هو تقيم المعنى
والذي في اللفظ هو تقيم الأوزان ، والأول هو الذي قُلم حله ، ومثاله قوله تعالى :
(مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً) فقوله تعالى : (مَنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَقَ) [تتميم ، وقوله : (وَهُوَ مُؤْمِنٌ)] [تتميم ثان في ناية البلاغة ، ومن هذا القسم
قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة
من غير الفريضة إلا آتاه الله به بيتا في الجنة » فوقع التتميم في هذا الحديث في ثلاثة
مواضع : قوله عليه السلام : مسلم ، وقه ، ومن غير الفريضة ، ومن أناشيد قدامة على
هذا القسم قول الشاعر :
(١) أناس إذا لم يُقبَل الحق منهم * ويمعلوه عادوا بالسيوف القواضب .

- وأما الذي في اللفظ فهو الذي يُؤتى به لإقامة الوزن بحيث لو طُرحت الكلمة
استقلَّ معنى البيت بدونها ؛ وهو على ضربين : أحدهما جيء الكلمة لا تعيد غير إقامة

(١) التكلة عن حسن التوسل . واستقامة الكلام تحتفيها .

(٢) هو نافع بن خليفة النوى ؛ انظر قد للشر قدامة ص ٩ ط الجواب .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوسل بالهال المهمة . وفي قد للشر قدامة : « طاذرا » بإبدال

المججمة ، والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

الوزن فقط، والثاني : مجيئها تنديد مع إقامة الوزن نوطاً من الحسن، فالأول من العيوب والثاني من المحاسن؛ قال : والكلام هنا في الثاني، ومثاله قول المتنبي :

وخنوق قلب لو رأيت لمييه * يا جتنى لظنلت فيه جهنما

فإنه جاء بقوله يا جتنى لإقامة الوزن، وقصد بها دون غيرها مما يسد مسأها أن يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل بشيها .

وأما الاستطراد — وهذه التسمية ذكر الحاتمي في حلية المخاضرة أنه قلها عن البحتري، وقيل : أن البحتري قلها عن أبي تمام، وسماه ابن المعتز : الخروج من معنى إلى معنى، وفسره بأن قال : هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدسا أو وصفاماً، وظالب وقومه في المبدأ، ولا بد من [ذكر] المستطرد به بأسمه بشرط أن لا يكون تقدم له ذكر .

فمن أول ما ورد في ذلك من النظم قول السمّوط بن طاديا :
وإنا نقوم ما نرى القتل سبة * إذا ما رأته طامر وسلول
ومنه قول حسان :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني * فعجوت منجا الحارث بن هشام
ترك الأجابة لم يقاتل دونهم * ونجحا برأس طيرة ولبام

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد قلناها عن حسن التوسل إذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) في الأصل : «فن أوتها» والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٣) الطيرة من الأفراس : المستنقة للعدو . وقد أشار حسان في هذين البيتين إلى فرار الحارث

ابن هشام بن الخيرة يوم بدر : انظر سيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة .

وقول أبي تمام في وصف حافر القرس بالصلابة :^(١)

أيقنت إن لم تثبت أنت حافره * من صخر تكدر أو من وجه عثان^(٢)

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ابن الزمكهم أربعة استطرادات متوالية :

وليل كوجه البرقيدي ظلمة^(٣) * وبرد أغانيه وطول قسونه

سريت ونومي فيه نوم مشرد^(٤) * كمثل سليمان بن فهد ودينه^(٥)

على أولقى فيه التفات كأنه * أبو صالح في خبطه وجنونه

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه * منا وجه قرواش وضوء جبينه^(٦)

وقول البحري في القرس أيضا :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلأني حمدويه الأحوال

ومما جمع المدح والمجاء قول بكر بن الططاح :

فني شقيقت أمواله بنوالة * كما شقيقت بكر بأرماع قلب

❧

(١) في الأصل : « جاء في القرس » وما أثبتناه من حسن التوصل وهو أنسب بقوله يد : « بالصلابة » .

(٢) في الأصل : « أقيت » بالفاء الموحدة بدلها ياء مثناة ، وهو تصحيف . وتكر : مدينة
ثابتة في بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام يافوت . ويريد بستان المذكور في البيت : بستان بن إدريس
الاسمي ، انظر ديوان أبي تمام ص ٢٠١ ط الوهبة .

(٣) البرقيدي : نسبة إلى برقيد ، وهي بلدة في طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين .

(٤) في الأصل : « وهب » وهو تحريف ، والتصويب من معجم يافوت ج ١ ص ٧٢ ط
المحررة ، مدينة خنتنه والواق بالوفيات للمنفدي .

(٥) في الأصل : « أرقل » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في المعجم ، والأولى : الجنون ، يريد :

على فرس ، ذي أدنى . (٦) كذا في الأصل . ولعله يريد وصف القرس بأنه يلفظ في سيرة يمة
وسيرة فلا يستقيم في وجهة واحدة ، بل يخط في سيرة كما يدل عليه مجز البيت . وفي معجم البلدان :
« الحباب » ، والحباب بكسر الهاء : للتشاطر والسرعة . (٧) في معجم يافوت : « أبو جابر » .
(٨) هو قرواش بن مقلد أمير بن حنبل .

ومما جاء به على وجه المجون قول بعضهم ^(١) :

اِكشَنِي وَجْهَكَ الَّذِي أَوْحَتَنِي * فِيهِ مِنْ قَبْلِ كَشْفِهِ عَيْنَاكَ

ظَلَمْتُ فِي هَوَاكَ يُشَبِّهُ عَيْنِي * غَلَطِي فِي أَبِي عَلِيٍّ بْنِ زَاكِي

ومما جاء في النسيب على وجه التشبيه قول امرئ القيس ^(٢) :

عُوجَا عَلَى الطَّلَالِ الْمُحِيلِ لَعْنَا * نَبِيَّ الدِّيَارِ بِمَا يَكِي أَبْنِ حَامِ ^(٣)

وأما تأكيد المدح بما يشبه الذم — فهو ضربان : أحدهما أن يستثنى من صفة ذم متفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، نحو قوله تعالى : ^(٤) «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا» فالتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء بنية ، وأن الأصل في الاستثناء الاتصال ، فذكر أذاته قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج الشيء مما قبلها ، فلذا وليها صفة مدح جاء التأكيد .

والثاني : أن يُثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له ، كقوله صلى الله عليه وسلم : «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيِّنَةٌ أُنِي مِنْ قُرَيْشٍ» وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون متقطعا ، لكنه باق على حاله لم يقدر

(١) به ، أى بالأعتراف . ومما جاء به على وجه « الخ » .

(٢) في الأصل : «التشبيه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل وحسن التوصل ، والذي في شرح ديوان امرئ القيس الوزير أبي بكر حاتم ابن أيوب ص ١٤٤ ط الخيرية : «لأننا» جهز بسده فون ، وهي لغة في «لنا» حكى الخليل : أن بعض العرب يقول : ريت السوق أظك تشتري لنا سويقا ، أى لذلك . وابن حاتم : شاعر يقال له : امرئ القيس أيضا كما في الشرح ؛ ولم تقف على ضبطه ؛ ورواية الديوان «ابن حاتم» بالذال المعجمة ، ولم يسده شارحه الوزير أبو بكر المتقسط ؛ وروى أبو حنيفة : «ابن حاتم» بالحاء المهملة والواو المعجمة ؛ وليس هو معرفة ابن حاتم العلوي كما يتوهم . (٤) في الأصل : «أن يستثنى من صفة مدح متفية عن الشيء صفة ذم» والصواب العكس كما يقتضيه التعليل .

متصلا فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين، ولهذا كان الأول أفضل .

ومن أمثلة الأول قول النابغة الذبياني :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفهم * بهنَ فلول من قراع الكتائب

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول حاتم الطائي :

ولا تستنكبي جارتى غيرَ أني * إذا غاب عنها بلعها لا أزورها

ومن الثاني قول النابغة الجعدي :

فسي كنتَ أخلاقه غيرَ أنه * جواد لما بقي من المال باقيا

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب قول بعضهم ^(١) :

ولا عيبَ فينا غيرَ أن سمحنا * أضربنا والباس من كلِّ جانب ^(٢)

فأنسى الردى أعمارنا غيرَ ظالم * وأفنى الندى أموالنا غيرَ عاتب.

وأما تأكيد الهم بما يشبه المدح — فهو ضربان :

أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها

كقولك : فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه .

والثاني : أن تثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء تليد صفة ذم له أخرى

كقولك : فلان فاسق إلا أنه جاهل، وتحقيق القول فيها على قياس ما تقدم .

(١) هو أبو صفان . انظر معاهد التصحيح ص ٣٨٩ ط بولاق .

(٢) في الأصل وحسن للتوصل ص ٥٨ ط الوهاية : « والناس » بالنون، وهو تحريف ؛

والتصريب من معاهد التصحيح . وصدر البيت الثاني بدل عليه أيضا .

(٣) في الأصل : « لا يسيء » ؛ وصحة التثنية تخفى حلف اللام .

وأما تجاهل العارف — فهو سؤال المتكلم عما يسله حقيقة تجاهلا منه
ليُخرج كلامه مُتَّحِج المدح أو الذم، أو ليُدلَّ على شئنة التذلل في الحب، أو لقصده
التعجب أو التوبيخ أو التقرير؛ وقال السكاكي: هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة^(١)
كالتوبيخ، كما في قول الخارجية وهي ليلي بنت طريف :

أيا شجر الخابور مالك مُورقا * كأنك لم تُجزع على ابن طريف

وللبالغة في المدح، كقول البحتري :

ألمع برق مري أم ضبو مصباح * أم أنشأتها بالمتنظر الضاحي
أو الذم، كما قال زهير :

وما أدري ولست إخال أدري^(٢) * أقوم آل حصن أم نساء

أو التذلل في الحب، كقوله :

باقه ياظيَّاتِ القاع قلن لنا * ليلاي منك أم ليلي من البشر^(٣)

وقول البحتري :

بدا فراع فوادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك .

(١) في الأصل : «لكه» ؛ وهو تحريف .

(٢) الخابور : نهر كبير، بين رأس عين والفسرات من أرض الجزيرة ولاية واسط وبداية طلب
عليها اسمه فثبت إليه ، وأصل هذا التبر من البيوت التي برأس عين ، وينضاف إليه قاضل المراسم وبدا
وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٣٨٢ ط جوتين .

(٣) في معجم التنصيص ص ١٧ ؛ ط بولاق : «وسوف» والتي يستقيم على كلا الرأيين .

(٤) نسب هذا البيت الى ذي الرمة والمجنون والعري ، وأكثرهم على أنه لا غير ؛ أنظر معاهد

التنصيص الصفحة المتقدمة الذكر .

وأما المهزل الذى يراد به الجلد — فهو أن يقصد المتكلم ذم إنسان أو مدحه فيخرج ذلك مخرج المجنون، كقول الشاعر :^(١)

إنما ما تيمى أذاك مُفانرا * فقل عدلن ذاكيف أكلك للضب.

وأما الكايات — فهى أن يُسبّر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر، وقد تَهَنَّم الكلام على ذلك في باب الكاية والتعريض وهو الباب الرابع من القسم الثانى من هذا الفن، وهو فى السفر الثالث من كتابنا هذا.

وأما المبالغة — وتسمى التبليغ والإفراط فى الضيغة — فقد حدثنا قدامة بن قال : هى أن يذكر المتكلم حالا من الأحوال لو وقف عندها لأجرات فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون أبلغ فى معنى قصيده، كقول عمير بن كريمة التغلبي:

ونُكْزِم جارنا ما دام فينا * ونُتبعه الكرامة حيث مالا^(٢)
ومن أمثلة المبالغة المقبولة قول امرئ القيس يصف فرساً :

فعداى عداء بين ثور ونسجة * دِراكا ولم ينضجع بماء فيُفسَل

يقول : إنه أدرك ثورا وبقرة فى مضمار واحد ولم يعرق .

وقول المتلبي :

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب^(٣)

(١) هو أبو نواس، والبيت من قصيدة يحج بها تيميا وأسدا ويغتر بحطان؛ انظر مآخذ التنصيص ص ٤١٣ ط بولاق .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل وحسن التوصل ص ٥٩ ونزاة الأدب للموى ص ٢٧٩ ط بولاق . والقى فى مآخذ التنصيص ص ٣٤٤ ط بولاق عمرو بن الأهم . قال : ولم أنف على زرجة

ابن الأهم التغلبي فأنزل البيت . وفى الصناعات لأبي حلال العسكري ص ٢٨٨ ط الأستانة : حميرة^(٣) ابن الأهم، ولم تقف فيا بين أيدينا من المراجع على ما يرجح إحدى هذه الروايات الثلاث .
(٣) العلاء : الطلق الواحد بكسر الطاء وسكون اللام، وهو الشوط .

ولا يحاب في المبالغة إلا ما يخرج عن حد الإمكان، كقوله :

وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ • تَخَافُكَ النَّظْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقْ^(١)

وأما إذا كان كقول قيس بن الخطيم :

طَلَعْتُ أَبْنَ عَبْدِ الْغَيْسِ طَلْعَةً نَائِرَةً • لَهَا تَقْدُّ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَتَهَرَّتْ فَفَقَهَا • يَرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

فإن ذلك من جيد المبالغة إذ لم يكن قد خرج تخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطلعة، ومن أحسن ذلك وأبلغه قول أحد شعراء الحماسة :

رَهْنَتْ يَدِي بِالْعِجْزِ عَنْ شُكْرِ رِيَّةٍ • وَمَا بَعْدَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدٌ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يَسْتَطَاعُ اسْتَطَاعَتُهُ • وَلَكِنْ مَا لَا يَسْتَطَاعُ شَلِيدٌ

وأما عتاب المرء نفسه — فهو من أفراد ابن المعتز، ولم يُشَدَّ عليه سوى بيتين ذكر أن الأمدى^(٢) أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عَصَانِي قَوْمِي فِي الرِّشَادِ الَّذِي بِهِ • أَمَرْتُ وَمِنْ يَعْصِي الْمَجْرِبِ يَنْدَمُ
فَصَبْرًا بَنَى بِكَ عَلَى الْمَوْتِ إِنِّي • أَرَى عَارِضًا يَنْهَلُ بِالْمَوْتِ وَالْدَمِ

قال : ولا يصلح أن يكون شاهدا لهذا الباب إلا قول أحد شعراء الحماسة :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخِلَاءِ أَلْوَمَهَا • لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة يمدح بها الرشيد انظر معاهد التنصيص ص ٣٤٥ ط بولاق .

(٢) أنهرت : وصفت .

(٣) في الحماسة : « وما فوق » ومعنى البيت يستقيم على كلا الروايتين .

(٤) كذا في الأصل وحسن التوصل . والقي في تحرير التمهيد لابن أبي الإصمخ المحفوظ منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلاطة ونزاة الأدب للموسى ص ١٨٠ ط بولاق :

« الأسنى » ولم تجف فيما بين أيدينا من المقتان على ما يرجح إحدى الروايتين .

وقول الآخر :

قَدْ نَبِّئُكَ مِنْ نَفْسِ شَعَائِجٍ ثَانِي ^(١١) * نَبِّئُكَ مِنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعٌ
وَمَا نَأْسِبُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ .

(٤٨)

وَأَمَّا حُسْنُ التَّضْمِينِ — فَهُوَ أَنْ يَضْمَنَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ كَلِمَةً مِنْ آيَةٍ
أَوْ حَلِيقٍ أَوْ مَثَلٍ سَاتَرَ أَوْ بَيَّنَّ شَعْرًا
وَمِنْ إِنْشَادَاتِ آيِنِ الْمُعْتَرِطِيَةِ :

عَوْدٌ لِمَا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ * أَقْرَاصُهُ مَتَى يَبَاسِينَ
فَيْتُ وَالْأَرْضُ فَرَانِي وَقَدْ * خَفَّتْ قِفَا نَبِّكَ مَصَارِيحِي
فَضَمَّنَ بَيْتَهُ الْأَوَّلَ كَلِمَةً مِنَ السُّورَةِ بِتَوَطُّعٍ حَسَنَةٍ ، وَبَيْتَهُ الثَّانِي مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ
أَمْرِي الْقَتْمِ .

١٠

وَمَا ضَمَّنَ مَعْنَى حَلِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُ الْآخَرِ :
وَأَنْجِ مَمَّهْ زَوَلِي بِقَرْجٍ * مِثْلًا مَسْنَى مِنَ الْجَوْعِ قَرْجٍ ^(١٢)
بَتْ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَّمَ الْمَهْجُورُ فِي حِكْمِهِ عَلَى الْحَزَقِ بَحْ
قَالَ لِي مَذْزَلْتُ وَهُوَ مِنَ السَّكْرَةِ بِالْهَسَمِ طَالِغٌ لَيْسَ يَصْحُو :
لَمْ تَنْزَبَتْ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصَحٌ وَنُجْحٌ :
« سَافَرُوا فَتَنَمَوْا » فَقَالَ : وَقَدْ قَسَّالَ تَمَامَ الْحَلِيقِ : « صَوِّمُوا تَصِحُّوا »
وَمِنْ تَضْمِينِ الشَّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

١٥

وَقَفْنَا بِأَنْضَاءِ حَكَّتْنَا لَوَاغِبٍ * « عَلَى مِثْلِهِا مِنْ أَرْبُوعٍ وَمَلَاغِبٍ » ^(١٣)

وَهُوَ مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لِأَبِي تَمَّامٍ ،

(١) الشَّعْرُ مِنَ الْقَوَسِ : مَا خَرَقَتْ مَرْمِيهَا . وَالْجَمْعُ : الْحَبِيبَةُ . (٢) فِي الْأَصْلِ : « دَاخٍ »
وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالصَّوْبُ عَنْ حَسَنِ التَّوْسِلِ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « حَكَّتْنَا » بِأَلْيَاءِ الْمُنَاةِ التَّحِيَّةِ ،
وَلَوْ أَنَّ حَسَنَ التَّوْسِلِ : « حَكَّتْنَا » بَنُوهُنَّ مَوْحَلَةً بِطَلْحَاءِ مُنَاةٍ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَتَا .

٢٠

ومنه قولُ القزّي :

طوُلُ حياة ما لها طائل * نقص عندي كُلُّ ما يُشهى
أصبحتُ مثلَ الطفل في ضعفه * تشابه المبدأ والمُنهى
فلا تلم ممي إذا حاتني * « إِنَّ التَّائِبَ وَبُغْتَهَا »

• المراد من التضمين هاهنا تمام البيت : * قد أحوجت ممي إلى تَرْجُحان *
وإنما تركه لأن أوّل البيت يدلُّ عليه لأشهره، وهذا قد أكثر المتأخرون من استعماله
في أشعارهم، وضمنوا البيت الكامل بعد التوطئة له .

وأما التلميح — وهو من التضمين، وإنما بعضهم أنفرد — فهو أن يشير
في نحو الكلام إلى مثل سائر، أو بيت مشهور، أو قضية معروفة من غير أن يذكره،
كقول الشاعر :

المستغيثُ بعمرو عند كُرْبته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار
أشار إلى قضية كليب حين استغاث بعمرو بن الحارث ؛ ومنهم من يسمي ذلك
أقتباسا، وإيراد المثل كما هو تضمينا .

وأما إرسال المثل — فهو كقول أبي فراس :

تَهَوَّنَ علينا في المالِ نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يُغْنِه المهر^(١)
وكقول المتلّي :

تُبَيِّ عَلَيْنَ البطاريق في الدبح * وهنّ لدينا مُلقيات كواسد
بذا قضيت الأيام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد .

(١) لم يغنه المهر : أي أنت مهرها لم يجعل من يخطبها غاليا عليها، يريد أن مهرها خمس خاطبها
وفي حسن التوسل وغيره : « لم يغنها » بتأنيث التضمير، والمعنى عليه أن المهر الذي يدفع لها لا يصيرها
غالية عليه أي كان نومه وريحته .

وأما لإرسال مثليين — فهو الجمع بين مثليين، كقول لييد :

الأكلُ شئٌ ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائل

وابيات زهير بن أبي سلمى التي فيها ومن ومن ، وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى في باب الأمثال ، وهو الباب الأول من القسم الثاني من هذا الفن ، وهو في السفر الثالث .

وأما الكلام الجامع — فهو أن يكون البيت كله جاريا مجرى مثل واحد .

كقول زهير :

ومن يك ذا فضلٍ ويحفلُ بفضله * على قومه يُستغفر عنه ويُدغم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرُّس بأنياب ويوطأ بمليح^(١)

ومهما تكن عند امرئ من خليفة * وإن ظلمنا نغنى على الناس نُعلم

وكقول أبي فراس :

إنما كان غير الله في صفة الفنى * أثنته الرزايا من وجوه القوائد

وكقول المتلبي :

وكم من طائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقوله :

ومن نكد الدنيا على الحز أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقوله :

ومن البلية عدلٌ من لا يروى * عن جهله وخطابٌ من لا يفهم

وقوله :

إنائي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحسان وإجمال .

(١) القسم : خف الجير .

وأما اللَّفَّ والنشر — فهو أن يذكر اثنين فصاعدا ثم يأتي بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ههنا بأن السامع يرد إلى كل واحد منها ما له ، كقوله تعالى : (وَبَيْنَ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبَيِّنُوا مِنْ فَضْلِهِ) ، ومن النظم قول الشاعر :

أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدِ نَعْمَتِهِ * وَوَرْدَ رَاحَتِهِ أَجْنِي وَأَعْتَرِفْ
وقد لا يرعى فيه الترتيب ههنا بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه سواء تقدم أو تأخر ، كقول الشاعر :

كَيْفَ أَسْلُوْا أَنْتَ حَيْفَ وَغَصْنٍ * وَغَزَالٍ لِحِظَا وَقَلْدًا وَرِدْنَا .
وأما التفسير — وهو قريب منه — فهو أن يذكر لفظا ويترجم أنه يحتاج إلى بيانه فيعيده مع التفسير ، كقول أبي مُنَبِّرٍ :
غَيْثٌ وَلَيْثٌ [فَيْثٌ] حِينَ تَسْأَلُهُ * عُرْفًا وَلَيْثٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ضَرْغَامٍ
ومنه قول الشاعر :

يُحْيِي وَيُرْدِي بِحَسَدَوَاهِ وَصَارِيهِ * يُحْيِي الْمَفَاةَ وَيُرْدِي كُلَّ مَنْ حَسَدَا
ومن ذلك أن يذكر معاني ويأتي بأحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الترمذقي :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْ بَلَّغْتَ إِلَيْهِمْ * طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقِيلَ مَقْرَمٍ
لَأَقْبَعْتَ فِيهِمْ مَعْطِيًا وَمُطَاعِنًا * وَرَاعَكَ شَرْبًا بِالْوَشِيحِ الْمَقْرَمِ^(١)
لكنته لم يراع شرط اللَّفَّ والنشر

(١) في الأصل : «يرى نفسه» وفيه قص وتخریف ، والتصويب عن حسن التوسل .
(٢) الحقف بالكسر : الزبل المرحج . (٣) هذه الكلمة مأخوذة من الأصل ؛ وقد قلناها من حسن التوسل إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٤) أراد بالوشيح الرياح .
(٧-٩)

وقول آخر :

فواحسرتا حتى متى القلب مُوجع * بفقد حبيب أو تعذر إفضال
فراق حبيب مثله يورث الأسى * وخلة حلا يقوم بها مالى^(١)

ومنه قول ابن شرف :

• مل عنه وأطلق به وأنظر إليه تجدد * ملء السامع والأفواه والمقل
ومن احسن ما فى هذا الباب قول ابن الرومى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات إذا دجّون نجوم
منها معالٌ للهدى ومصابيح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وفسادك أن يأتى بإزاء الشيء بما لا يكون مقابلا له ، كقول الشاعر :

• ١٠ فياها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال إليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى



فأتى بالندى بإزاء بنى العدا ، وكان يجب أن يأتى بإزائه بالنصر أو المعصمة
أو الوزر وما جانشه ، أو يدكّر فى موضع البنى الفقر والعلم وما جانش ذلك .

وأما التعديد — ويسمى مياقة الأعداد — فهو إيقاع أسماء مفردة على

• ١٠ سياق واحد ، فإن روى فى ذلك آزدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان
غاية فى الحسن ، كقولهم : وضع فى يده زمام الحلل والعقد ، والقبول والرد ، والأمير
والنهى ، والبسط والقبض ، والإبرام والتقص ، والإعطاء والمنع ، ومن النظم قول
المتنبي :

الحيل والليل والبيداء تعرفنى * والضرب والطن والفرطاس والقلم .

وأما تنسيق الصفات — فهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية، كقوله عز وجل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يأتون ويؤتون"،

ومن النظم قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم:
وأبيض يُنسَقِي الغمامُ بسوجه * ثمال الشامي عصمة للأرامل
وقول المتنبي:

دانٍ بعيدٌ يحبُّ مَبْقُضَ بَهْجٍ * أغرُّ حُلُوٍّ مَرْمُوقٍ شَرِسٍ .

وأما الإيهام — ويقال له التورية والصخيل — فهو أن يذكر ألفاظها معانٍ قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب، ومراد التكلم البعيد مثله قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمان

فذكر الثريا وسهيل ليوم السماع أنه يريد التجمين، ويقول: كيف يمتعان والثريا من منازل القمر الشامية، وسهيل من النجوم اليمانية؟ ومراده الثريا التي كان يتغزل بها لما زوجت سهيل؛ ومن ذلك قول المعزى:
إذا صدق الجند أقرى العم للقي * مكارم لا تمنى وإن كذب الخال

فإنَّ وهم السامع يذهب إلى الأقارب، ومزاده بالحدِّ : الحظُّ، وبالعمِّ : الجماعة
من الناس، وبالنَّخال : الخيلة، ومن ذلك قولُ الحريريِّ في [وصف الإبرة والمِيل
في] المقامة الثامنة :

وقوله أيضا :

- يا قوم كم من طاقٍ عانس^(٢١) * ممدوحِ الأوصاف في الأنديه
قتلها لا أتقى وارثا * يطلب مني قودا أو ديه
يريد بالعاق العانس : الخمر، وقتلها : مزجها، كما قال حسان :
إن التي طالعتني فرددتها * قُلت قُلت فهاتها لم تُقتل
وأمثال ذلك كثيرة .

- وعند علماء البيان : التخيل تصوير حقيقة الشيء للتعظيم، كقوله تعالى :
﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ والنقص منه
تصوير عظَّمته والتوقيف على كُنْه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى
جهة حقيقة أو مجاز، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما نحن حَفَنَةٌ من
حَفَنَاتِ رَبِّنا » قال الزمخشري : ولا يُرى باب في علم البيان أدق ولا ألطف من
هذا الباب .

١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد قلنا من حسن التوسل لاختفاء المقام إيجابها .

(٢) العاق : الجارية التي أدركت وبلغت في بيت أبيها فخلعت فيه ولم تزوج ، سميت بذلك لأنها
حضت من الصبا ومن خدمة أربابها ولم يملكها زوج بعد ، وبلغت عواقي . والعانس التي كبرت في بيت أبيها
ولم تزوج .

- (٣) كذا في حسن التوسل وغيره . والقي في الأصل : « والتوقف في كنه » وما أثبتناه أظهر
في المراد وأدق على الفرض .

٢٠

وأما حُسن الابتداءات — قال : هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وفزع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بيت أو قريضة تدلّ على مراده في القصيدة أو الرسالة أو مُعظّم مراده، والكاتب أشدّ ضرورةً إلى ذلك من غيره لِيَتَنّى كلامه على نَسَق واحد دَلّ عليه من أوّل عِلْمٍ بها مقصده، إما في خُطبة تهلّيد، أو دعاء كُتب، كما قيل لـ ١٥ كاتب : آكُتِب إلى الأمير بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الإنسان، فكتب :
أما بعد حمد الله خالق الإنسان في بطون الأسماء

وكقول أبي الطيّب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن موله :
حَسَم الصلحُ ما أَشْتَهتُه الأعداى * وأذاعتُه ألسُنُ الحساد
وأمثال ذلك . ١٠

قال : ويُنْبئني أن لا يَتَدبّرُ بشيءٍ يُتَطَيَّرُ منه، كقول ذى الرِّقّة :

* ما بال عينك منها الماءَ يَمسُكُ *
وقول البحترى :

* لَكَ الويل من ليلٍ تَهَاصِرُ آخرُهُ *

وكقول المتنبي : ١٥

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا * وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانيا
وكقوله :

مِلْتُ القَطَرُ أعْطَشَها رُبوعاً * وإلا فأسقها اليمّ النقيع^(١)

(١) كذا في الأصل . وهو غير ظاهر ، والذي يلوح لنا أن في هذه العبارة تعديداً وتأخيراً وزيادة
٢٠ ماءً ، والأصل فيها هكذا : « دل على مقصده من أوّل علم به » أخفا من عبارة حسن التوسل من ٦٥ ط
الوهابية ، ونصها : « فينبئ كلامه على نسق يستدلّ به على مقصده من أوّل وهلة » .
(٢) الثالث : من الثالث ، وهو دوام المطر .

قال : ويبين أن يراعى في الابتداء ما يقرب من المعنى إذا لم تنأ عنه براعة الاستهلال، وتسهيل اللفظ ومذوَّبته وسلاسة الفاظه، وقيل : إن أحسن ابتداء ابتدأت به العرب قولُ النابغة :

كلّني لهم يا أئيمة ناصب * وليل أفاصيه بعلى الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مؤلّد قول إصحق بن إبراهيم الموصلي :

هل إلى أن تمام عني سبيل * إن عهدي بالنوم عهد طويل

ويحسن أن يندى في المدح بمثل قول أبزون الهامي :

على منبر العلياء جدك ^(١) يخطب * ولبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتلي :

مدوّك مذموم بكلّ لسان * وإن كان من أصداءك القمران

وقول الثيفاشي :

ما هنّ عطفيه بين البيض والأسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

وفي التشيب كقول أبي تمام :

على مثلها من أريج وملاعب * أذيت مصونات السموع السواكب

وفي السيب كقول المتلي :

أتراها لكثرة الشاق * تحسب الدمع خفة في المآق

وفي المرائي كقول أبي تمام :

كنا قليلاً الخطب ولقدح الأمر * وليس لعين لم يفض ماؤها عذر.

(١) في الأصل : «علياء» وهو تحريف .

وأما براعة التخليص — فهو أن يكون التشيب أو النسب مزوجاً بما بعده من مدح وغيره غير متفصل عنه ، كقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُكَ هَلْ تَدْرِيْنَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ * كَأَنَّ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ
نَصَبْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بُسْرَةٌ * كَقُرَّةِ يَمْحَى حِينَ يُدْكَرُ جَعْفَرُ
وكقول المتنبي :

نَوَدَّعُهُمُ وَالْبَيْنَ فِينَا كَأَنَّهُ * قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْبَاءِ فِي قَلْبِ قِيَاقِ .

وأما براعة الطلب — قال : وهو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم المدح ، كقول أمية بن أبي الصلت :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمِّ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّ شَهْمَتِكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
وكقول المتنبي :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ قَطَانَةٌ * سَكَوْنِي بَيَّانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ .

وأما براعة المقطع — فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخليل أو الشاعر مستعذباً حسناً ، لتبقى لذته في الأسماع ، كقول أبي تمام :

أَبْقَتْ بَنَى الْأَصْفَرِ الْمَصْفَرَّ كَأَسْمَهُمْ * صُفْرَ الْوَجْهِ وَجَلَّتْ أَوْجَهُ الْعَرَبِ
وكقول المتنبي :

وَأَعْطَيْتَ الَّذِي لَمْ يُعْطَ حَاقِقٌ * طَلِكَ صَلَاةَ رَبِّكَ وَالسَّلَامَ

وكقول النزّمي :

بَقِيَتْ بَقْلَةُ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دَعَاءُ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ .

وأما السؤال والجواب — فهو كقول أبي فراس :

لَكَ جَسْمِي تُعَلِّهُ • فِدَى لِمَ تَعَلِّهُ؟^(١)

قَالَ إِنْ كُنْتُ مَالِكًا • فَلِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ

وأمثال ذلك • وقد أوردنا منه في باب النزل ما فيه كفاية •

- وأما صحة الأقسام — فهو عبارة عن استيفاء أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بحيث لا ينفاد منه شيئاً ؛

ومثال ذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوَافًا وَطَعْمًا) وليس في رؤية

البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطعم في المطر ؛

وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) فلم يبقَ قسمًا من

- أقسام الهيئات حتى أتى به ؛ ١٠

وقوله تعالى : (يَهْبِ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا نَا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُّكُورَ أَوْ يَرْزُقُهُمْ ذُرِّيًّا

وَإِنَّا نَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا) ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ليس لك من

مالك إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت" ولا رابع لهذه الأقسام ؛

- ١٥ ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واصل من كفاف ، أو آثر من قوت ؛ فقال الحسن : ما ترك الأعرابي متجك أحدا حتى عمه بالمسألة ؛

ومن أمثلة هذا الباب في الشعر قول بشر :

فراح فريق في الإسار ومشلُّه • قتل ومشلُّ لاذ بالبحر هاربه

- ٢٠ (١) في حسن التوسل : «نحله» ومعنى البيت يستقيم على كلا الرايتين ، ونحله : من مل دمه إذا أهدر ولم يرخذ بثاره •

وأصله قول عمرو بن الأهم :

إشربا ما شربنا فهُنَّيْلٌ * من قتييل وهارب وأسير

ومن جيد صحة الأقسام قول الحماسي :

وهبها كشيء لم يكن أو كالأخ * به الدار أو من غيبته المقابر

فاستوفى جميع أقسام المعلوم ؛

وقول أبي تمام في الأتشين لما احترق بالنار :

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومن قديم ما في ذلك من الشعر قول زهير :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله * ولكنني عن طم ما في غد عبي

ومن النادر في صحة الأقسام قول عمر بن أبي ربيعة :

تهيم إلى نهم فلا الشمل جامع * ولا الجبل موصول ولا أنت مقصر

ولا قرب نهم إن دنت لك نافع * ولا بعدها يسلي ولا أنت نصبر.

(١٠)

وأما التوشيح — فهو أن يكون معنى الكلام يدل على لفظ آخره ، فيتزل

المعنى منزلة الوشاح ، ويتزل أول الكلام وآخره منزلة العائق والكشع اللذين يحول

عليهما الوشاح .

وقال قدامة : هو أن يكون في أول البيت معنى إذا علم علمت منه قافية البيت

بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه ، كقول

الراعي التميمي :

(١) كلاورد هذا التعريف في الأصل وحسن التوصل في النسخة المخطوطة من المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٧ أدب ؛ وعجاجة قدامة في كتابه قد الشعر ص ٦٣ ط الجواثب : هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومساها متعلقا به حتى أن الذي يرف قافية التصيد إلى البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره برأيت له قافيته .

٢٠

فإن وُزِنَ الحصى فوزنت قومي * وجلت حصى ضربتهم رزينا^(١)
 فإن السامع إذا فهم أن الشاعر أراد المفارقة برزانة الحصى ، وعرف القافية
 والروي ، علم أثر البيت ، ومن أمثله ما حُكي عن عمر بن أبي ربيعة أنه أنشد عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما :

* تَسِيْطُ غدا دار أحبابنا *

فقال له عبد الله :

* وَللدارُ بعد غد أبعد *

فقال له عمر : هكنا والله قلتُ ، فقال له عبد الله : وهكنا يكون .

وأما الإيغال — فمعناه أن المتكلم أو الشاعر إذا انتهى إلى آخر القرينة أو البيت
 استخرج جملةً أو قافيةً تفيد معنى زائدا على معنى الكلام ، وأصله من أوغل
 في السير إذا بلغ غاية قصده بسرعة .

وقسره قدامةً بأن قال : هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن
 يأتي بقافيته ، فلذا أراد الإتيان بها أفاد معنى زائدا على معنى البيت ، كقول ذي الرمة :
 قِفِ الْعَيْسَ فِي آثارِ مَيَّةَ وأَسالِ * رسوما كأخلاق الرءاء المسلسل^(٢)

فتم كلامه قبل القافية ، فلما احتاج إليها أفاد بها معنى زائدا ، وكذلك صنع في البيت
 الثاني فقال :

أَطْلُقِ الذي يُجِدِي عليك سؤاَلُها * دموعا كتبذير الجمان المفصَّل

فإنه تمّ كلامه بقوله : كتبذير الجمان ، واحتاج إلى القافية ، فأتى بها تفيد معنى
 زائدا لو لم يؤت بها لم يحصل .

٢٠ (١) القرينة : السجدة والطبقة ، يصفهم برباطة الحلم وسكون الطبع .

(٢) الثوب المسلسل : الرديء النسيج .

وحكى عن الأصمعي أنه سئل عن أشعر الناس فقال : الذى يأتى إلى المعنى
الخصيس فيجعله بلفظه كثيرا ، ويتقضى كلامه قبل التافية ، فإن احتاج إليها أفاد
بها معنى ، فقليل له : نحو من ؟ فقال : نحو الفاتح لأبواب المعانى أمرئ القيس
حيث قال :

كأن عيون الوحش حول خباثنا * وأرحلنا الجنزع^(١) الذى لم يثقب
ونحو زهير حيث يقول :

كأن ثنات العين فى كل منزل * نزلن به حب القنا لم يحطم^(٢)
ومن أبلغ ما وقع فى هذا الباب قول النخساء :

وإن صحرا لتاتم الغداة به * كأنه حلم فى رأسه نار^(٣)

ومنه قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوى :

فأتم بنوا بلته دوتنا * ونحن بنوا عمه المسلم^(٤)

ومن أمثلة ذلك من شعر المتأخرين قول الباتحزى :

أنا فى فؤادك قادم طرفك نحوه * ترى قفلك لها وأين فؤادى

وقول آخر :

تعجبت من ضنى جسمى فقلت لها * على هوائك فقالت عندى الخيرة.

(١) الجوز فتح الجيم وتكرر : التمر زائغانى فيه سواد ويبيض تشبه به الأمين .

(٢) أقمنا بالقصر : حب التلعب ، الواحد فناة . وفى الأصل : « القنا » بالفتح المتناة ؟ وهو

تصرف .

(٣) فى رواية : « الهداة » كما فى حسن التوسل وغيره ، ومعنى البيت يستقيم على كلا الروايتين .

(٤) فى الأصل : « نحن بنوا به » وهو تصرف لا يستقيم به معنى البيت ، والصواب عن حسن

التوسل وغيره من كتب الأدب .

وأما الإشارة — فهي أن يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بإيحاء إليها،
 وذكر نَحْمَةٌ تَلَىٰ حَالِهَا، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْخَىٰ إِلَىٰ عِبْدِهِ مَا أَوْخَىٰ ﴾، ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ
 اللَّيْلِ مَا عَاشَوهُمْ ﴾ .

وكقول آخرى القيس :

- فَإِنْ تَهَلَّكَ شَوْءٌ أَوْ تُبَدِّلُ ^(١) * فَيَسِيرُ إِنْكَ فَعَسَانِ خَالَا
 بِمَزْهَمُو عَزَزَتِ وَإِنْ يَذَلُّوا * فَتَلْهَمُوا أَنَا لَكَ مَا أَتَالَا
 وكقوله أيضا :
- فَطَلَّ لَنَا يَوْمٌ لِلْيَدِ بِنَعْمَةٍ * فَقُلْ فِي نَعِيمٍ نَحْسُهُ مُتَقِيبٌ .

- وأما التذييل — وهو ضد الإشارة — فهو إعادة الألفاظ المترادفة على
 المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، كقوله :
 ١٠ إذا ما عقدنا له ذُقَّةً * شددنا العِلاج وعقد الكَرْبِ ^(٢)
 وقول آخر :

وَدَعَوْا نَزَالَ فَكَنْتُ أَقْلُ نَازِل * وعلام أركبه إذا لم أنزل
 ويقرب منه التكرار، كقول عبيد :

- ١٥ هل لا سألت جموع كذبة لئلا يوم ولوا أين أيننا؟

(١) يريد أزد شوء؛ قال ياقوت : شوءة بالفتح ثم الضم وروا ساكنة ثم همزة مفتوحة وهاء :
 غلاف بالين بينهما رين صماء اثنان وأربعون فرسخا ، تنسب إليها قبائل من الأزد يقال لهم : أزد شوءة .
 ثم قال : والنسبة إليهم شئاني ؛ قال ابن السكيت : ربما قالوا أزد شئوه بالفتح يد بئر همزة ، ينسب
 إليهم : شئوي .

(٢) العلاج : جبل يشد في أسفل الدار النظمية ثم يشد في المراقى . والكرب بالضم مركب جبل يشد
 في وسط المراقى ليل الماء فلا يمتن الحبل الكبير .

وكقول آخر :

وكانت فزارة تصلي بنا * فأولى فزارة أولى فزارا .

وأما التردد — فهو أن تعلق لفظة في البيت بمعنى ، ثم تردعا فيه بينها وتعلقها بمعنى آخر ،
كما قال زهير :

من يلق يوما على علاته هريما * يلقى الساحة منه والندى خلقا
وكقول آخر :

وأحفظ مالى في الحقوق وإنه * بلم وإن النهر جم عجائبه
وكقول أبي نواس :

صفراء لا تقتل الأحرار ساحتها * لو مسمها بحجر مسمته سراء .

وأما التقويف — فهو مشتق من الثوب المفوف ، وهو الذى فيه خطوط
بيض ، وهو فى الصناعة عبارة عن إتيان المتكلم بمكان شئ من المضح أو الغزل
أو غير ذلك من الأغراض ، كل فن فى جملة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل
فى الوزن ، وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة ؛
فمثال ما جاء منه فى الجمل الطويلة قول النابغة الذباني :

فقد عينا من رأى أهل قبة * أضرم من هادى وأكثرنا
وأعظم أحلاما وأكبر سينا * وأفضل مشفوعا إليه وشافنا

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول أبي الوليد بن زيدون :

نه أحملى ، وأستطلى أصبر ، وعز أنى * وول أفيل ، وقيل أسمع ، ومز أطيع
ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي :

أقل أنل أقطع آل عل سأل أعد * زد هش بش تقبل أدن سر صيل .

وأما التسميم — فهو مأخوذ من البُرد المسمم، وهو المخطَّط الذي لا يتفاوت ولا يختلف، ومنهم من يجعل التسميم والتوشيح شيئاً واحداً، ويُشرك بينهما بالتسوية، والفرق بينهما أنَّ التوشيح لا يدلُّك أوله إلا على القافية لحسب، والتسميم تارة يدلُّ على عَجْز البيت، وتارة على ما دون العجز؛

- وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدلُّ على ما يتأخر، تارة بالمعنى، وتارة باللفظ،
 كآيات جنوب أخت عمرو ذى الكُلب، فإنَّ الحدائق بمعنى الشعر وتأليفه يعلمون
 أن معنى قولها :

* فَأَقْسَمُ بِأَعْمُرٍ لَوْ تَبَاكَ *

يقتضى أن يكون تمامه :

- ١٠ * إِذْنُ تَبَا مَتَكَدَاءَ عُضَالَا *

دون غيره من القوافي، كما لو قالت مكان «دواء عضبالا» : لَيْتَا عُضْبُوبَا، أو أُنْفَى قَتُولَا،
 أو سَمًا وَحِيَا، أو ما يناسب ذلك، لأنَّ الدواء العضبال أبلغ من جميع هذه الأشياء
 وأشد، إذ كلُّ منها يمكن مغالته أو التوقُّ منه، والدواء العضبال لادواء له، فهذا بما
 يُعرف بالمعنى ؛

- ١٥ وأما ما يدلُّ فيه الأوَّل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده ^(١) :

إِذْنُ تَبَا لَيْتَ حَرِيْسَة * مُقِيْتَا مُقِيْدَا قَوْسَا وَمَالَا

فإنَّ الحدائق بصناعة الكلام إذا سمع قولها : « مقيتا مقيدا قوسا ومالا » تحقق أنَّ هذا اللفظ
 يقتضى أن يكون تمامه : « قوسا ومالا » ؛ وكذلك قولها :
 * فَكُنْتُ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَه *

- ٢٠ (١) في الأصل : « من قولها »، وقوله « من » زيادة من الناصح .

يقتضى أن يكون [يعلمه] ^(١) :

• وكنت دجى الليل فيه الملالا •

ومن ذلك قول البحترى :

• وإذا حاربوا أذلوا عزيزا •

• يحكم السامع بأن تمامه :

• وإذا سالوا أعزوا ذليلا ^(٢) •

وكذلك قوله :

أحلت دجى من غير جرم وعزمت • بلا سبب يوم اللقاء كلامى

• فليس الذى حالته بحلل •

١٠ يعرف السامع أن تمامه :

• وليس الذى حرّمته بحرام • •

وأما الاستخدام — فهو أن يأتى المتكلم بلفظة لها معنيان، ثم يأتى بلفظتين يستخدم كل لفظتهما فى معنى من معني تلك اللفظة المتقدمة، وربما أكتسب الاستخدام بالتورية من كون كل واحد من البابين مفتقرا إلى لفظتهما معنيان، والفرق بينهما أن التورية أستهمل أحد المعنيين من اللفظة، وإهمال الآخر، والاستخدام أستهملهما معا، ومن أمثله قول البحترى :

فَسَقَى النَّضَى وَالسَّكِينَةَ وَإِنْ هُوَ • شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَائِحِ وَقُلُوبِ

(١) هذه الكلمة التى بين مربعين ساقطة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها أخذنا من عبارة حسن الخوسل ص ٧١ ط الرواية وغيره، فإن عبارة : « يقتضى أن يتلوه »

(٢) فى الأصل : « وان » وهو تحريف • ٢٠

(٣) عبارة الأصل : « من حالى ذلك » ؛ وهو تحريف مواه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق •

(٤) فى الأصل : « الناس » ؛ وهو تحريف •

فإن لفظة الغضى محتملة للوضع والشجر، والسقيا صالحة لها، فلبا قال :
« والساكنية » استعمل أحد معني اللفظ، وهو دلالة بالقرينة على الموضع، ولما
قال : « شبهوه » استعمل المعنى الآخر، وهو دلالة بالقرينة على الشجر؛ ومن ذلك
قول الشاعر :^(١)

إذا نزل السماء بأرض قوم * رعبته وإن كانوا غضا

أراد بالسماء القيت، وبضميره التبت .

وأما العكس والتبديل — فهو أن يقدم في الكلام أحد جزئيه ثم يؤخر؛
ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين طرفي الجملة، كقول بعضهم : عادات السادات، سادات
العادات ؛

ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ومنه بيت الحماسة :

فرد شهورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها أن يقع بين كلمتين في طرفي جملتين، كقوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ ﴾
وقول أبي العلي :

ولا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله * ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده .

وأما الرجوع — فهو أن يعود المتكلم على كلامه السابق بالتعويض لنكتة
كقول زهير :

قف بالديار التي لم يمتها القدام * بلى وضيها الأرواح والديم

(١) محمدي بن حطية الطنقى .

(٢) في الأصل : « من » وما أئنتاه عن حسن الترمذ .

كانه لما وقف على الديار حربه روعة دَخل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير
فقال : «لم يصفها القدم» ثم تاب إليه عقله وتحقق ما هو عليه من الدروس ، فقال :
بل عفت وغيّرها الأرواح والديم ؟

ومنه بيت الحماسة :

أليس قليلا نظرة^(١) إن نظرتُها * إليك وكلّا ليس منك قِليل .

وأما التغاير — فهو أن يتاير المتكلم الناس فيما عاينهم أن يبدحوه فيمدّه
أو يلقوه فيمدّسه ؛

فإن ذلك قول أبي تمام يتاير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم :

قد بَلّونا أبا سعيد حديثا * وبلّونا أبا سعيد قديما^(٢)
فوردناه سائحا وقليبا * ورعيناه بارضا وجميا^(٣)
فعلما أن ليس إلا بشق النفس صار الكرم [يدعى] كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة :

لا يُتَمَب التائل المبذول هتته * وكيف يُتَمَب من الناظر النظر

ومنه قول ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف :

إن يخذم القلم السيف الذي خَضَعَتْ * له الرقاب ودانت خوقه الأهم
فالْمَوْتُ والمَسُوْتُ لا شيء يمايله * ما زال يَتَبَع ما يحسرى به القلم

(١) البيت ليزيد بن العنبرية .

(٢) الباطن : أول ما يظهر من نبات الأرض ، والجيم : النبات الكثير ، أو هو ما نهض وانتشره .
وفي الأصل : «سنيا» وفي حسن التوسل : «هشيا» ، وهو تحريف في كلمتها ، والتصويب عن ديوان
أبي تمام ص ٣٦٠ ط الأدبية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد قلنا ما من ديوان أبي تمام إذ جاء يستقيم البيت .

كنا قضي الله للأقلام مذ بُرِيت * أن السيوف لها بذ أُرِهفت خَدَم
وظاير المتنتي على الطريق المألوف قال :

حتى رجعت وأقلامى قوائلى * المجد لل سيف ليس المجد لل قلم
اكتب بها أبدا قبل الكتاب بنا * فلما نحن للأسياف كالجندم .

- وأما الطاعة والعصيان — فإنه قال : هذا النوع أمتنبطه أبو العلاء المعري
عند نظره في شعر أبي الطيب ، وسمّاه بهذه التسمية ، وقال : هو أن يريد المتكلم
معنى من المعاني التي البديع فيستعصى عليه لتعذر دخوله في الوزن الذي هو آخذه فيه
فيأتي موضعه بكلام غيره يتضمن معنى كلامه ، ويقوم به وزنه ، ويحصل به معنى
من البديع غير الذي قصده ، كقول المتنتي :

- ١٠ يرْدُ بنا عن ثوبها وهو قادر * ويصصى الهوى في طيفها وهو راقد
فإنه أراد أن يقول : يرْدُ بنا عن ثوبها وهو مستيقظ ، حتى إذا قال :
* ويصصى الهوى في طيفها وهو راقد *

يكون في البيت مطابقة ، فلم يطمع الوزن ، فأغنى بقادر في موضع مستيقظ لتضمنه
معناه ، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظا وزيادة ، فقد عصاه في البيت الطابق
وأطاعه الجناح بين قادر وراقد ، وهو جناس المعكس ؛

- ١٥ (١) كذا في الأصل وحسن التوصل وفرح الباعرية المحفوظ منه خمسة خطوط بدار الكتب
المصرية تحت رقم ٨٣ هـ بلاقة ؛ وصار ابن أبي الإصبع في تحرير التحرير المحفوظ منه نسخة بخطوة
بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ هـ بلاقة : « أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع » .
(٢) كذا في تحرير التحرير وحسن التوصل . وابقى في الأصل : « عن » .

- ٢٠ (٣) كذا في حسن التوصل ص ٧٣ ط الوهية وتحرير التحرير لابن أبي الإصبع . وعبارة الأصل :
« فإنه لو أراد » ؛ وقوله : « لو » زيادة من النسخ يدلل قوله فيما ساق « فلم يطمع » بإثبات القاء ؛
على أنه يؤخذ مما سبق في تعريف هذا القسم من قوله : « أن يريد المتكلم » أن التمثيل لا يتم إلا بأن يكون
الشاعر قد أراد ذلك بالفعل .

وأفكر آبن أبي الإصبع أن يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان ، لأنه كان يمكنه أن يقول عوض قادر : ساهر ، وإنما المتلنى قصد أن يكون في يده طباقٌ معنوى ، لأن القادر ساهر وزيادة ، إذ ليس كل ساهر قادرا ، وأن يكون فيه جناس العكس .

٥ . وقال : إن شاهد الطاعة والعصيان عنده أن تعصيه إقامة الوزن مع إظهار مراده ، فطبيعة لفظة من البديع يتم بها المعنى وتزيده حسنا ، كقول عوف بن عُلْم :
 إن الثمّائين وُفِّتْهَا * قد أحوجت سمى إلى ترجمان
 فإنه أراد أن يقول : إن الثمّائين قد أحوجت سمى إلى ترجمان ، فعصاه الوزن وأطاعه لفظة من البديع وهى التميم ، فزادته حسنا وكَلَّتْ مراده ، وكل التميم من هذا النوع .

١٠ . وأما التسميط — فهو أن يجعل المتكلم مقاطع أجزاء البيت أو القرينة على جميع بخلاف قافية البيت أو آخر القرينة ، كقول مروان بن أبى حفصة :
 هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُحوا * أصابوا وإن أعطوا ألبابا وأجروا
 فإن أجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السط ، والأجزاء المسجعة بمنزلة حب المقد .

١٥ . وأما التشطير — فهو أن يقيم الشاعر بينه شطرين ، ثم يُصرع كل شطر من الشطرين ، ولكنه يأتى بكل شطر من يده مخالفا لقافية الآخر ، كقول مسلم ابن الوليد :
 مؤوف على مَهْجٍ في يوم دى رَجٍ * ككأنه أجَلٌ يسى إلى أمل
 وكقول أبى تمام :
 تدبِيرُ متصميم بالله متعظيم * لله مرهيب في الله مرهيب .

وأما التطريز — فهو أن يبتدئ الشاعر بكربل من النوات غير مفصلة ثم يُخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعدادِ بَمل تلك اللوات تعداد تكرار واتحاد، لا تعداد تغاير، كقول ابن الرومي :

أموركو [بني] خافان عندي * عجب في عجب في عجب

قرون في رءوس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله :

وسقي وشرب من رحي * خليق أب يشبه بالخلوق

كان الكأس في يلها وفيها * حقيق في حقيق في حقيق

وأما التوشيع — فهو مشتق من الوشيمة ، وهي الطريقة في البرد ، وكان

- الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره ، فأتى فيه بطريقة تعدد من المحاسن ، وهو عند أهل هذه الصناعة أن يأتي المتكلم أو الشاعر بأسم متي في حشو الجُزء ، ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما حين ذلك المتي ، يكون الآخر منهما قافية يته ، أو بجملة كلامه كأنهما تفسير لما شاء ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : "يشيب ابن آدم وتشيب فيه خصفان : الحرص وطول الأمل"

- ومن أمثلة ذلك في النظم قول الشاعر :

أمسى وأصبح من تد كاركم وصبا * يرني في المشفقان الأهل والولد

قد خلد الدمع خدى من تد كركم * واعتادني المضيقان الوجد والكبد

وظاب عن مقلي نومي لنيتكم * وخاني المسعدان الصبر والجهد

لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

- (١) الكلمة التي بين مربعين مضافة من الأصل ، وقد قلناها من حسن التوصل وغيره ، إذ بها يستقيم الوزن والمعنى . (٢) في الأصل : « بناء » بالياء الموحدة ، وهو محريف .

قال ابن أبي الإصيص : وما بما فقهه في هذا الباب من بأس ، وهو :
 (١) بي محتان ملام في هوى بهما * رنى لى القاسيان الحب والنجور
 لولا الشفيقان من أمنية وأسا (٢) * أودى بي المريدان الشوق والفكر
 قال : ويحسن أن يسمى ما في بيتيه مطرف التوشيع ، إذ وقع المفتى في أول
 كل بيت وآخره .

وأما الإغراق - وهو فوق المبالغة ودون الغلو ، ومن أمثله قول ابن المعتز :
 صبتنا عليها ظالمين سيأطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل
 فوضع الإغراق من البيت قوله : ظالمين ، يعنى أنها استقرغت جهدها في العدو
 لما ضربتها إلا ظلما ، فن أجل ذلك خرجت من الوحشية إلى الطيرية ، ولولم يقل :
 « ظالمين » لما حسن قوله : « فطارت » ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها
 حقيقة ، وقد عد من الإغراق لا المبالغة قول امرئ القيس :
 تزورتها من أذرع وأهلها (٣) * يشرب أدنى دارها نظرا على .
 وأما الغلو - فمنهم من يجعله هو والإغراق شيئا واحدا ، ومن شواهده
 قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع من بحجر (٤) * صليل البيض تفرع بالذكور

- (١) في الأصل وحسن التوسل : « لى » باللام ، وما أحتاجه عن تحرير التمبر لابن أبي الإصيص .
 (٢) الأوس يضم الهزرة وكسرهما : جمع أسوة بالضم والكسر أيضا ، وهى القدرة ، يريد اعتداه غيره
 من منمن من الحزن ما منه ، فهو يتأسى يوم لما قاله منها .
 (٣) أخذت : يد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وحمان ، ينسب إليه الخمر ، والنسبة إليه أذرى .
 (٤) جرفعت الحاء : مدينة الحماة وأم قراها . والبيض يفتح الياء واحدة بيضة ، وهى الخوذة
 التى تلبس على الرأس فى الحرب ، سميت بذلك لأنها تشبه بيضة النمامة . وأراد بالذكور : السيوف ؛
 والذكر من الحديد : أحسن وأشد وأجوده .

ومثله قول المتنبي في وصف الأسد :

ورد إذا ورد البعيرة شاربا * بلغ الفرات زئيره والنيل

قالوا : ومن أمثلة المثلوقول الأثير بن قلوب في صفة السيف :

تظل تحفر عنه إن صرمت به * بعد الذراعين والساقين والهادي .

- وأما القسم — فهو أن يريد الشاعر الحليف على شيء فيأني في الحلف بما يكون مدحا [له] وما يكسبه نفرا، أو يكون هجاء لغيره، أو وعيدا، أو جاريا بجري التفرق والتفرق؛

فقال الأول قول مالك بن الأشتر النخعي : * بقيت وفري وانحرفت عن الملا *
وقد تقدم الاستشهاد بهما في النظم ، فإنها تضمنت نفرا له ، وعيدا لغيره ، وكقول

- أبي علي البصير يموض بلي بن الجهم :

أكذبت أحسن ما يظن مؤملا * وعدت ما شادته لي أسلاف

وعدت عادتي التي عودتها * قدما من الإخلاف والإتلاف

وغضضت من ناري ليخفي ضومعا * وقرئت عذرا كاذبا أضياف

إن لم أشن على غارة^(١) * تضيي قلد في أعين الأشراف

- وقد يقسم الشاعر بما يزيد المدح مدحا ، كقول القائل :

إن كان لي أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

(١) الورد من الأسود : ما أحبه لونه لون الورد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد قلناها من حسن التوصل إذ السياق يقتضي إبتهاها .

(٣) في الأصل : « كقول » ، والكاف زيادة من التامع .

- (٤) كذا في شرح الباعونية المحفوظة من نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣ بلاثة ؛
والقى في الأصل وحسن التوصل : « حقة » بحاء موحدة بعدها لام ، ولم نجد من معانيه ما يلائم معنى البيت ، ولعله يحرف من « حقة » بحاء مهملة بعدها ميم .

وبما جاء من القم في النسب قول الشاعر :

فإن لم تكن عندي كميني ومسمى * فلا نظرت عني ولا سميت أذني

وبما جاء في الغزل قول الآخر :

لوالذي ملّ من جفنيه سيفردى * قُلت له من عذاريه حمامه

ما صارت مقلتي دمعاً ولا وصلت * غمضا ولا سالت قلبي بلائله .

وأما الاستدراك — فهو على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد، وقسم لا يتقدمه ذلك؛ فن أمثلة الأول قول القائل :

وإخواني تحببهم دروا * فكانوا ولكن للاطدى

ويحلمهم مهابا صائبات * فكانوا ولكن في فؤادى

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من وداى

وقول الأرجاني :

ظالمتني إذ كست جسي ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عني صدقت لكن سقاما

وأما القسم الثاني الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد فكقول زهير :

أخوتة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله .

وأما المؤلفة والمختلفة — فهو أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين

فيأتي بهما مؤلفة في مدحهما ، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة

لا ينقص بها الآخر ، فيأتي لأجل الترجيح بهما تخالف التسوية ، كقول الخنساء

في أخيها وأبيها — وراعت حق الوالد بما لم ينقص الولد —

جارى أباه فأقبلوا وهما * يتعاقبان ملاءة الحضر^(١)
 وهما وقد برزا كأنهما * صقران [قد] حطأ الى وكر^(٢)
 حتى اذا زنت القلوب وقد * لزت هناك المُنذر^(٣) بالعذر
 وملا هتاف الناس : أيهما * قال المجيب هناك : لا أدرى
 برقت محبة وجه والده * ومضى على غلوائه يحسرى
 أولى فأولى أن يساويه * لولا جلل السن والكبر

وأول من سبق الى هذا المعنى زهير حيث قال :

هو الجواد فإن يلحق بشاؤهما * على تكليفه فيسله ليق
 أو يسبقه على ما كان من مهل * فيل ما قلنا من صالح سسقا

وتلاوه الناس ، فقال أبو نواس :

ثم جرى الفضل فالتقى قلما * دون مداه بنير تهيق
 قليل راشا سهما تزد به الضاية والنصل سابق^(٤) الفوق

وأما التفريق المفرد - فهو كقول الشاعر :

ما نوال الغمام يوم ربيع * كنوال الأمير يوم صها

فَنوال الأمير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء

(١) الحضر : الارتجاع في العدو .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد نقلناها عن كتب الأدب إذ بها يستقيم الوزن .

(٣) العدو : جمع طائر ، وهو الصياد الذي يكون على حد الهابة من الجمام .

(٤) حيازة الأصل : « قول زهير » ، وكلمة « قول » زيادة من النسخ ، والصواب إسقاطها كما يقتضيه

ما قبله وما بعده من الكلام . وبإشارة حسن التوصل : وأول من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله .

(٥) الفوق بضم الفاء ، موضع القوم من السهم ، والجمع أفواق .

وأما الجمع مع التفریق ^(١١) - فهو أن يشبه شيئين بشئ ثم يفرق بين وجهي الاشتباه، كقول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها * وقلبي كالنار في حرها.

وأما التقسيم المفرد ^(١٢) - فهو أن يذكّر قسمة ذات جزأين أو أكثر، ثم يضم إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به، كقول ربيعة الرقي :

يزيد سليم سالم المال واللقى * قتي الأزد للأموال غير مسلم
كشتان ما بين يزيد بن الندى * يزيد سليم والأعر بن حاتم
فهم الفتي الأزدى إلفاء ماله * وهم الفتي القيسى جمع الدراهم
فلا يحسب التتنام أنى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وكقول ابن حيوس :

ثمانية لم تفرق إذ جمعها * فلا أفرقت ماذب عن خاطر شفر
يقينك والتقوى، وجودك والفتى ^(١٤) * ولفظك والمعنى، وسيفك والنصر

(١) في الأصل : « بالفرق » وما أشتبه هو المعربة في جميع كتب البلاغة ، كما أنه هو الموافق لما ساق من قوله : « وأما الجمع مع التقسيم » وقال صاحب التبريد ج ٢ ص ٢٣٨ ط الأسمرية نقلا عن عبد الحكيم ما نصه : « أورد كلمة : « مع » إشارة إلى أن الحسن اجتاعها »

(٢) في الأصل : « بالمفرد » ، والباء زيادة من الناصح إذا لا مقتضى لما في هذه العبارة ، فإن قوله : « المفرد » مفعول للتقسيم ، يريد التقسيم المفرد الذي ليس به جمع كما يدل عليه ما سبق من قوله : « وأما التفریق المفرد » ، أى التفریق الذي ليس به جمع أيضا . وبعبارة حسن التوصل وبغيره من كتب البلاغة : « التقسيم المفرد » بدون باء .

(٣) تتم الرحلة بتممة إذا ترقد في النوم فهو تتنام بالفتح . وقال أبو زيد : هو الذى يسبل في الكلام ولا يهتمك .

(٤) في الأصل : « يبتك » ، وهو تحريف .

وقول آخر:

لِتَمَيُّعِ الْحَاجَاتِ جَمْعُ بَيَابِهِ * فَهَذَا لَهُ فَرْقٌ وَهَذَا لَهُ فَرْقٌ
فَلْخَاطِلِ الْعُلَيَّا، وَلِلْعَدِيمِ الْغَنَى * وَلِلذَنْبِ الرَّحْمَى، وَلِلْخَافِ الْأَمْنِ
وَيُجَوِّزُ أَنْ يُعَدَّ هَذَا مِنَ الْجَمْعِ مَعَ التَّقْسِيمِ .

- وأما الجمع مع التقسيم - فهو أن يجمع أموراً كثيرة تحت حكم، ثم يقسم
بعد ذلك، أو يقسم ثم يجمع، مثال الأول قول المتنبي:
حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ تَحْرُشُنَا^(١) * تَسْقَى بِهِ الرُّومَ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلسَّبِي مَا نَكْهَوْا، وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا * وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا، وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا
بَفَحَّعَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَرْضَ الْعَدُوِّ مَا فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّقَاوَةِ، وَذَكَرَ التَّقْسِيمَ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

ومثال الثاني قول حسان:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَلْوَهُمْ * أَوْ حَاوَلُوا التَّمَعُّقَ فِي أَشْيَاعِهِمْ قَعَعُوا
صَبِيحَةً تَلِكْ مِنْهُمْ خَيْرٌ مُحَدَّثَةٌ * إِنَّكَ الْحَوَادِثُ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْيَدَّعِ .

- وأما التزاوج - فهو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول
الْبُحْتَرِيِّ:

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي وَجَّزَّ بِالنَّاهِي * أَصَابَتْ إِلَى الْوَاثِي فَطَعَّهَا الْمَجْرِي .

- وأما السلب والإيجاب - فهو أن يُوقَعَ [الكلام]^(٢) على قبيح شيء وإثباته
في بيت واحد، كقوله:

(١) في الأصل: «ويقسم» والخطام يقتضى الطغف بار .

(٢) خرشة ففتح الخاء وسكون الراء: به قرب ملطية من بلاد الروم .

(٣) الكلمة التي بين مربعين صانعة من الأصل: والسياق يقتضى إثباتها .

وتكر ان شئنا على الناس قوْلهم * ولا يُنكرون القول حين قول
وكقول الشَّيْخ :

هَضِيمُ الْحَشَى لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَصْرُهَا * وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلُّ حَجَلٍ ^(١) وَمُطْلَجٍ :

وأما الاطراد - فهو ان يطرُد الشاعر أسماء متتالية يزيد المندوح بها
تدريجاً ، لأنها لا تكون إلا أسماء أبانه تأتي منسوقة غير منقطعة من غير ظهور كلفة
على التَّظْم كاطراد الماء وأنسجامه ، وذلك كقول الأعشى ^(٢) :

أَقْبَسُ بَنَ مَسْعُودٍ بَنَ قَيْسٍ بَنَ خَالِدٍ * وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو حِبَامَكَ وَأَنْتَ
وكقول دُرَيْدٍ :

قَطَنًا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ * ذُوَابَ بَنِ إِسْمَاعِيلَ بَنِ قَارِبٍ
وهذا أحسن من الأول ، لأطراد الأسماء في عَجَزِ الْبَيْتِ .

وقال ابن أبي الإصبع : وقد أُرْبِي على هؤلاء بعض القائلين حيث قال :
من يكن رام حاجة بُدِنتِ عذ * به وأُعِيَتْ عليه كَلَّ الْعِيَاءِ
فلها أحمد المُرْجِي ابنُ يَحْيَى د * بنُ مُعَاذٍ بَنِ مُسْلِمٍ بَنِ رَبِيعٍ
لأنه يقع فيه الفصل بين الأسماء بفظة المُرْجِي .

ومنه ما كتب الشيخ محمد الدين بن الظهير الحنفى على إجازة :

أَجَازَ مَا قَدْ سَالُوا * بِشَرِّ أَهْلِ السَّنَدِ

محمد بن أحمد د * بن عمر بن أحمد

فلم يفصل بين الأسماء في البيت بفظة أجنبية ^(٣) .

(١) الحِل : التَّلَافُوت . والمُطْلَج : المُضْدَعُ . والمُطْلَج : المُضْدَعُ .

(٢) في الأصل : « واسمها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « يدخل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتناه بإيدل عليه ثبوت إياه في قوله به :

« بقطه » وقوله فما سقى : « ولم يقع فيه الفصل » .

وأما التجريد — فهو أن يتربع الشاعر أو المتكلم من أمر ذي صفة أمرا آخر
مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه؛ وهو أقسام: منها نحو قولهم: لي [بين] فلان
صديقٌ حميم، أي بلغ من الصداقة حداً سمح معه أن يستخلص منه صديقٌ آخر؛

ومنها نحو قولهم: لئن سألتَ لَسَأَلْتَنِي به البحر، ومنه قولُ الشاعر:

- وشواهدها تعدو بي إلى صاخر الوعى * بمسئمتي مثل القينق المُرسل
أي تعدو بي ومعنى من استعلاذى للحرب لأيس لأمة؛

ومنها نحو قوله تعالى: (لَمْ يَكُنْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) لأن جهنم — أطاذا الله منها —
هي دار الخلد، لكن أتربع منها مثلها وجعل فيها معلماً للكفار تهويلاً لأمرها؛
ومنها نحو قول الجاهلي:

- ١٠ فلئن بقيتُ لأرسلنَّ بغزوة * نحو الغنائم أو يموت كريم
وعليه قراءة من قرأ: (فَلَا أَلْهَيْتُ الْمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ) بالرفع، بمعنى
فحصلت السماء وردة، وقيل: تهدير الأول أو يموت متى كريم، والثاني: فكانت
منها وردة كالدهان، وفيه نظر؛
ومنها نحو قوله:

- ١٥ يا خبير من ركبَ المطى ولا * يشرب كأساً يكف من يثلا
ونحو قول الآخر:

إن تلقى — لا ترى ضربي بناظره — * تلس السلاح وتعرف جبهة الأسد^(١٧)
ومنها مخاطبة الإنسان غيره وهو يريد نفسه، كقول الأعشى:
ودع هُريرة إنا الركب مرّحِل * وهل تُطيق وداعاً أيها الرجل

- ٢٠ (١) الزيادة تفتيحاً صفة الخيل.
(٢) في الأصل: «مين»، وهو تحريف؛ والتصويب من حسن التوصل.

وقول المتنبي :

لا خيل عندك تُهدى ولا مال * فليُسعِدَ التَّطَلُّقُ إن لم تسعد الحلال
ومنه قول الجيـش بـيـص :

إلام يراك المجد في زى شاعر * وقد نَحَلَّتْ شوقاً فروع المنابر
كَتَمَّتْ بِصِيتِ الشَّعرِ لها وحكمة * ببعضهما يتقاد صعبُ المفاعر
أما وأبيك الخير إنك فارس الـ * كلام ونحيي التارسات الغوارب

وأما التكميل — فهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من مدح أو غيره من فنون الكلام وأغراضه ، ثم يرى مدحه بالاعتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل ، كن أراد مدح إنسان بالشجاعة ، ثم رأى الاعتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلاً غير كامل أو بالباس دون الحلم ، ومثال ذلك قول كعب بن سعد الفزري :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زَيْنُ أهله * مع الحلم في عين السدوميهب

قوله : « إذا ما الحلمُ زَيْنُ أهله » احتباس لولاء لكان المدح مدخولاً ، إذ بعض التقاضى قد يكون عن تجزئ ، وإنما زين الحلمُ أهله إذا كان عن قدرة ، ثم رأى أن يكون مدحه بالحلم وحده غير كامل ، لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طبع فيه عدوه فقال : « في عين السدوميهب » ، ومنه قول السموئل بن حاديه :

وما مات منّا سيدٌ في فراشه * ولا طُلّ منّا حيث كان قيل

لأن صدر البيت [واث] ^(١٧) تضمّن وصفهم بالإقدام والصبر ^(١٢) بما أوجهم العجز ^(١٣) ⑪

- (١) كما في الأصل . يريد : ثم اعتد كون مدحه الخ وصل هذا التفسير لا يحتاج فعل « رأى » إلى مفعول ثان . وعبارة حسن التوسل : « ثم رأى أن مدحه » الخ والمعنى عليه يستقيم أيضاً .
(٢) هذه الكلمة سابقة من الأصل ، واستقامة العبارة تمنحني إتيانها ، انظر حسن التوسل .
(٣) عبارة الأصل : « نيا آدم القشر » ، وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(١١) [لأن] قَسَلَ الجميع يَدَهُ عَلَى الوَهْنِ والقِلَّةِ فَكَلِمَةً بِأَخْنَمِ النَّارِ، وَكَلَّ حَسَنَةً بِقَوْلِهِ :
 "حَيْثُ كَانَ" فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِي الشَّجَاعَةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ فِي السَّيِّبِ قَوْلُ كُثَيْبٍ :

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موقّق لقضى لها
لأن قوله: "عند موقّق" تمثيل للعنى، إذ ليس كلّ من يحاكم إليه موقّعا، ومنه
قول المتنبي:

أشدُّ من الرياح الهوج بطشا * وأصرعُ في الندي منها هبوا.

وأما المناسبة - فهي على ضربين : مناسبة في المعنى ، ومناسبة في اللفاظ
فالمنوية أن يدعى المتكلم بمعنى ، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، كقوله
تعالى : (أَوَلَمْ يَدْعُوا لِمَنْ كَانُوا أَهْلُهَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَاهُ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزَ فَخُذْ
بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْبَاهُمْ وَاقْتُمْهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) فقال تعالى في صدر الآية التي
الموعظة فيها سمعية : (أَوَلَمْ يَدْعُوا) ، وقال بعد ذكر الموعظة : (أَفَلَا يَسْمَعُونَ)
وقال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : (أَوَلَمْ يَرَوْا) وقال بعد الموعظة :
(أَفَلَا يُبْصِرُونَ)

ومن أمثلة المناسبة المعنوية قول المتلى :

على سباج مَوْجُ المنبا يخمره * غَدَاةَ كَاتِ النَّبَلِ فِي صَدْرِهِ وَبَلِ
فَإِنَّ مِنْ لَفْظَةِ السَّبَاةِ وَلَفْظَتِي الْمَوْجِ وَالْوَيْلُ تَامِسًا صَارَ الْيَتِ بِهِ مَتَلَحًّا؛ وَقَوْلُ
أَبْنِ وَشِيْقِ :

أصح وأقوى ماروبناه في الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديثُ رَوَاهَا السَّيُولُ عَنْ الْحَمِي = عن البحر عن جُود الأمير تميم
فإنه وَفَى الْمُنَاسِبَةَ حَقَّهَا فِي صِحَّةِ التَّنْعَةِ بِرَوَايَةِ السَّيُولِ عَنْ الْحَمِي عَنْ الْبَحْرِ، وَجَعَلَ
الغَايَةَ فِيهَا جُودَ الْمَدْحِ .

وَالْمُنَاسِبَةُ اللَّفْظِيَّةُ : تَوَحُّى الْإِتْيَانِ بِكَلِمَاتٍ مَتَرَاتٍ، وَهِيَ عَلَى ضَرِيحَيْنِ : ثَامَّةٌ
وغير ثَامَّةٍ

فَالثَّامَّةُ : أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَاتُ مَعَ الْإِتْرَانِ مَقْفَاةً، فَمِنْ شَوَاهِدِ الثَّامَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(لَبَّ وَاقَلِّمَ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ يَنْعِمُ رَبِّكَ يُخَوِّنُونَ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ)
وَمِنْ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ - صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى قَائِلِهِ - قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : "أَعِيدْ كَمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ، وَمِنْ كُلِّ مَيِّنٍ لَامَةٍ" وَلَمْ يَقُلْ : «مَلَمَةٍ» وَهِيَ الْقِيَاسُ لِمَكَانِ الْمُنَاسِبَةِ
الْلَفْظِيَّةِ الثَّامَّةِ ؛

وَمِنْ شَوَاهِدِ النَّاقِصَةِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ
وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالَسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطُنُونَ أَكْلَفًا»

وَمَا جَمَعَ بَيْنَ الْمُنَاسِبَتَيْنِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً تَهْدِي
بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتُكَلِّمُهَا شَعْبِي، وَتُصَلِّحُ بِهَا غَايِقِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتَرْكُزُ
بِهَا عَمَلِي، وَتُكَلِّمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتُرَدِّدُهَا أَلْفَتِي، وَتَقْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَوْنَ فِي الْقَضَاءِ، وَتُرْلَ الشَّهْدَاءِ، وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ، وَالتَّصَرُّعَ عَلَى الْأَعْدَاءِ»
فَتَأْسِبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قَلْبِي وَأَمْرِي، وَغَايِقِي وَشَاهِدِي مُنَاسِبَةً غَيْرَ ثَامَّةٍ، لِأَنَّهَا
فِي الزَّيْنَةِ دُونَ التَّقْيِينَةِ ، وَتَأْسِبُ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالشَّهْدَاءِ وَالسَّعْدَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مُنَاسِبَةً ثَامَّةً
فِي الزَّيْنَةِ وَالتَّقْيِينَةِ ؛

ومن أمثلة المناسبة قول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا آتَا أَوَانُسُ * فَتَا انْطَلَقَ^(١) إِلَّا أَقْ تَلَكْ ذَوَابِلُ

فناسب بين مَهَا وقتنا مناسبة تامة ، وناسب بين الوحش وانطَلَقَ ، وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة .

- وأما التفریع - فهو أن يُصَدَّرَ المتكلم أو الشاعر كلامه باسم مَنَى بـ "ما" خاصة ، ثم يصف الاسم المنى بمُعْظَمِ أو صافه اللاحقة به في الحسن أو القبح ، ثم يجعله أصلاً يُفْرَعُ منه جملة من جازٍ ومجوزٍ متعلقة^(٢) [به] تَلَقَّى مَدْرَجٍ أو هجاء أو نفي أو نسب أو غير ذلك ، يُفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنى الموصوف كقول الأحمسي :

- ١٠ ماروضة من رياض الحزن مُعْشِبَةٌ * خضراءُ جَادَ عليها مُسِيلٌ هِطْلُ
يضاحك الشمس منها كوكب شَرِيقٍ^(٣) * مؤزَّرٌ بِعَمَمٍ التَّهْتَ مَكْتَهْلُ
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصْلُ
وقول عائكة التوتية :

- وما طعم ماء أَيْ ماء قَوْلِهِ^(٤) * تَحْتَرُّ من عَرَّةٍ طَوَالِ النَوَائِبِ
١٥ بمَنْصَرَجٍ مِنْ بَطْنٍ وَإِدِ تَقَابَلَتْ * عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

(١) يريد خط عمان ، وهو الذي قُتِبَ إليه الرماح الخفيفة ، قال ابن سيده : انطَلَقَ صَيْفُ الْبَحْرِينِ وَعَصْفٌ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد قلنا لها عن حسن التوصل ص ٨٠ ط الوهبة .

(٣) كوكب الرضفة : نورها . قال في التلخيص : الكوكب معروف من كواكب السماء ، ويشبهه النور فيسمى كوكبا . انظر اللسان مادة كوكب .

٢٠ (٤) كذا في الأصل وزعم الآداب ج ١ ص ١٦٧ ط الزحانية ؛ وصارفة حسن التوصل : « هزلة » والمعنى يستقيم حل كلا الرايتين .

نَفَتْ جَرِيَّةُ الْمَاءِ الْقَذَى عَنْ مُتُونِهِ * فَلَيْسَ بِهِ عَيْبٌ تَسْرَاهُ لَعَابُ
بِأَطْيَبِ مِنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ * تَقَى اللَّهَ وَأَسْتَحْيَاهُ بَعْضُ الْعَوَاقِبِ
وَقَدْ وَقَعَ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ لِأَبِي تَمَامٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ :
مَارِجَ مَيَّةٍ مَعْمُورًا يُطْلِفُ بِهِ * غَيْلَانُ أُمِّي رُبًّا مِنْ رَبْعِيَا الْخُرُوبِ
وَلَا الْخُلُودُ وَإِنْ أَدْمِينَ مِنْ تَجَلٍّ * أَشْمَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ حَقِّهَا التَّرِبِ

وَمَا وَرَدَ فِي النَّثْرِ رِسَالَةُ ابْنِ الْقُمَيْيِّ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى سَبِيحِ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ صَنْعَاءَ :
وَأَمَّا حَالُ عَيْدِهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ فِي الْخُلْدِ، فَمَا أَمَّ تَسْعَةَ مِنَ الْوِلْدِ؛ ذَكَورٌ، كَأَنَّهُمْ عَقْبَانُ
وَكُورٌ؛ أَحْتَرِمُ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةَ، فَهِيَ عَلَى التَّاسِعِ حَاضِيَةً، فَتَادِي التَّنْذِيرِ فِي الْبَادِيَةِ، بِالْأَلْعَادِيَةِ
يَالْأَلْعَادِيَةِ ؛ فَلَمَّا سَمِعْتُ النَّاسَ، وَرَأَتْ الْخَلِيلَ سَوَاعِي، أَقْبَلْتُ تَكَادِي وَلَدَهَا :

١٠. الْأُتَاةُ الْإِنَاءُ، وَهُوَ يَنَادِيهَا : الْفَنَاءُ الْفَنَاءُ
بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي مَرَحَةٍ * يُجْعَدِي نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
فَلَمَّا رَمَقَتْهُ يَخْتَالُ فِي غُضُوبِ الْوَرْدِ الْمَوْضُونِ أَفْشَاتُ تَقُولُ :
أَسَدٌ أَضْبِطُ يَمْشِي * يَنْ طَرَفَاءُ وَغِيلُ
لَيْسُهُ مِنْ نَسِجِ دَاوُ * دَكْفَرُ حَضْبَاحِ الْمَيْلِ

١٥. (١) فِي الْأَصْلِ : «الْكِرَاعِي» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٢) الرِّحْلَةُ : وَاحِدَةُ السَّجْعِ، وَهُوَ مَا عَظُمَ وَطَأُ مِنَ الشَّجَرِ، يَرِيدُ وَصْفَهُ بِطَوْلِ الْقَامَةِ وَخِفَافَةِ الْجِسْمِ
وَالْبَيْتَ لِنَفْرَةِ الْبَيْسِ .
(٣) السَّبْتُ بِكَسْرِ السِّينِ : الْجِلْدُ الْمُدْبِجُ، وَفِي الْمَصْبَاحِ أَنَّهُ يُقَالُ : نَمَلٌ سَبْتِيَّةٌ : أَيْ لَا شَعْرَ فِيهَا .
(٤) الْمَوْضُونُ : الْمَنْسُوجُ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ، أَوْ هُوَ الْقَارِبُ النَّسِجِ .
(٥) الطَّرَفَاءُ : مِنَ الضَّيَاءِ ، وَلَهُ حَذْبٌ كَهَذْبِ الْأَثَلِ ، وَلَيْسَ لَهُ غَشْبٌ ، وَإِنَّمَا يُخْرَجُ صَيَّا مِصَّةً
فِي السَّيَاءِ ، وَقَدْ تَقَبَّضَ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا لَمْ يُجْعَدِ حَضْبًا غَيْرَهُ . وَالنَّيْلُ بِكَسْرِ النُّونِ وَتَخْفُضِ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُنْتَفِخُ ،
أَوْ هُوَ جَاعَةُ الْقَتَبِ وَالْحَلْقَاءُ .
(٦) النُّضْبَاحُ وَالنُّضْبُحُ : الْمَاءُ الَّذِي لَا غُرْقَ فِيهِ ، شَبَّ الْخُرْعُ فِيهِ فِي بَرَقَةٍ وَاطْرَادَ مِنْهُ .

عَرَضَ لَهُ فِي الْبَادِيَةِ أَسَدٌ مَهْصُورٌ، كَأَن ذِرَاعَهُ مَسَدٌ مَعْصُورٌ

فَنَطَاعَنَا وَتَوَاقَفَتْ خَيَالُهُمَا * وَكَلَامُهُمَا بَطْلُ الْقَاءِ مَقْنَعٌ

فَلَمَّا سَمِعَتْ الرَّجُلُ ، بَرَزَتْ مِنَ الصَّرْمِ بِصَبْرٍ قَدْ عِيلَ^(١) ؛ فَسَأَلَتْ عَنْ الْوَاحِدِ
فَقِيلَ : لِحَدِّهِ الْإِلَاحِدُ^(٢)

- فَكَرَّتْ تَجَنُّبُهُ فَصَادَفَتْهُ * عَلَى دِمِهِ وَمَصْرَعِهِ السَّبَاعَا
- حَبْنٌ بِهِ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا * أَدِيمًا قَدْ تَمَزَّقَ أَوْ كُرَامَا
- بِأَشَدِّ مِنْ عِيْدِهِ تَأْسَفَا ، وَلَا أَعْظَمُ كَلِمَا وَتَلَهَفَا .

- قال : وَذَكَرَ ابْنَ أَبِي الْإِصْبَحِ فِي التَّفْرِيعِ قَمِيًّا ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ الْبَابِ ، وَقَالَ :
- إِنَّهُ هُوَ الَّذِي اسْتَخْرَجَهُ ، وَهُوَ أَنْ يَتَدَيَّ الشَّاعِرُ بِلَفْظَةٍ هِيَ إِمَّا أَسْمُ أَوْ صِفَةٍ ، ثُمَّ يَكْرِهُهَا فِي الْبَيْتِ مِضَافًا إِلَى أَسْمَاءِ وَصِفَاتٍ تُتَفَرَّعُ عَلَيْهَا جُمْلَةٌ مِنَ الْمَعَانِي فِي الْمُلْحَقِ ١٠
- وَفِيهِ ، كَقَوْلِ الْمُتَلَقِّي :

- أَنَا ابْنُ الْقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاةِ * أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الْعَطْمَانِ
- أَنَا ابْنُ الْفِيَاثِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ * أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرُّطَانِ^(٣)
- طَوِيلُ النَّجَادِ طَوِيلُ الْعَادِ * طَوِيلُ الْقَتَاةِ طَوِيلُ السَّنَانِ
- حَدِيدُ الْقَطَاظِ حَدِيدُ الْخِفَاطِ * حَدِيدُ الْحَسَامِ حَدِيدُ الْجَنَاطِ . ١٥

(١) الصَّرْمُ بِكسر الميم : الْجَمَاعَةُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «الْإِلَاحِدُ» ، وَالْمِيمُ زِيَادَةٌ مِنَ التَّاسِيعِ .

(٣) الرُّطَانُ : أَنْوْفُ الْجِبَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنْهَا ، وَاحِدُهُ رَمَنٌ ؛ يُرِيدُ أَنَّهُ لَكَثْرَةُ قَطْعِهِ لِهَيْبَالٍ وَسُلُوكِهِ فِيهَا وَمَصْرَفِهِ بِشَمَائِلِهَا كَأَنَّهُ ابْنُهَا .

وأما نفي الشيء بإيجابه — فهو أن يُثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه
ويُنفي ما هو [من] سببه مجازا ، والمعنى في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته
كقول امرئ القيس :

- على لاجب لا يُتندى بمناره * إذا سافه العود النباطى بجرىرا^(٢١)
فظاهر هذا الكلام يقتضى إثبات منار لهذه الطريق ، وقى الهداية به مجازا^(٢٢)
وباطنه في الحقيقة يقتضى نفي المنار جملة ، والمعنى أن هذه الطريق لو كان لها منار
ما أهدى به ، فكيف ولا منار لها ، كما تقول لمن تريد أن تسلبه الخيل : ما أقل
خيرك ! فظاهر كلامك يدل على إثبات خير قليل ، وباطنه نفي الخيل كثيرة وقليله .
وقول الزبير بن عبد المطلب يمدح عُميلة بن عبد الدار — وكان ندبا له — :
صحيبت بهم طلقا يراح الى الندى * اذا ما أنتقى لم تحضره مفافره^(٢٣)
ضعيف بحث الكأس قبض بناته * كليل على وجه النديم أظافره^(٢٤)
فظاهر هذا أن المدوح مفافره لم تحضره إذا انتفى ، وأق له أظافره يحش بها وجه
تدعيمه تحشا ضعيفا ، وباطن الكلام في الحقيقة نفي المفافره جملة ، والأظافره بنة .

- (١) في الأصل : « ما هو سببه » بقرينة « من » وقد أثبتناها من حسن التوصل وغيره .
(٢) في الأصل : « سافه » بالفتح الخانة ، وهو تحريف ، ولا معنى له يناسب السياق ، والتصويب
عن شرح ديوان امرئ القيس . سافه : شمه . والعود : الجبل المسن . وجرىرا : رقا ، وإنما يرغو
الجبل لمرعى يبعد الطريق .
(٣) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « ونفى الهداية » وفيها قلب وعرىف لا يستقيم بها
المعنى ؛ وسباق الكلام يقتضى ما أثبتنا . انظر تحرير التمهيد لابن أبي الإسبح المحفوظ من نسخة مخطوطة
بدار الكتب المصرية رقم ٦٥٠ بلاقة .
(٤) هذه نسبة إلى جده ، أما أبوه فهو السباق بن عبد الدار . انظر المختص من جمهرة النسب
لباقر المحفوظ من نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٨٥ تاريخ .
(٥) في الأصل : « بحث الكأس فضل » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب من
حسن التوصل . وفي تحرير التمهيد : « قبض » بقاء . موحدة بدلها باء مثناة ؛ وهو تحريف .

وأما الإبداع — قال : وأكثر الناس يجعلونه من باب التضمين ، وهو منه إلا أنه مخصوص بالثر ، وبأن يكون المودع نصف بيت ، إما صيدرا أو محجزا
فمنه قول علي رضي الله عنه في جواب كتاب لماوية :

ثم زعمت أتى لكل الخلقاء حسدت ، وعلى كلهم بنيت ، فإن يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك ، حتى تكون المعيرة إليك * وتلك شكاة ظاهر عتك عارها *

وأما الإدماج — فهو أن يدمج التكلم غرضاً له في جملة معنى من المعاني قد نجاه ليوم السامع أنه لم يقصده ، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده ، كقول عبيد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للتضد — وكان ابن عبيد الله قد آختلت حاله — فكتب الى ابن سليمان :

أبي دهرنا إسماعيل في نفوسنا * وأسفنا فيمن نحب ونكر
قلت له نيك فيهم أئمتها * ودع أمرنا إن المهم المقسم
فأدج شكوى الزمان في ضمن التهنئة ، وظلف في المسألة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال .

وأما سلامة الاختراع — فهو أن يختار الشاعر معنى لم يسبق إليه ولم يتبعه أحد فيه ، كقول عترة في الذباب :
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قلدح المكب على الزناد الأجنح
وكقول عدى بن الرقاق في تشبيه ولد الفظية :
ترجى أغرب كان إبرة روقه * قلم أصاب من النواة مدادها

(١) عبارة الأسفل : « كقول عبد الله بن عبد الله لعبيد الله » الخ وهو تحريف صواب ما أئبنا
انظر مساعد التصحيح ص ٤٠٢ ط بولاق ، ورويات الأعيان ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

(٢) في الأسفل : « كقندح » والكاف زيادة من الناصح .

وكقول الثانية في وصف السور :

تَراهِبَ خَلْفَ القومِ زُورا عيونها * جلوسَ الشيوخِ في مُسوكِ الأراب^(٢١)
وكقول أبي تمام :

لا سكرى عطلَ الكريمِ من الغنى * فالسَّيلُ حربٌ للكلابِ العالى
وقوله :

ليس الجبابرُ بِمُقَصِّصِ عَنكَ لى أملا * إنا السماءَ تُرْجى حينَ تَحْجِبُ
وقول ابن جنيح :

وَأنى والمولى الذى أنا عبده * طَريفانُ فى أمرٍ له طَريفان^(٢٢)
بعيدا ترانى منه أَقربَ ما ترى * كَأنى يومُ العيدِ فى رمضان.

- ١٠ وأما حُسن الاختِراع — فهو أن يأتى المتكلم إلى معنى قد اخترعه غيره
فيُتبعه فيه أتباعا يوجب له استحسانه ، إما باختصار لفظه ، أو قصر وزنه
أو عنوبة نَظْمِهِ ، أو سهولة مِثْبَكِهِ ، أو إيضاح معناه ، أو تكميم قصيدته ، أو تحليته
بما توجه الصنعة ، أو غير ذلك من وجوه الاستحقاقات ؛
كقول شاعر جاهل في صفة بَجل :

١٥ وَصَوْدِ قَلِيلِ الذئبِ عارِدَتْ ضربه * إذا هاج شوق من مَماهلها ذكر

- (١) كذا في تحرير التحرير لابن الإصمعي . وهو جمع أذور ، والأزور الناظر بؤر عينيه .
والغنى في الأصل : « زرقا » ؛ وهو محريف .
(٢) المسوك : الجلود ، واحده مسك يفتح الميم .
(٣) في الأصل وحسن التوسل : « ترانى » وهو محريف صوابه ما ابتناكا يقتضيه قوله بعد :
« طريفان » بآيات الألف ؛ وانظر تحرير التحرير لابن الإصمعي .
(٤) في الأصل : « طريفان » بالفتح المعجمة ؛ وهو محريف .
(٥) في الأصل : « مسك » ؛ وهو محريف .

وقلت له ذلّاه ويحك سبّيت * لك الضرب فأصبر إن عادتك الصبر
فاحسن ابن المعتز أتباعه حيث قال يصف خيله :

وخيل طواها القود حتى كأنها * أنا يب سمر من قنا الخطّ ذيل

صَبَبْنَا عليها ظالمين مِيَا طَنَا * فطارت بها أيدٍ مِرَاعٍ وأرجل

وأشبع أبو نُوَاس جريرا في قوله :

إذا غَضِبْتَ عليك بنو تميم * حَسِبْتَ الناسَ كلَّهُمُ غَضُبا

فقال أبو نواس — وقيل المعنى من الفخر إلى المدح — :

وليس على الله بمسئدٍ * أن يجمعَ العالمَ في واحد

وقول النُمَيْرِيّ في أخت الججاج :

فهنّ الروابيّ إن برّزن قتلنّ * وإن غبن قطعن الحشى حَمَرات

فأتبعه ابن الرومي فقال :

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت * وَقَعُ السهامُ وزُعُوهنّ السيم

وأما النّم في معرض المدح — فهو أن يقصد المتكلم ذمّ إنسان فيأتى

بألفاظ موجّهة، ظاهرها المدح، وباطنها القُدح، فيُؤيّم أنه يمدحه وهو يهجوه

كقول بعضهم في الشريف بن الشّعريّ :

يا سيّدِي والذي يبيدُكَ من * تَظَلُّمِ قَرِيضٍ يَصُدُّنا به الفكر

ما فيكَ من جَلَدِكَ النّبيّ سوى * أنك لا ينبئُ لك الشعر

وأما العُنوان — فهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر

أو مدح أو هجاء أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تُكوّن عُنواناً لأخبار

مُتَقَدِّمة، وقصص سالفة؛ كقول أبي نُؤاس :

(١) كذا في الأصل . وفي حسن التوسل : « السير » ، والمعنى يستقيم على كلا الروايين .

يا هانم بن حُجَيْج ليس تخفوكو * يقتل صهر رسول الله بالسِّدِّ
أدبر جمعو في إلهاب العير جُتْجُته * ليس ما قُتِمَتْ أَيْدِيكو لفسد
إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قُتِلْتُ * نُجْجراً بدارة مَلُحُوبِ بنو أَسَدِ^(١)
ويوم قُتِمَ لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقدا رَحَتَ من ولَدِ
ورب كِنْدِيَّةٍ قالت لجارتها * والدمع ينهل من مَثْنَى ومن وَحَدِ^(٢)
ألمى أمرأ القيس تشيبُ بَنَانِيَّةُ * عن ثاره وصفاتُ الثَّوِي والوَدَدِ

فقد أتى أبو نواس في هذه الأبيات بِسِتَّةِ عُنَوَانَاتٍ : منها قصبة قتل محمد بن
أبي بكر، وقتل نُجْجَرِ أبي أمري القيس، وقتل عمرو بن هند كِنْدَةَ في ضمن هجو من أراد
هجومه، وصير المهجوعاً ما أشار إليه من الأخبار النالَّة على هجاء قيسه ؛

ومثل ذلك قولُ أبي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه :

رَفَلوك في يوم الكُلاب وشَقَقُوا^(٣) * فيه المَزَادُ يَجْهَلُ غَلَابِ^(٤)
وهو بَيْنَ أَبَاغٍ راشوا لِلْعِلَا^(٥) * مَهْمِيكَ عند الحارث الحَوَابِ

(١) في الأصل : « مكعون » ؛ وهو تحريف . وطوب : اسم ماء لأسد بن خزاعة .

(٢) في الأصل : « شق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « وسعة الهجو » وهو غير مستقيم ؛ والتصويب عن حسن التوكل .

(٤) الكلاب بضم الكاف : واد يملك بين ظهري هِلان ، وفيه كان الكلاب الأول والكلاب الثاني
من أيام العرب المشهورة ، فأما الكلاب الأول فقد كان بين شرحبيل بن الحارث وأخيه سلة ، ومع شرحبيل
بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، ومع أخيه سلة بن قيس . وأما الكلاب الثاني
فكان بين بني سعد والرياب وبين بني الحارث بن كعب ، وقال في اللسان مادة « كلب » قلا عن أبي عبيد :
كلاب الأول وكلاب الثاني : يومان كانا بين ملوك كندة وبني تميم . وأشار بقوله : « وشققوا فيه المزاد »
إلى ما فعله السفاح في هذا اليوم ، وهو أنه غلباً عليه ورفع ما في أسقية أصحابه ، وقال : « لا ماء لكم دون
الكلاب » والسفاح ، هو مسلمة بن خالد بن كعب من بني حبيب يضم الحاء الممهلة بن عمرو بن غنم بن قنطب .
(٥) في الأصل : « كلاب » بالكاف ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ديوان أبي تمام .

(٦) عين أباغ يضم الهززة وضحا : واد وراء الأنبار على طريق القرات إلى الشام ، وكان معهما
في الجاهلية يوم لم يكن بين ملوك غسان ملوك الشام ، وملوك تميم ملوك الحيرة ، قل في المتن بن المنذور بن أمري
القيس الحمصي .



ولِإِلَى الثَّرَارِ وَالْحَشَاكَ قَدْ * جَلَبُوا الْجِيَادَ لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ^(١)
فَضَّتْ كُهُولُهُمْ وَدَبَّرَ أَمْرَهُمْ * أَحْدَانُهُمْ تَدِيرَ غَيْرِ صَوَابِ
وقال بعد ذلك :

لك في رسول الله أعظم أسوة * وأجلها في مُنَّةٍ وَكَتَابِ
أَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ الْقُلُوبِ رِضَاهُمُ * [كَلَّا]^(٢) وَرَدَّ أَخَانَهُ الْأَحْزَابِ^(٣)
وَالْجَعْفَرِيُّونَ اسْتَقَلَّتْ طُعْمُهُمْ * عَنْ قَوْمِهِمْ وَهُمْ نَجْمُ كِلَابِ
حَتَّى إِذَا أَخَذَ الْقُرَاقُ بِقَسَطِهِ * مِنْهُمْ وَشَطَّ بِهِمْ عَنِ الْأَحْبَابِ
وَرَأَوْا بِلَادَ اللَّهِ قَدْ لَقَطَتْهُمْ * أَكْثَانُهَا رَجَعُوا إِلَى جَوَابِ
فَاتَوَا كَرِيمَ الْحَيْمِ مِثْلَكَ صَافَا * عَنْ ذِكْرِ أَحْقَادٍ وَذِكْرِ ضِيَابِ^(٤)

فانظر الى ما أتى به أبو تمام في هذه الأبيات من العنوانات من السيرة النبوية
وأيام العرب ، وأخبار بني جعفر بن كلاب ، ورجوعهم الى أبي عنهم جَوَابِ ؛
وكقوله أيضا لأحمد بن أبي دؤاد :

(١) الثَّرَارُ : راد ضلِّم بالجزيرة يمد إذا كثرت الأقطار ، فأما في الصيف فليس فيه إلا منافع ومياه
حامية وعيون قليلة ، وهو في البرية بين سنجار وركبت ، وكان في القديم منازل لبيكر بن وائل واخص بأكثره
بنو قنطب . والحشاك : هو تل حيدة ، كانت فيه وقعة قنطب حل قيس .

(٢) لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ : أي ضمير المصور .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها من ديوان أبي تمام ، وبها يستقيم الوزن . والأخاند :
جمع أخينة ، وهو فدية بمعنى مفعولة ، ولم يرد بالأحزاب هنا من شهدوا غزوة الخندق من المشركين واليهود
كما هو المسمى المشهور لهذا القنط ، فإنه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ منهم أخاند ثم ردها
ولكنه رد أخاند هرازن يوم حنين ، وإذن فتراده بلفظ «الأحزاب» المسمى العام ، وهو كل من تحزب حل
الإسلام ، كما يستفاد ذلك من شرح ديوان أبي تمام للطبيب التبريزي وغيره من كتب السيرة .

(٤) في المديح : « ضفت » ؛ وسنرى البيت يستقيم على كلا الروايتين . والضباب : الأحقاد
واحدة ضب بفتح الضاد وتكسر .

تَبَيَّنَتْ إِذْ قَوْلَا كَانَ زُورًا * أَتَى النِّعَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ
وَأَرَثَ بَيْنَ حَيٍّ بَنَى جُلَاحَ * لَطَى حَرْبٍ وَحَيٍّ بَنَى مَصَادَ
وَعَادَرَ فِي صُدُورِ النَّهْرِ قَتْلَ * بَنَى بَدْرٍ عَلَى ذَاتِ الْإِصْبَادِ^(١٢)

فَاتَى بِعُتُونٍ يَشِيرُ بِهِ إِلَى قِصَّةِ النَّابِغَةِ حِينَ وَشَى بِهِ إِلَى النِّعَانِ، بِفَرَاغِ ذَلِكَ مِنْ
الْحُرُوبِ مَا تَضَمَّنَتْ آيَاتُهُ .

وَأَمَّا الْإِيضَاحُ — وَهُوَ أَنْ يَذَكَرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامًا فِي ظَاهِرِهِ لَيْسَ، ثُمَّ يُوَضِّحُهُ
فِي بَيِّنَةٍ كَلَامَهُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يَذَكِّرُنِيكَ الْخَبِيرُ وَالشَّرُّ كُلُّهُ * وَقِيلُ الْخَنَا وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْجَهْلُ

فَإِنَّ الشَّاعِرَ لَوْ أَتَى عَلَى هَذَا الْبَيْتِ لِأَشْكَالٍ مُرَادِهِ عَلَى السَّامِعِ بِمَعْنَى بَيْنِ الْفَاطِطِ
الْمَلْحِ وَالْمِجْبَاءِ، فَلَمَّا قَالَ بِعَد :

فَالْقَالُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مَتَرَّهَا * وَالْقَالُكَ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ^(١٣)

أَوْضَحَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ، وَأَزَالَ الْآلِيسَ، وَرَفَعَ الْإِشْكَالَ وَالشَّكَّ .

وَأَمَّا التَّشْكِيكُ — فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ فِي كَلَامِهِ بِإِظْفَاقِ تَشْكِيكٍ مُخَاطَبٍ
هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أُصْلَبِيَّةٌ لَا غِنَى لِلْكَلَامِ عَنْهَا؟ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
تَنَاجَيْتُمْ بِذُنُوبِكُمْ لَا تَنَاجَوْا بِهَا وَلَا تَخَفُوكُمْ فَإِنَّكُمْ كُفَرْتُمْ﴾^(١٤) فَإِنَّ لَفْظَةَ يَذَكِّرُنِيكَ تَشْكِيكُ السَّامِعِ هَلْ هِيَ فَضْلَةٌ أَوْ أُصْلَبِيَّةٌ؟ فَالضَّمِيرُ
النَّظَرُ يَنْظُرُهَا فَضْلَةً لِأَنَّ لَفْظَةَ تَنَاجَيْتُمْ تَعْنِي عَنْهَا، وَالتَّخَافُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ يَعْلَمُ أَنَّهَا أُصْلَبِيَّةٌ

(١) أَوْتِ الثَّارِ : أَرْقَاهَا .

(٢) هُوَ اسْمُ مَاءٍ لَطَمَ عَلَيْهِ دَاخِسُ فَرَسٍ قِيَسَ بِنِ زَهْرٍ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حَرْبٍ دَاخِسٍ وَالثَّيْرَاءِ، أَوْ هُوَ
رِدْعَةٌ فِي دِيَارِ عِيْسَ وَسَطِ حَضْبِ الْقَلْبِ يَأْتُونَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «عَنْ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لأن لفظة الدين لها محامل، نقول : دأبنت فلانة المودة ، يعني جازيته ، ومنه : « كما تدبّن ثمان » ومنه قول رؤبة :

دأبنت أروى والديون تُقضى * فطلعت بعضا وأدبت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب ولا يشهد عليه ، ولما كان المراد من الآية تمييز الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه ، وتيسير أحكامه ، أوجب البلاغة أن يقول : « بدّين » ليعلم حكمه .

وأما القول بالموجب — فهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام مدح شيئاً يعني به نفسه ، فتبنت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ، ولا نفياً عنه ، كقوله تعالى : (يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلََّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فإنهم كانوا بالأعز من فريقهم ، وبالأذل عن فريق المؤمنين ، فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ورسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإنزاج بصفة العزة ولا لنفيه .

والثاني حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يَحْتَمِلُهُ بِذِكْرِ مُتَعَلِّقِهِ كقول الشاعر :

(١) كذا في الأصل . والقي في حسن التوسل : « وتبين » ؛ والمعنى يستعمل كل كليهما .

١٥

(٢) كما ورد هذا التبريد في الأصل وحسن التوسل . وهو غير ظاهر ، إذ أن الذي لا يصرح بتبوية ولا بتبني إنما هو الحكم الذي ثبت بواسطة تلك الصفة ، لا تلك الصفة ، كما يفهم مما يأتي بعد الآية الكريمة . وعبارة التخصيص : « أحدهما أن تقع صفة في كلام التبريدية عن شيء أثبت له حكم فتبنتها لغيره من غير تعرض لتبوية له أو تقيع عنه » . وقال في الإيضاح في شرح قوله : « من غير تعرض لتبوية له » ما نصه : « أي ثبوت ذلك الحكم لتلك التبريدية » الخ .

٢٠

(٣) هو ابن ججاج .

قُلْتُ : سَمِعْتُ إِذْ أَتَيْتُ حِرَارًا * قَالَ : قَعَلْتُ كَهْلِي بِالْأَيْدِي
قُلْتُ : طَوَّلْتُ قَالَ : [لِي] بَلْ طَوَّلْتُ * وَأَبْرَمْتُ قَالَ : حَبْلُ الْوَدَادِ

ومنه قول الأَرَجَانِي : * غَالَطَنِي إِذْ كَسْتُ جَسْمِي ضَنْي * الْبَيْتَيْنِ ، وَقَدْ
تَهَدَّمُ الْأَسْتِشْهَادُ بِهِمَا فِي الْأَسْتِدْرَاكِ .

ولولى شهاب الدين محمود الحلبي الكاتب في ذلك :

رَأَيْتُ وَقَدْ نَالَ مَنَى النُّحُولِ * وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيْضًا
فَقَالَتْ : بَعْنِي هَذَا السَّقَامَ * قَعَلْتُ : صَدَقْتُ ، وَبِالْخَصْرِ أَيْضًا
وَقَوْلُ نَحَّاسِنِ الشَّوَاءِ :

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عَلَيْهِمْ * وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِحْمِي قَارِضُ
وَقَدْ هُبَّتُوا لَمَّا رَأَوْنِي شَاخِبًا * وَقَالُوا : بِهِ مَنُ قَعَلْتُ : وَطَارِضُ .

وأما القلب — فهو أن يكون الكزَم أو اليَثُ كيفَا أَهْلَبْتُ حروفه كان
بجمله لا يتغير، ومنه في التثنية قوله تعالى : (كُلُّ فِي فَلَكٍ) (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) وقولهم :
سَاكِبٌ كَاسٌ ؛

ومنه قول العباد الأصفهاني للقاضي الفاضل : سِرْ فَلَا بَكَ الْفَرَسُ ، وَجَوَابُ
القاضي الفاضل له : دَامَ حُلَا الْعِبَادِ ، وَهِيَ أَوَّلُ قَصِيدَةِ لِلْأَرَجَانِي ، مَطْلَعُهَا : «دَامَ حُلَا
الْعِبَادِ» ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَرَجَانِي :

مَوَدَّتُهُ تَكُونُ لِكُلِّ هَوًى * وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتِهِ تَكُونُ

(١) كذا في الأصل وحسن التوسل . والقي في ترواة الأدب لابن حجة ص ١٤٥ ط بولاق :
«قال قعلت» في صدر البيت الأول ، وفي مجزئه : «قلت» وكذلك في البيت الثاني ؛ وكذا الرايين قودي

معنى صحبا .

(٢) في الأصل : «قال بل» بإسقاط «لي» ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل لأنها يستقيم الوزن .

وأما التذير - فهو أن يأتي المتكلم بتأدية حلوة ، أو نكتة مستظرفة
يُوض فيها بمن يريد ذقه بأمر ، وغالب ما يقع في المزل ، فنه قول أبي تمام فيمن
سرق له شعرا :

- مَنْ بُوْجِلَ ، مَنْ أَبْنُ الْحُبَابِ * مَنْ بُوْ تَقْلِبَ قَدَاةَ الْكَلَابِ
مَنْ طُقِلَ ، مَنْ عَامِرٌ ، أَمْ مَنْ الْحَا * رُثْ ، أَمْ مَنْ حُتِيَّةُ بْنُ شِهَابِ
إِنَّمَا الضَّبِيعُ الْمَصُورُ أَبُو الْأَشْد * جَالِ هَتَاكَ كُلِّ خَيْسٍ وَغَابِ
مَنْ عَدَتْ خَيْلُهُ عَلَى تَرْجٍ شَعْرِي * وَهُوَ لِحَيْنٍ رَأَيْتُ فِي كِتَابِ
يَأْتَدَارِي الْكَلَامَ صَرْتَنَ مِنْ بَعْدِ * لَدَى سَبَايَا تَبِينُ فِي الْأَصْرَابِ
لَوْ تَرَى مَنَطِقِي أَسِيرًا لَأَصْبَحْتُ أَسِيرًا ذَا حَيْرَةٍ وَأَكْتَابِ
طَالَ رَغْبِي إِلَيْكَ مِمَّا أَقَاسِي * لَهْ وَرَهْبِي يَارَبِّ فَاحْفَظْ ثِيَابِي
وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ شِهَابُ الدِّينِ بْنُ الْحَلِيمِيِّ يُعْرِضُ بِنَجْمِ الدِّينِ بْنِ أَسْمَاثِيلَ لَمَّا
تَنَازَعَا فِي الْقَصِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ لِابْنِ الْحَلِيمِيِّ الَّتِي أَوَّلُهَا :
* يَأْتَلِبَا لَيْسَ لِي مِنْ غَيْرِهِ أَرْب *
فَقَالَ مِنْ قِطْعَةٍ مِنْهَا :

- هُمُ الْعَرِيبُ يُجْحَدُ مَذْعَرَفَتُهُمْ * لَمْ يَبْقَ لِي مَعَهُمْ مَالٌ وَلَا تَنْسَبُ
فَا أَلْمُوا بَحِيَّ أَوْ أَلَمْ بِهِمْ * أَلَا أَغَارُوا عَلَى الْآيَاتِ وَأَتَهَبُوا
لَمْ يَبْقَ مَنَطِقُهُ قَوْلًا يَرُوقُ لَنَا * لَقَدْ شَكَتْ ظَالِمُهُ الْأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ .

(١) أراد به محمد بن يزيد الأملوي . انظر شرح ديوان أبي تمام الخليلي التبريزي المحفوظ منه
نسخة بخطوط بيد المكتبة المصرية تحت رقم ٥٠٠ أدب ش .

(٢) أراد حمير بن الحباب البلخي . انظر شرح ديوان أبي تمام المتقدم .

(٣) في الأصل : « جيش » بجم فوقية وشين معجمة ، وهو تصحيف . وخيس الأسد : حرره .

(٤) في الأصل « باين » بالياء ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضي اللام .

وأما الإجمال بعد المغالطة — فهو أن يقصد الشاعر غرضاً من ممدوح
فيشترط لحصوله شرطاً ، ثم يقدّر وقوع ذلك الشرط مغالطة يُسجّل به استحفاق
مقصوده ، كقول بعضهم :

جاء الشتاء وما عندى لقزفه • إلا أرتامدى وتصفيق بأسنانى
فإن هلكت فلولانا يكفنى • هبني هلكت فهبني بعض أكفانى .

وأما الافتتان — فهو أن يأتي الشاعر بفئين متضادين من فنون الشعر
فى بيت واحد ، مثل التشبيب والحماسة ، [والمديح] ^(١) والمجاء والمناء والعزاء
فأما ما جمع فيه بين التشبيب والحماسة فكقول عشرة :

إن تغدنى دونى التنازع فأتى • طَبَّ بأخذ الفارس المستم ^(٢)
وكقول أبى ذؤلف — ويروى لعبد الله بن طاهر — :

أحبك يا جنان وأنت منى • عَمَلُ الرُّوح من جسد الجبان
ولو أنى أقول عَمَلُ رُوحى • خَلَقْتُ طِيكَ بِأَدْرَةِ الْعُطَمَان .

وأما ما جمع فيه بين تهنية وتهزية فقد تقدم ذكر ذلك فى بابى التهاني والتهازى
ومنه فيما لم نوردّه هناك ما كتب به المولى شهاب الدين محمود الكاتب تهنية وتهزية
لمن رزق ولداً ذكرًا فى يوم مات له فيه بنت :

ولا عَتَبَ على الدهر فيما أَهْتَفَ ، فقد أحسن الخلق ؛ واعتذر بما وهب
عما سَلَبَ ، فعفا الله عما سلف .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وصحة التخيّل تخفى إبانها .

(٢) أغلقت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطلب بفتح أله : المأهرم الحاذق .

وأما الإيهام - بياء موحدة فهو أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل
معنيين متضادين ، كقول بعضهم في الحسن بن سهل لما تزوج المأمون ببيته
بُوراث :

بارك الله للحسن * وبُوراث في الخلق

- يا إمام الهدى ظفير * تَ ولكن بيت من
فلم يُعرف مراده «بيت من» هل أراد به الرقة أو الضعة ؟
ومنه قول بُشار في خياط أعور اسمه عمرو :
خاط عمرو لي قباه * ليت حيله سواء
فأبهم المعنى في الداء له بالداء عليه .

- ١٠ وأما حصر الجزئى والحاقه بالكلّى - فهو كقول السلاى :
إليك طوى عرّض البسيطة جامل * قُصارى المطايا أن يلوح لها التقصر
فكننت وعزى في الظلام وصارى * ثلاثة أشباه^(١) كما أجمع النمر
وبُشرت آمالى بملك هو الورى * ودارى الدنيا، ويوم هو الدهر .
فأما حصر أقسام الجزئى فإن العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف
مكان، وقد حصر ذلك ،
١٥ وأما جملة الجزئى كلياً فإن الملعوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم
جزء من الدهر .

(١) كذا في قيمة الدهرج ٢ ص ١٦٣ ط الحفنية ، ونزاة الأدب المسمى ص ٤٥٤ ط
بولاق ، ونحر التحويلات أب الإصحح المحفوظ منه نسخة بخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٦٥
بلاحة . وفي الأصل : أشياء وما أشتاه أقرب إلى معنى البيت ، وأظهر في المراد .

وأما المقارنة — فهي أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو بالمباينة أو غير ذلك بوصل يخفى أثره إلا على ملّين النظر في هذه الصناعة، وأكثر ما يقع ذلك بالمثل الشرطية، كقول بعض شعراء المغرب :

وكنّت إذا استترلت من جانب الرضى * نزلت نزول النيث في السلد المحل
وإن هيج الأعداء منك حفيظة * وقعت وقوع النار في الحطب الجزل
فإنه لادم بين الاستعارة والتشبيه المتروك الأداة في صدرى بينيه ونجزيهما .

وأما ما قرئت به الاستعارة من المبالغة فتأله قول الثابتة الذبياني :
وأنت ربيع يُنمش الناس سيئه * وسيف أُعيرته المنية فاطع
فإن في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة ، وإنما أتى في العجز أبلغ .

وما أقرن فيه الإرداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل :
لئن خدوة حتى تزعا عشية * وقدمات شطر الشمس والشطر مدنف
فإنه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب، وأستعار الدنف للشطر الثاني .

وأما الإبداع — فهو أن يأتي في البيت الواحد من الشعر، أو القوية الواحدة من التريضة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملة ، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المظاہة فليس بإبداع

قال ابن أبي الإصبع : وما رأيت فيها استقرت من الكلام كآية استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من الحسن ، وهي قوله تعالى : ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ

(١) هو إدريس بن إيمان كما في تحرير النعمان لابن أبي الإصبع .

(٢) في الأصل : «الإرادة» ؛ وهو تحريف .

- وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَيَغِيضُ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ: وهى المناسبة الثامنة فى «أبلى» و «أقلى» ، والمطابقة بذكر الأرض
والسماء ؛ والمجاز فى قوله : «يَسْمَاءُ» ، فإن المراد - والله أعلم - بامطر السماء ؛ والاستعارة
فى قوله تعالى : «أقلى» ؛ والإشارة فى قوله تعالى : «وَيَغِيضُ الْمَاءُ» فإنه مبرهاتين
اللفظيتين عن معان كثيرة ؛ والتثيل فى قوله تعالى : « وَقُضِيَ الْأَمْرُ » فإنه مبرع عن
هلاك المالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له ؛ والإرداف فى قوله :
« وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى » فإنه مبرع عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا
بلفظ قريب من لفظ المعنى ؛ والتليل ، لأن غِيضُ الماء علة الاستواء ؛ وصحة
التقسيم إذ استوعب الله تعالى أقسام أحوال الماء حالة قُضِيهِ ، إذ ليس
إلا أحباس ماء السماء ، وأحضان الماء الذى يَبْعُ من الأرض ، وَغِيضُ الماء
الحاصل على ظهرها ؛ والاحتباس فى قوله تعالى : « وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » إذ
الداء عليهم يُشِيرُ أنهم مستحقو الهلاك احتراما من ضعف العقل يتوهم أن
العذاب يُعَمِّلُ من يستحق ومن لا يستحق ، فتأكد بالداء كونهم مستحقين ؛
والإيضاح فى قوله : « لِقَوْمٍ » ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة
حيث قال : ﴿وَكُنَّا مَرَّةً عَلَيْهِ مَلَائِكًا مِنْ قَوْمِهِ يَخِفُّونَ مِنْهُ﴾ هم الذين وصفهم بالظلم ليُعلم
أن لفظة القوم ليست فضلة وأنه يحصل بسقوطها ليس فى الكلام ؛ والمساواة
لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها ؛ وحسن النسق ، لأنه تعالى عطف القضايا بعضها
على بعض بحسن ترتيب ؛ واشتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصح
موضعها غيرها ؛ والإيجاز ، لأنه سبحانه وتعالى اختص القصة بلفظها مستوحدة
بمحيط لم يُحْمَلْ منها شئ فى أقصر عبارة ؛ والتقسيم ، لأن أول الآية الى قوله : «أقلى»

يقتضى آخرها ؛ والتعذيب ، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير ؛ والتمكّن ، لأن الفاصلة مستنزة في قرارها ، مطمئنة في مكانها ؛ والأستيعام ، وهو تحذر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء ؛ وما في [مجموع ^(١)] الآية من الإبداع ، وهو الذي سُمّي به هذا الباب . فهذه سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من أنواعه فيها .

وأما الانفصال — فهو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه ، فيأتى بما يفصله عن ذلك الدخّل ، كقول أبي فراس :

ولقد نيتُ إبيد * من إذا رآك يصعد

لمس من تقوى ولكن * يحفل فيك ويرد

والفرق بين هذا وبين الإحتراس خلو الإحتراس من الدخّل عليه من كل وجه .

وأما التصرف — فهو أن يتصرف المتكلم في المعنى الذي يقصده ، فيبرزه في عتة صور : تارة بلفظ الاستعارة ، وطورا بلفظ التشبيه ، وآونة بلفظ الإرداف وحينا بلفظ الحقيقة ، كقول امرئ القيس يصف الليل :

وليل كجوج البحر مَرخ سُلوله * على أنسواع الموموم ليلى

فقلت له لما تملّى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلّ

فأنه أبرز المعنى بلفظ الاستعارة ، ثم تصرّف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال :

(١) في الأصل : « تقيض » ؛ وهو محريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . واستقامة الكلام تقتضى إثباتها . انظر محرير التحير لابن

أبي الإصبع .

(٣) في الأصل : « عموم » ؛ وهو محريف .

فيا لك من ليل كأن نجومه * بكل مزار الفتل شدت يبدل^(١)

ثم تصرف فيه فأنرجه بلفظ الإدراج فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل^(٢).

وأما الاشتراك — فنه ما ليس بحسن ولا قبيح، وهو الاشتراك في الألفاظ

- مثل اشتراك الأبيد وأي نواس في لفظة الاستغناء، فإن الأبيد قال في مرثية أخيه :

وقد كنت أستعني الإله إذا اشتكى * من الأجر لي فيه وإن عظم الأجر

وقال أبو نواس :

تري العين تستعفيك من لمانها * وتحمي حتى ما تفل جفونها^(٣)

- ومنه الحسن، وهو الاشتراك في المعنى، كقول امرئ القيس :

كثير المقامة^(٤) البيضاء بصفرة * غذاها^(٥) تيمر الماء غير المحلل^(٦)

وقول ذي الرمة :

ككلاء^(٧) في برج صفراء^(٨) في ديج^(٩) * كأنها فضة قد منها ذهب

(١) يذبل : جبل يجرد في طريقها يا قوت .

(٢) في الأمل : « فيك » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « وتحسن » ؛ بالنون ؛ وهو تحريف . وهذا البيت في صفة النمر ؛ يريد أن العين تكل من النظر إليها من شدة لمان هذه النمر وبريقها حتى إن العين تستعني الناظر من أن يكلفها النظر إليها ، أي تطلب منه أن يفيها من ذلك .

(٤) المقامة من ثابت بين الشجين : أي خلطت أحدهما بالآخر . والمحلل : الذي لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره يحكروه ويروده ؛ يريد تشبيه محبوبه ببضة النعام التي يتحاطب بياضها صفرة ، وهو من الألوان التي تجمد عند العرب ؛ وأن غذاها الماء . المذهب الصافي الذي لم يكدروه الواردون .

(٥) البرج بفتح أوله وثانيه في العين : قناه بياضها ومعناه موادها ، أو هو أساحها . والديج : شدة سواد العين .

(١) فوق الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة ، غير أن الأول شبه الصفرة
ببضبة النعامة ، والآخر وصفها بالبضبة الموهة ؛

ومن الاشتراك المعنوي ما ليس بحسن ولا معيب ، كقول كثير :

وأنت التي حببت كل قصيرة * إلى وما تدرى بذلك القصائر

عنيت قصيرات المجال ولم أريد * قصائر الخطأ ، شر النساء البعائر^(٢)

فإن لفظة قصيرة مشتركة ، فلو اقتصر على البيت الأول لكان الاشتراك معيباً
لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب ، ولم يبلغ وثبة الحسن لما فيه من التضمين .

وأما التهمك — فالفرق بينه وبين المزل الذي يراد به الجلد أن التهمك ظاهره جيد
وباطنه هزل ، والمزل الذي يراد به الجلد على العكس منه ، فن التهمك قول الوجه
النذوي في آبن أبي حصينة من أبيات :

لا تظنن حذبة الظاهر عيا * فهي في الحسن من صفات الهلال

وكذلك القمي محذوبات * وهي أنكى من الثلبا والموالي

وإذا ما علا السنام ففيه * لقروم المجال أي جمال

وأرى الانحاء في مخالبها * زى ولم يسد مخالب الرجال

ككون الله حذبة فيك إن شدت من الفضل أو من الإفضال

فأنت روية على طود علم * وأنت موجهة بمحرر نوال

ما رأها النساء إلا تمتت * أنها حلية لكل الرجال

(١) في الأصل : « فوق » ؛ والروا الثانية زيادة من النسخ .

(٢) الجائر : القصار من النساء ، واحدة بجمرة .

ثم ختمها بقوله :

وإذا لم يكن من المجر بُدٌ * فعمى أن تزورنا في الخيال^(١)
وكقول ابن الرومي :

فباله من عمل صالح * يرفعه الله إلى أسفل .

- وأما التدبيح - وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألواناً يقصد بها الكناية أو التورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو تسيب أو غير ذلك من الفنون ، فمن ذلك قولُ الحريري في بعض مقاماته : فذَازورَ المحبوب الأصفر وأغبرَ العيش الأخضر ، اسودَّ يومى الأبيض ، وأبيضَ فؤدى الأسود ، حتى رَقَى لى المدو الأزرق ، فحبذا الموتُ الأحمر .

- وهذا التدبيح بطريق التورية . وقال بعض المتأخرين يصف موقف السلطان الملك الناصر بمصاف شَقَّحَب الكائن بينه وبين التار في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة :

- وما زال بوجهه الأبيض ، تحت طَلَمَة الأصفر ، يكالِد الموت الأحمر ، تجاه المدو الأزرق ، الى أن حال بينهما الليل الأسود ، وبَكَرَ في غُرَّة نهار الأحد الأشعل وأمتلَى السبيل الأحوى الى أن حَلَّ بالأَبَاق . يريد بالأَبَاق : القصر الظاهري^(٢) الذى بالميدان الأخضر بظاهر مدينة دمشق ؛ ومن أمثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقي :

(١٧٦)

(١) في الأصل : «تدريش» ؛ وإليه زيادة من الناصح .

(٢) في الأصل : «يومى» ، وهو تحريف .

- (٣) قال في التاموس شقحب بجحر : موضع قرب دمشق . وادى يستفاد من تاريخ أبي القداء . ج ٤ ص ٥٠ ط القسطنطينية أن هذا الموضع في طرف مرج الصفر .
(٤) في الأصل : «البيت» ؛ وهو تحريف .

إن تُردِّدِ عِلْمَ حَالِمٍ عَرَبٍ يَقِينُ * فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ فَتَالٍ
تَلْقَى بَيْضَ الْوَجْهِ سُوْدَ مُتَارِ النَّسْتِ * نَعْمَ خُضْرَ الْأَكْثَافِ حُرَّ النَّصَالِ .
وأما الموجهة — فهو الذي يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر، كقول المتنبي:
نَهَيْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ * لَهَيْتَ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدٍ
وكقوله أيضا :

عُمرُ العدوِّ إِذَا لَاقَاهُ فِي رَجْعٍ * أَقْلٌ مِنْ عُمرِ مَا يَحْوِي إِذَا وَعَا
فأقول البيتين وصفٌ بفرط الشجاعة، وآخر الأول بملو الدرجة ، وآخر الثاني بفرط
الجود .

وأما تشابه الأطراف — فهو أن يحمل الشاعر [قافية] يته الأوبِ أَوَّلَ البيت
الثاني، وقافية الثاني أَوَّلَ الثالث، وهكذا إلى انتهاء كلامه، ومن أحسن ما قيل فيه
قَوْلُ لَيْلِ الْأَخْيَلِيَّةِ تَدَحُّ الْجَحَاجِ :

إِذَا نَزَلَ الْجَحَاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً * تَتَّبِعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا * غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشُرْبِ بَحْلَمِهَا * دِمَاءُ رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا^(١) .
هذا ما أورده في حسن التوسل من علوم المعاني والبيان والبديع، وقد أثبتنا على
أكثره بَنَصَهُ لِيَا رَأْيَانَهُ مِنْ حَسَنِ تَأْلِيْفِهِ ، وبديع ترصيفه ، وأق اختصاره لا يمكن

(١) كنا في الأصل - واقى في حسن التوسل : « هو أن يمدح » ؛ وهو أظهر، فإن التعريف
عليه يكون لنفس هذا النوع من الكلام، ومقتضى عبارة الأصل أن التعريف لنفس المتكلم، وهو غير
ما سار عليه في تعريف سائر الأنواع .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها من حسن التوسل ، إذ بها
يستقيم التعريف .

(٣) المسمى : الإبن القاسد المختير العلم، استعارته هنا للعلماء .

إلا عند الإخلال بفائدة لا يُستغنى [عنها]^(١) فلم نحذف منه إلا ما تكرر من الأمثلة والشواهد ، لاستثنائنا بما أوردناه عما حذفناه ، فالنسبة فيه إلى فضائله وفضله والعمدة على شواهد ونقله ؛ فلقد أحسن التأليف ، وأجاد التعريف ، وأحتمل التوقيف ؛ وحرر الشواهد ، وأوضح السبيل حتى صار الغائب عن هذه الصناعة إذا طالع كتابه كالشاهد ؛ وأبدع في صناعة البديع ، وبين علم البيان بحسن الترصيف والترصيع ؛ واعتنى بالفاظ المعاني فصرف أعتبا ببنائه ، وأبان مشكلها فأحسن في بيانه ؛ وحل من التعقيد عقابها الذي عجز غيره عن حله ، وسهل للأفهام مقالها فأبرزته الأمانة من محرم اللفظ إلى حله ؛ فله المنة فيا ألف ، والفضل بما صنف .

وأما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة — فالاعتباس

والاستشهاد والحل :

١٠

[فالاعتباس]^(١) هو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ، ولا يئنه عليه للعلم به ، كما في خطب ابن نباتة ، كقوله : فيا أيها الفلعل المطرقون ، أما أتم بهذا الحديث مصدقون ؟ ما لكم لا تُسفيقون ؟ ﴿ فَرَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ . وكقوله أيضا : يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويحمل الظالمين لجنتهم وقودا ، يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا^(٢) ﴿ يَوْمَ يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَلًا بَعِيدًا ﴾ .

١٥

ومن ذلك ما أورد المولى شهاب الدين محمود في تقييد عن الإمام الحاكم بأمرائه أبي العباس أحمد بالسلطنة ، جاء منه : وجمع بك شمل الأمة بعد أن « كاد يرفع

٢٠

(١) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل . والسياق يقتضئ إلحاثها .

(٢) كذا في حسن التوسل . والقي في الأصل : « الكتاب » .

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ“ ، وَعَضَدْتُ لِإِقَامَةِ إِمَامَتِهِ بِأَوْلِيَاءِ دَوْلَتِكَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛
وخصّصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون ، وأظهرك
على الذين ” ابْتَدَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ
وَهُمْ كَارِهُونَ“ وأمثال ذلك .

(٧٨)

• وأما الاستشهاد بالآيات — فهو إن بيّنه عليها ، كقول الحريري : قُلْتُ وَأَنْتَ
أَصْلَقُ الْفَاتِلِينَ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ونحو ذلك .

وفي الأحاديث بالتنبية عليها أيضا ، كقول المولى شهاب الدين محمود في خطبة
تقليد حاكمي : ونصلي على سيدنا محمد الذي استغفره الله من عُصْرَ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ ،
وَشَرَفَ قَدْرَ جَدِّهِ بِقَوْلِهِ فِيهِ : ” إِنَّهُ حَمَّ الرَّجُلَ صِنُوْهُ أَبِيهِ“ وَسَرَّهُ بِمَا أَسْرَأَ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ فُتِحَ بِهِ وَيُخْتَمَرُ بِهِ . وأمثال ذلك [لا تُحْصَرُ]^(١)

١٠

[وأما الحَلُّ]^(١) — وهو باب مُتَّسِعُ الْمَجَالِ ، وَمِلَاكُ أَمْرِ الْمُتَصَدِّقِ لَهُ أَنْ يَكُونَ
كَثِيرَ الْحِفْظِ [لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَالْآثَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ لِيُتَقَيَّعَ مِنْهَا وَقْتُ الْإِحْتِيَاجِ
إِلَيْهَا] .

قال : وَكَيْفِيَّةُ الْحَلِّ أَنْ يَتَوَخَّى هَدْمَ الْبَيْتِ الْمُنَظَّومِ ، وَحَلَّ فَرَائِدِهِ مِنْ مِثْلِهِ ، ثُمَّ
يُرْتَّبُ تِلْكَ الْفَرَائِدُ وَمَا شَابِهَا بِتَرْتِيبٍ مُمْكِنٍ لَمْ يَحْصُرْهُ الْوِزْنُ ، وَيُرْزَأُ فِي أَحْسَنِ
مِثْلِهِ ، وَأَجْبَلِ قَالِبٍ ، وَأَصَحَّ سَبْكٍ ، وَيَكْمُلُهَا بِمَا يَنَاسِبُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ إِنْ أَسْكَنَ
ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ ، وَيَتَغَيَّرُ لَهَا الْقَرَأَتُ ، وَإِذَا تَمَّ مَعَهُ الْمَعْنَى الْمَحْلُولُ فِي قَرِينَةٍ وَاحِدَةٍ
يَعْرِفُ لَهُ مِنْ حَاصِلِ فِكْرِهِ ، أَوْ مِنْ ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ مَا يَنَاسِبُهُ ، وَلَهُ أَنْ يَنْقُلَ الْمَعْنَى إِذَا
لَمْ يُعْسِدْهُ إِلَى مَا شَاءَ ، فَإِنْ كَانَ نَسِيْبًا وَتَأَقَّى لَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَدِيحًا فَلْيَفْعَلْ ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ

١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أبقيناها عن حسن التوسل .

٢٠

من الأنواع ؛ وإذا أراد الحَلَّ بالمعنى فتمكن ألقاظه مناسبةً لألقاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها ، فحق قصرت عنها ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحَلُّ ومعد معيها ؛ وإذا حَلَّ باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل إلا مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك ، واجتناب ما ينقص المعنى ويحط رتبته ؛ وهذا الباب لا يحصر المقاصد فيه ، ولا يحجر على المتصرف فيه .

قال : وما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قول ضياء الدين بن الأثير الجزري في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير : وهذه لمبتدا ضعفي ختر ، ولقوس ظهري وتر ، وإذا كان إلقاؤها دليلا على الإمامة فإث حملها دليل على السفر . والمحلول في ذلك قول بعضهم :

١٠ * كَأَنِّي قَوْسٌ رَامٌ وَهِيَ لِي وَتَرٌ *
وقول الآخر :

فألفت عصاها وأستقرت بها النوى * كَمَا قَرَّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

وأما ما يحتاج فيه إلى مؤاخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما قال المولى شهاب الدين محمود في تهليل :

١٥ فَمِ مَلَّ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِمَّا يُنِيرُهُ ، وَظَلَامُ النَّعَمِ مِمَّا يُبْهِرُهُ ، وَحَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يُلَاطِمُهُ
وَالْأَجَلُ مِمَّا يَسَابِقُهُ إِلَى قَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَزَاحَهُ .

والقرينتان الأوليان نصفا يبينان للتبني ، فأضاف إلى كل قرينة ما يناسبها ، وهذا من أكثر ما يستعمل في الكتابة ، ولا ينبغي للكاتب أن يعتمد في جميع كتابته على الحَلِّ ، فيتكَلَّ خاطره على ذلك ، ويذهب رونق الطبع السليم ، وتَهْلُ مادة الانسجام بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البديع إذا أتى عفوًا من غير تكلف ليكون كالشاهد

على محبة الكلام ، والدال على الاطلاع ، وكالزم في التوب ، والشئنة في الفلاة
والواسطة في العقد ، إذ لا ينبغي للكاتب أن يتجمل كلامه من نوع من أنواع المحاسن .
ويقرب من هذا النوع التامسح ، وقد تقدم ذكره في بعض أبواب البديع ،
والذي يقع في بعض استعماله في مثل ذلك مثل قول الحريري : وإني والله لطالبا
لقيب الشئ بكاناته ، وأعددت الأهبة له قبل موافاته . يشير إلى بقاء سكرة :
* جاء الشئ وعندي من حوائجه *
وهي مشهورة .

فإنما عرف الكاتب هذه العلوم ، وأنى الصناعة من هذه الأبواب تميز عليه
أمور أخر نذكرها الآن .

١٠ ذكر ما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به
وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز

قال إبراهيم بن عبد الشيباني : فإن أحجبت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء
والكُتَّاب والأدباء والخطباء والشعراء وأوساط الناس وسوقهم ، فغاطب كلاً على قدر
أهنته وجلالته ، وعلوه وأرضاعه ، وقطبته وأتباعه ، ولكل طبقة من هذه الطبقات
معانٍ ومذاهبٍ يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وتزين كلامك
في مخاطبتهم بجزائه ، وتعطيه قسمته ، وتؤقيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته
لم آمن عليك أن تعبد بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع
بلاغتك في غير مجراه ، وتنتظم جوهر كلامك في غير سلكه ، فلا تتعد بالمعنى الجوزل
ما لم تليسه لفظاً [لافتاً بن كاتبته ، وملامسا لمن راسلته] ، فإن البأسك المعنى

٢٠ (١) التكلفة عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٦ ط الثانية ؛ واستغاة الكلام تفتنى إبانها
ومعناها بالأمل جلة مكررة مع ما سياتي ، وهي قوله : « غنظاً على قدر المكتوب إليه » .

— وإن صحَّ وشُرِّفَ — لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عادة تهجين للغة وإخلالاً بقدره، وظلم يلحق المكتوب إليه، ونقص ما يجب له، كما أنَّ في اتباع تعاريفهم، وما انتشرت به عاداتهم، وجرت به سنتهم، قطعاً لعذرهم، ونزوحاً من حقوقهم، وبلوغاً إلى غاية مُرادهم، وإسقاطاً لمُحجة أحدهم.

- وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه: فأمثّل هذه المذاهب، وأجر [على هذا] ^(٣٢) القوام، ويَحْفَظُ في صدور كتّيب وفصولها وأنتاحها وخواتمها، وَضَعَ كل معنى في موضع يليق به، ويختار لكل لفظة معنى يشاكلها، ولكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر البلوى بمثل: « نَسألُ اللهَ دَفْعَ المحذور، وَصَرَفَ المكروه » وأشباه ذلك؛ وفي موضع ذكر المصيبة: « إِنَّا لله وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ »؛ وفي موضع ذكر النعمة: « الحمد لله خالصاً، والشكر لله واجباً » وما يشاكل ذلك، فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقه ويَحْفَظُ منه، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه، ويعلق كل لفظة على طبقها في المعنى.

قال: وأعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أئت به أي القرآن من الاختصار والحذف، ومخاطبة الخاص ^(٥) [بالعام] والعام بالخاص، لأن الله تعالى إنما خاطب

(١) كذا في الأصل. والذى في العقد الفريد: « بحق المكتوب » الخ، والمعنى يستقيم على كذا الرايين.

(٢) في الأصل: « عليه » وهو تحريف، والصواب من العقد الفريد.

(٣) في الأصل: « وأجر عليها القوم »؛ وفيه نقص، وإضافة من العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط البهائية، والذى في العقد: « هذه »؛ وهو غير مستقيم كما لا يخفى، والقوام بكسر القاف: نظام الأمر وملاكه ومعامده.

٢٠

(٤) كذا في العقد الفريد. والذى في الأصل: « في صدرك »؛ وهو تحريف.

(٥) الزيادة من العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٨ ط البهائية؛ واحتفاء الكلام بضمى إيجابها.

- بالقرآن قوماً فُصِّحوا فَمَهْمَا عَنْهُ — جَلَّ ثَنَاهُ — أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَمُرَادُهُ، والرسائل إنما يَخَاطَبُ بها قومٌ دُخِلَ على اللغة لِاعْلَمَ لهم بلسان العرب؛ وكذلك ينبغي للكاتب أن يَجْتَنِبَ اللفظَ المَشْتَرَكَ، والمعنى الملتبس، فإنه إن ذهب ليَكْتُبَ على معنى قول الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وكفوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أحتاج أن يبين أن معناه: أسأل أهل القرية، وأهل العير، وبَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، قال: وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشوَّرة ما يجوز في الأشعار الموزونة، لأن الشاعر مضطَّر، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي؛ فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء، وحذف ما لا يُحذف منها، واعتقدوا فيه سوء النظم، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والإسناد في موضع الإظهار، وذلك كله غير سائغ في الرسائل، ولا جائز في البلاغات؛
- ١٠ لها أَمِيزُ في الشعر من الحذف قولُ الشاعر:
- * قَوَائِمُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا *
- يريد الحَمَامَ، وكقول الآخر:
- * صِفَرُ الْوِشَاحِينَ صُحُوتُ انْتِظَالِ *
- يريد انْتِظَالَ، وكقول الحُطَيْيَةِ:
- ١٥ فيها الرِّمَاحُ وفيها كُلُّ سَابِقَةٍ * جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ قَبْلِ سَلَامِ^(٢)
- يريد سُلَيْمَانَ، وكقول الآخر:
- وَسَائِلُ بَشَلْبَةٍ بِنِ سَيْرِ * وَقَدْ حَلَقَتْ بِشَلْبَةِ الْعُلُقِ^(٣)
-
- (١) كذا في العقد القَرِيدِ • وبإشارة الأُسْل: «جلاء عن» الخ، وهو تحريف.
- (٢) في الأُسْل: «واحتبروا»؛ وهو تحريف.
- (٣) كذا في الأُسْل • والمشهور في روايته: «من نَسَجَ».
- (٤) الطرق بفتح العين: الخِيَّةُ.

يريد ثعلبة بن سيار^(١)، وكقول الآخر:

فلست بآتيه ولا أستطيعه * ولاك أسقى إن كان مأواك ذا فضل

[أراد ولكن] قال: وكذلك لا يلينى فى الرسائل أن يصغر الاسم فى موضع التعظيم وإن كان ذلك جائزا، مثل قولهم: دُويبة تصغير داهية، وجذيل وصدق، تصغير جذيل وصدق. قال ليذ:

وكل أناس سوف تدخل بينهم * دُويبة تصغر منها الأنامل

قال: فخصير فى الألفاظ أروحها وزنا، وأجزلها معنى، وأشرها جوهرها وأكرمها حسبا، وأليقها فى مكانها، وأدير الكلام فى أماكنه، وقبّله على جميع وجوهه، ولا تجعل اللفظة قلقة فى موضعها، نافرة عن مكانها، فإنك متى فعلت ذلك هجئت الموضوع الذى حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذى أردت إصلاحه. ١٠
فإن وضع الألفاظ فى غير أماكنها، والقصد بها إلى غير مظاهرها، إنما هو كترقيق الثوب الذى إن لم تشابه رِقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، نرج من حد الحلة، وتغير حسنه، كما قال الشاعر:

إن الجليد إذا ما زيد فى خلق * يبين للناس أن الثوب مرقوع

١٥ انتهى ما أورده ابن حيد ربه.

وقال المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي: ومما يتعين على الكاتب استعماله، والمحافظة عليه، والتمسك به، إعطاء كل مقام حقه، فإذا كتبت فى أوقات (١) فى الأصل: «يسار» وفيه قلب، والتصويب من شرح القاموس. وبذل عليه أيضا ما تقدم فى البيت.

(٢) الكلمة من العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٢ ط الشرفية؛ وقد أجتها ليرافق ما مر فى الآيات التى قبله، إذ أنه بعد إيراد البيت يهتبه بمراد فاعله من الكلمة التى حلف يمسح حروفها.
(٣) البذل: عود ينسب للإبل الجرى تحتك به لتشفى؛ أو هو ما عظم من أصول الشجر. والنفق: النحلة بجملها؛ أشار بهذا إلى قول الجلاب بن المفيريم السقيفة: أنا جديها المحكك، وعطفها المرتب.

الحروب إلى ثواب الملك عنه ، وإلى مقدّمى الجيوش والسرايا ، فليتوخّ الإيجاز والألفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع المقصد ، ويحصل الكلام بعضه من بعض ، ولا تهويل لأمر العدو يُضعف به القلوب ، ولا تهوين لأمر يحصل به الاختار . وذكر لذلك أمثلة من إنشائه .

قال : فن ذلك صورةٌ يحّاب أنشأته الى مقدّم سرية كشف — ولم أكتب به — وهو :

لا زال أخفّ في مقاصده من وطأة ضيف ، وأخفى في مطالبه من زورة طيف ، وأسرع في تنقله من صحابة صيف ، وأزوع للعدا في تطلعه من سلة سيف ، حتى يعجب عدو الدين في الأطلاع على حوراته من أين دُعي وكيف ؟ ويعلم [أق] من أوّل قسمته اللقاء حصل عليه في مقاصده الحيف ؛ أصدرناها إليه تحفه ١٠ على الركوب بطائفة أعجل من السيل ، وأهول من الليل ، وأمين من نواصي الخيل ؛ وأقدم من القير ، وأوقع على المقاصد من الغيث المنهمر ، وأزوع في مُحاطلة السدا من الدشب الحذر ؛ على خيل تجري ما وجدت فلاه ، وتطيع راكبيها مهما أراد منها سرعة أو أناة ؛ تنسم الجبال الصم كالوعل ، وإنذا جارتها البروق غدت وراها ١٥ * تمشي الهويناء كما يمشي الوحي الوجل * ولكن كالنجم في سراه ، وبعد ذراه ؛ إن جرى فكسهم ، وإن خطر فكورهم ؛ وإن طلب فكليل الذي هو مدرك ، وإن طلب فكاجلته التي لا يحد ريمها مشرك ؛ حتى يأتي على عدو الدين من كل شرف ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد قلنا ما من حسن التوصل .

(٢) في الأصل : « بالحيف » ؛ والياء زيادة من النسخ إذ لا معنى لها في هذه العبارة .

(٣) الوعل بكسر العين وسكونها : نيس الجبل .

(٤) الوحي بكسر الهم : من الوحي بفتحها ، وهو الحفا أرشد به .

وَرَى جَمْعَهُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ ، وَلَا يُسْرِفُ فِي الْإِقَامَةِ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي السَّرَفِ ، وَلِيُحْرِزَ جَمْعَهُمْ ، وَيَسْقِي إِلَى التَّحْزِزِ مِنْهُمْ بَصَرَهُمْ وَبِمَعْنَاهُمْ ، وَيَنْظُرُهُمْ بَيْنَ مِنْهَا الْحَزْمُ أَنْ تَرَى الْمَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا ، وَصَدَّهَا الْعَزْمُ أَنْ تَرَى الْعَدُوَّ الْخَفِيرَ جَلِيلًا ؛ بَلْ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى قَصِّهِ ، وَتَرَوِي الْخَيْرَ عَلَى نَصِّهِ ؛ وَإِنْ وَجَدَ مَقْرًّا فَلْيَأْخُذْ خَبْرَهُ ، إِنْ قَدَّرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بَيْنَهُ وَإِلَّا فَلْيُذْهَبْ أَتْرَهْ ؛ وَلَا يَبْجِجْ فِيهِ لَدَيْهِ نَارَ حَرْبٍ إِلَّا بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِإِطْفَاقِهَا ، وَلَا يُوقِظْ [عَلَيْهِ] عَيْنَ عَدُوٍّ مَعَهَا ظَهْرُهُ أَنْ [الْمَصْلُحَةُ ^(١)] فِي إِغْفَاقِهَا ؛ وَلِيَكْشِفَ مِنْ أُمُورِهِ مَا يُبْدِي عِنْدَ الْمُتَّقِي حَوَرَتَهُمْ ، وَيُجِدُّ فِي حَالَةِ الزُّحْفِ قُوَرَتَهُمْ ؛ وَلِيَجْمَلَ قَلْبَهُ فِي ذَلِكَ رَيبَةً طَرَفَهُ ، وَطَلِيعَةً طَرَفَهُ ، وَسَرِيَّةً كَشَفِيهِ وَاللهُ تَعَالَى يُمِدُّ بِلُطْفِهِ ، وَيَحْفَظُهُ بِمَعْقَبَاتٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .

❧

- وإذا كَتَبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوَاقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثَّغُورِ يُبَلِّغُهُم بِالْحَرَكَةِ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ ، فَلْيَسْطِ الْقَوْلُ فِي وَصْفِ الْعِزَامِ ، وَقُوَّةِ الْحِمَمِ ، وَشِدَّةِ الْحِمَاةِ لِلدِّينِ ، وَكَثْرَةِ السَّائِرِ وَالْجِيُوشِ ، وَسَرْعَةِ الْحَرَكَةِ ، وَطَيِّ الْمَرَاكِزِ ، وَمَعَالِجَةِ الْعَدُوِّ ، وَتَحْيِيلِ أَسْبَابِ النُّصْرِ ، وَالْوُثُوقِ بِعَوَائِدِ اللَّهِ فِي الظُّفْرِ ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ ، وَبَسْطِ أَمَالِهِمْ ، وَحُصْنِهِمْ عَلَى التَّبَقُّظِ ، وَحُصْنِهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بِيَدِهِمْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيُزِيهِ فِي أَمْتِنِ كَلَامِ وَأَجَلِهِ وَأَمْكَنِهِ ، وَأَقْرَبِهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ ، وَأَبْعَدِهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّقَّةِ ، وَيَالِغِ فِي وَصْفِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتِزَالِ نَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ فِي تَثْبِيتِ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أتيقناها من حسن التوسل .

(٢) مهما في هذه العبارة إما حرف بمعنى إن الشرطية ، أو ظرف بمعنى متى ، وكلا الاستعمالين ضعيف .

انظر مفتي الباب ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ ط الحلبي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد قلناها من حسن التوسل إذ أنها تستقيم العبارة ؛ وموضعها

في الأصل كلمتان مركزتان مع ما ساقى ، وهما : « الزحف قورته » .

(٤) في حسن التوسل ؛ « أيجز » ؛ وكلامها يصح به المعنى .

الأقدام، والاعتصام به في الصبر، والاستمانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم، وزلزلة أقدامهم، وجعل النائرة عليهم، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار العرضيات في خفقهم، لما في ذلك من إيهام الضعف عن لقاءهم وأستعمار الوهن والخوف منهم، وليسلك في مثل ذلك كما سلك المولى شهاب الدين محمود في نحو ما كتب في صدر كتاب سلطاني إلى بعض أبواب الثغور عند حركة العدو، فإنه قال :

أصدرناها ومنادى التغير قد أعلن : يا خيل الله أركبي، وملائكة الرحمن أصحبي^(١)
ويا فؤود الظفر والتأييد أقربي؛ والعزائم قد رقصت على سوابق الرعب إلى العدا
والهيم قد نهضت إلى عدو الإسلام فلو كان في مطلع الشمس لاستغربت ما بينها
وبينه من المدى؛ والسيوف قد أفضت من السمود فكادت تنفر من قربها، والأسنة
قد ظمعت إلى موارد القلوب ففشقت إلى الارتواء من قلبها؛ والكماة قد زارت^(٢)
كالبيوت إذا دنت من فرائسها، والجياد قد صرحت لما عودتها من الأتغال بهاجم
الأبطال فوارسها؛ والجيوش قد كاثرت النجوم أمداؤها، وساريتها للهجوم على أعداء
الله من ملائكته الكرام أمداؤها؛ والنفوس قد أضمرت الحمية فأرغضها، وعداها^(٣)
حرًا إشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شئها؛ والنصر قد أشرق

(١) أراد بالخيل هنا فرسانها .

(٢) في الأصل : «وملائكة» ؛ وما أشتبهه من حسن التوسل إذ هو المناسب لياق ما قبله وما بعده .

من الكلام .

(٣) القلب بضم القاف : الآبار، واحده قلب بفتحها .

(٤) عبارة حسن التوسل : «دنت فرائسها» بدون «من» ؛ وهو أظهر، إذ به يحصل السجع الذي

توخاه الكاتب في رسالته .

(٥) عداها : صرغها، يقال : عدته العوادى من كذا، أى صرته الصواريف .

- في الوجود دلالة ، والتأييد قد ظهرت على الوجوه عَـيَالُهُ ، وحُسنُ اليقين بالله في إعزاز دينه قد أنبأت بحسن آمال أوائله ؛ والألمسُ باستتال نصر آله هُجِه والأرجاءُ بأرواح القبول أرجه ، والقلوبُ بموائد لطف آله بهذه الأمة مَبْتَهِجِه والجماعة وما منهم إلا من استظهر بإمكان قوته وقوة إمكانه ، والأبطالُ وليس فيهم من يسأل عن عَدَدِ عدو بل عن مكانه ، والنياتُ على طلب عدو آله حيث كان مجتمعته والخواطرُ مطمئنةٌ بكونها مع الله بصدقها ، ومن كان مع الله كان آله معه ؛ وما بقى إلا طيُّ المراحل ، والنزولُ على أطراف الشغور نزولُ الغيث على البلد الماحل ؛ والإحاطةُ بصدق الله من كل جانب ، وإزالةُ نفوسهم على حكم الأمرين الأمرين : من مذاب وأصب ، وهم ناصب ؛ وإحالةُ وجودهم إلى العدم ، وإجالةُ السيوف التي [إن] أنكرتها أعناقهم لما بالعهد من قَدَمٍ ، وأصطلامهم على أيدي العصاة المؤيدة ١٠ بنصر الله في حربها ، وأبتلاكهم من حملاتها برمح طائفة التي تدمر كل شيء بأمر ربها ؛ فليكن مرتباً لطلوع طلائعها عليه ، متيقناً من كرم الله استتبعاً لعدوه الذي إن فر أدركته من وراءه ، وإن ثبت أخذته من بين يديه ؛ وليجتهد في حفظ ما قبله من الأطراف وحتمها ، وجمع سوام الرطاي من الأماكن المتخوفة ولحمها ، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاحه من مسالك الأرباض المتطرفة ورمتها ، فإن الاحتياط على كل حال من أكد المصالح الإسلامية وأهمها ؛ فكانه بالعدو قد زال طمعه ، وزاد ظلمه ؛ وقد عفى مسيره ، وتحقق سوء مقبله ومصيره ، وتبرأ منه الشيطان الذي دلّاه بفروره ، وأصبح لجمه موزناً بين ذنائب الفلا وضبايعها ، وبين عقاب الحق

(٧٥)

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أبتناها من حسن التوسل ص ٩٤ ط الربية إذ بها

يسمى الكلام .

(٢) الاصطلاح : الاستتال .

وُسُورِهِ؛ فَهَذِهِ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي تَمَسَّكُنَا مِنْهُ بِالْيَقِينِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقِيينِ .

قال : وزائدة البسط في ذلك ونقصها بحسب المكتوب إليه .

وإذا كَتَبَ فِي الْتَهَانِي بِالْفَتْوحِ ، فَلَيْسَ إِلَّا بِسَطُ الْكَلَامِ ، وَالْإِطْنَابُ
فِي شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ ، وَالتَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ ، وَوَصُفُّ مَا أُعْطِيَ مِنَ النِّصْرِ ،
وَذِكْرُ مَا مَنَحَ مِنَ الثَّبَاتِ ، وَتَعْظِيمُ مَا يَسَّرَ مِنَ الْفَتْحِ ؛ ثُمَّ مَا وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ
عِزِّهِ وَإِقْدَامِ وَصَبْرِهِ وَجَلَدٍ عَنِ الْمَلِكِ وَصَنِ جَيْشِهِ حَسَنَ وَصْفِهِ ، وَلَا قِيَاسَ لِكُرِّهِ ، وَرَاقَ
التَّوَسُّعِ فِيهِ ، وَصَلَّبَ بِسَطُ الْكَلَامِ فِيهِ ؛ ثُمَّ كَلَّمَا أَتَسَّعَ جِلَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْوَاقِعَةِ
وَوَصَفِهَا كَانَ أَحْسَنَ [وَأَدْلَى عَلَى الْبَلَاغَةِ ، وَأَدْعَى لِمُرُورِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَأَحْسَنَ^(١)]
لِمَوْضِعِ الْمَنَةِ عِنْدَهُ ، وَأَشْهَى إِلَى سَمْعِهِ ، وَأَشْفَى لِنَفْسِهِ تَشَوُّفُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى
جَلِيلَتِهِ ، وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ [أَمْرٍ^(٢)] الْمَدْقِ ، وَوَصْفِ جَمْعِهِ وَإِقْدَامِهِ ، فَإِنَّ تَصْغِيرَ أَمْرِهِ
تُخَفِّزُ لِلظُّفْرِ بِهِ ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَابِ الْتَهَانِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ، فَلْنَذْكُرْ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ كَلَامِهِ فِيهِ مَا لَمْ تُورِدْهُ فِي بَابِ الْتَهَانِي ؛

قال : وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مَلِكًا صَاحِبَ مَمْلَكَةٍ مُتَفَرِّدَةٍ تَمَيَّنَ أَنْ يَكُونَ
الْبَسَطُ أَكْثَرَ ، وَالْإِطْنَابُ أَمَدً ، وَالتَّهْوِيلُ أَلْبَحَ ، وَالشَّرْحُ أَمُّ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ فَصَّلُ كِتَابَتِهِ
فِي جَوَابِ ابْنِ الْأَعْمَرِ صَاحِبِ غَرْنَاتِلَةَ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، قَالَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَبْدَنَا بِمُجْنُونِيهِ ، وَأَنْجَزَنَا مِنْ نَصْرِ الْأُمَّةِ صَادِقِ وَصُودِهِ
وَنَخَصَّنَا مِنْ أَسْتِدَامَةِ الْفُتُوحِ بِمِزَاجِ مَرْيَدِهِ ، وَأَيْدِنَا بِنَصْرِهِ ، وَنَصَرَنَا بِتَأْيِيدِهِ ، وَالْعَبْلَةَ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل من ٩٥ ط الورقية .

(٢) في الأصل : «ولا يَأْمَنُ» ؛ وهو تحريف .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل إذ لا تستقيم العبارة بدونها .

- والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله ، وخاتم أنبيائه ، وأكرم عبيده ، وأعز من دعا
 إليه ، وقد أنكرت خالقها الى الإهراق بتوحيده ، وعلى آله وصحبه الذين أشرق أفق
 الدين منهم بكواكب سمويه ؛ فإننا أصدرناها ونعم الله تعالى بنا مطيفه ، ومواقع نصره
 عندنا لطيفه ، وجود تأييده لئلا تلك الأعداء الى ممالك الشريعة مضيقه ، وثغور
 الإسلام بلبنا عن دين الله ميره ، وبإعلاننا منار الهدى منيقه ؛ ونحن نحمد الله على ذلك
- حمدا نستند به أخلاق الظفر ، ونستدبم به مواد التأييد على من كفر ، ونستدب به
 عوائد النصر التي كم أقدمها علينا إقدام ، وأسفر لنا عنها وجه سقر ؛ ونهدي إليه شاء
 تعميق بنشر الرأى نعامله ، وتنطق بحض الوداد نعامله ، ونشرق على أفق مفاخره فدواته
 وأصائله ؛ يشافه مجده بمضمونه ، ويصارع غفره بمكنونه ، ويحلل على حضرته العلية
- عائل الشرف من أباكر المناء وعونه ؛ ونهدي لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا
- ١٠ عن لوايح صفائه ، منبثا بمجوام وده وقائه ؛ مشرقا بلائى فوائده ، محذا برؤى
 كرمه الذى سجد رأى رائده ، محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التي سارت
 بها إليه سرطان الركن ، وذلت بمن تلى منها عليه عباد الصلابة ؛ وطبق ذكرها
 للمشارق والمغارب ، ومنزقت مواكب أعداء الله التار وهم فى رأى العين أعداد
- ١٥ الكواكب ، وخلفت التراب بدمائهم حتى لم يسبح بها التيمم ، ومنزجت بها الفرات
 حتى ما تحلل لشارب ؛ وهى النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها ، ولا تعرف لها
 البلاغة مشها فذكر شهبها ؛ ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ، ولا تنهض الألسنة
 على طول الأبد بشكرها ؛ فإن التار المخذولين أقبلوا كالرمال ، وأصطفوا كالجلال ؛
 وتدفقوا كالبحار الزواهر ، وتوالوا كالأمواج التي لا يعرف لها الأول من الآخر ؛
- ٢٠ فصلمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم ، وعامت الطير أكلهم ؛ وحصرتهم

(١) فى الأصل : « بمضمونه » ؛ وما أئتناه عن حسن التوسل ، وهو ما يدل عليه سياق الكلام .

في القضاء، وطالبت أرواحهم الكافرة بدينها وأسرفت في الاقتضاء، وحصدت منهم سيوفنا المنتصرة ما يخرج عن وصف الواصف، وحرقت بقيتهم في القلوات فكانوا كرماد أشتتت به الريح في يوم طاصف؛ وأحاطت بهم كاثبتا المنصورة فلم ينج إلا من لا يؤبه له من فريقهم، وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من القلوات الى الفرات بين القتل والأسر، فلم يخرج عن تلك القسمة غير فريقهم؛ وأعقبهم تلك الكسرة أن هلك طاغيهم أسفا وحسره، وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة، وأسر من تلك الأسره، وأماه الرعب من جيوشنا المنصورة بجاه، وأستولى عليه الوجل بجاه من أمر الله ما جاءه؛ وقعد أخوه بده مكانه، وألحوف من عساكرنا يضمضع أركانه، والفرق من جيوشنا يفرق أعوانه، ويُمزق إخوانه، ويوهي سلطانه ويبرئ منه شيطانه؛ فلاذ بالالتجاء الى صابنا، وعاذ بإستاد الرجاء الى كفتا عنه وحلبنا؛ فكرر رسله ورسائله مستعطفا، وإلى كتبه ووسائله مستعنيا من حربنا ومستسغفا، وهاهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحنا، ويتوصلون ببذل الطاعة الى مكارمنا؛ ويسألون صفح الصفاح الإسلامية عن رقابهم، ويسألون ما أظهره الله عليهم من الذل الذي جعله تلك النصرة خالدا في أعقابهم؛ وسيوفنا تأتي قبول وصالهم، ونصر على نهر سائلهم، وتمنع من الكف عن مقاتلتهم، وتأنف أن تعتمد إلا في قيم محاربتهم ومقاتلتهم؛ ونحن على ما نحن من الأبهة لغزوم في عثردارهم، واتراج مواطن الخلافة وضيها من ممالك الإسلام من بين نيوهم وأطفالهم؛ مستنصرين بالله على من بقي في خط المشرك منهم، قاطعين فيهم بقرض الجهاد الذي لولا دفاع الله به لم تمتنع خط المغرب عنهم؛ «وليصرن الله من ينصره»، ولو صدقنا نعم الله علينا حاولنا عدا ما لا تحببه ولا نحصره .

وإن أضطُرَّ أن يكتبَ بِمثل ذلك إلى مَلِكٍ غيرِ مسلمٍ لكتنه غيرِ مُعَارِبٍ، فالْحُكْمُ في ذلك أن يَذْكُرَ من أسبابِ المؤدَّةِ ما يَفْتَضِي المِشَارَكَةَ في المَسَازِ، وأن أمرَ هذا العَبدِ مع كثرةِ أخذِ باطرافِ الأَناملِ، وآلِ أمرِهِ إلى ما آلَ، ويُعْظَمُ ذِكْرُ ما جَرى عليه من القتلِ والإمْرِ، وتلكِ عَوَائِدُ نصرِ الله، وانتقامِهِ مِن عادانا ؛

- فمن ذلك ما أنشأه المِشَارُ إليه بعضُ ملوكِ البحرِ — ولم يكتب به — وهو :
- صَدَرَتْ هذه المِكتَبَةُ بِمِشْرَةٍ له بِما منَحنا الله من نُصْرَةِ أَجْرَلِ الصَفَاءِ منها سَهْمِهِ ، وَأَكَلِ الوَفَاءِ مِنَ التَّهْنِئَةِ بِهَا قِسْمِهِ ؛ وَخَصَّهُ الِودَادُ بِأَجَلِ أَجْرَانِهَا ، وَأَجْلَسَهُ الِاتِّحَادُ عَلَى أَسِرَّةِ مَسَرَّتِهَا إِذَا أَجْلَسَ العِتَادُ فِيهِ عَلَى سِطَاطِ عِزِّانِهَا ؛ عَلِمَا بِأَنَّهُ الصَّدِيقُ الَّذِي تُبَيِّحُهُ مَسَارُ صَدِيقِهِ ، وَالصَّاحِبُ الَّذِي يَرَى مِساهِمَةَ صَاحِبِهِ فِي بَشَرَى الظُّفْرِ بِاعِدَائِهِ أَذَى حَقْوِقِهِ ؛ وَفَلَكِ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ التَّارِفِ حَرَكَاتِهِمْ
- ١٠ الذَّمِيمِ ، وَعِزَّ مَاتِهِمُ الَّتِي مَا أَحْتَقَلُوا لَهَا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُ سَلَاحِهِمْ فِيهَا الِهْزِيمِ ، وَظَارَاتِهِمُ الَّتِي مَا حَشَدُوا لَهَا إِلَّا وَقَعُوا فِيهَا بِالْإِيَابِ مِنَ الْفَتَنِمِ ؛ وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْنَا إِلَّا وَعِدُوا ، وَلَا سَكَّوْا إِلَيْنَا إِلَّا وَهَلَكُوا ؛ حَتَّى لَمِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْآنَ لَمْ تَحِيفْ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَإِنَّ الْقُرَاتِ يَكَادُ يَشِفُّ التَّامُّلُ عَنْ أَشْلَاقِهِمْ ؛ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَلَدَ طَمَعَهُمْ ، وَسَكَنَ هَلَعَهُمْ ؛ وَأَنَسَامَ مَصَارِعِ إِخْوَانِهِمْ ، وَأَسْلَاحَ بَمَا زَيْنَ لَهُمْ مِنْ بُلُوغِ
- ١٥ أَوطَارِهِمْ عَنْ أَوطَانِهِمْ ؛ وَقَالَ لَهُمْ : لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَتِلْكَ الْوَقَائِعُ الَّتِي أُبَيِّهْتُمْ فِيهَا قَدْ لَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى الْقِيَاسِ ؛ وَحَسَّنَ لَهُمُ الْحَالِ وَغَرَّمَهُمْ وَجَرَّاهُمْ عَلَى قَصْدِ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ اسْتَجَزَّاهُمْ ؛ فَحَشَدُوا جُوعَهُمْ

(١) في الأصل : « وانتقامنا » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٢) في حسن التوسل : « يكشف » وكلا القطين يستقيم به المعنى .

- وبجمعوا حُشودهم، واستَفَرَّغُوا في الاستفْغَار والاستظهار طاقَهم ومجهودهم؛ وما لَهم على ذلك من المجاورين من أبطن شِقَاقه، وكَتَم نفاقه، وأنْساه الشيطان ما سلف من تنفيسنا عنه وقد لازم الحَتَفُ خِناقَه؛ ونَحْن في ذلك نُوسمهم إهمالاً، وتَبَسَّط لهم في التَّوَلَّى آمالاً، وتأخذ أمرهم بالأناة استدرأجا لهم لا إهمالاً؛ إلى أن بَدَلُوا عن مواطن الحرب، وحَصَلَ من استدرأجهم الأرب؛ فَوَيْتْنَا عليهم وتَوَبَّ الليث إذا ظَفِرَ بَصيده، ونَهَضْنَا نحوهم نُهوضَ الحَازِم إذا وَقَعَ [عدوه] في أُجْبولة كَيْده؛ وصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة قَلَّتْ غَرَبَهم، وأَبْلَظَتْ طَعْنُهم وضَرْبُهم، وصَبَّبتْ بدمائهم تَرْبِهم؛ وَحَكَّتْ السِيفُ في مَقَاتِلِهِمْ، [ومَكَّنَتْ الحَنُوفَ من صاحب رَأْيهم ومُقَاتِلِهِمْ]؛ وَسَلَّطَتْ السَّدَمَ على وجودهم، وحَطَّتهم عن سُروجهم إلى مَصَارِعهم أَوْ قِيُودِهِمْ؛ "فَقِيلُوا هَئِلًا وَأَقْلَبُوا صَاغِرِينَ"، وعَدَلُوا على عادتهم خاسئين، وَرَجَعُوا على أَعْقَابِهِمْ خاسرين؛ وما أَغْنَى عنهم جَمْعُهم، وما أَفَادَهُمْ بَصَرُهم فيما شاهده من قِبَل ولا مَشْمُومٍ؛ فَرَكْنَ من بَقِيَ منهم إلى الفِرَار، وعَاذَ يَرُدُّ الحربِ مِنْ حَلَبِ تلك السِيفِ الجِرَارِ وَطَنَ من أَنزَمَ منهم أَنه قَاتَ الرِّمَاحَ، فتناوَلَتْه بِأَرْمَاحِ مِنَ العَطَشِ القِفَارُ؛ فَوَلَّوْا والرَّعْبُ يَزِلُّ أقدامهم، وَالنَّعْرُ يَقْلُلُ أقدامهم، وَالصَّفَاحُ تَحْطُفُفُهم من ورائِهِم والجِرَاحُ تُطِيعُ الطَّيْرَ في أَكلهم حتى تَقَعَ على أَحْيَائِهِمْ؛ حتى أَصْبَحُوا هَشِيماً تَلْعَبُ بِهِمِ الصَّبَا والدَّبُورُ، أو أَحْيَاءٌ يَلْسُ منهم أَهْلُهُمْ "سَكَا يَلْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ" وَصَفَّحْنَا عَنْ نَاقَتِنَا وَوَأَقْفَهُمْ ولولا ذلك لَمَّا نَجَا، وَرَجَا عَوَاطِفُنَا مِنَ الإِقْدَاءِ على نَفْسِهِ، فَأَجَابَهُ حِلْبُنَا - وَعَابُنَا أَنَّهُ فِي الْقَبْضَةِ - إلى مَارَجَا؛ فَلْيَأْخُذِ الْمَلِكُ حَقْلَهُ مِنْ
- (١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل ص ٩٧ ط الوجية إذ لا يستقيم الكلام بدونها.
- (٢) الكلمة عن حسن التوسل؛ وتام السج الذي التزمه الكاتب في رسالته يقتضى إثباتها.
- (٣) في الأصل: «بَلَّتْ بِهِمْ» الخ وهو تحريف.

هذه البشري التي تُسرِّق قلب الوليِّ المحبِّ بوادئها، وتُشرح صدر الحقيِّ الحقِّ بموادئها ومصادرئها ؛ والله تعالى يُبيِّحه عنا أمثالها ، ويدبِّمُ سروره بما جلواته عليه من مثله^(٢١) .

قال : فإن كان المكتوب إليه متممًا بمُلااة العدو كتب إليه بما يدلُّ على التقرير والتهمُّ ، وإبراز التهديد في معرض الإخبار ، كما كتب المشار إليه عن السلطان الى مُتلك سيس - وكان قد شهد الوقعة مع العدو - قال منه :

بصره الله برشده ، وأراه مواقع غيبه في الإصرار على مخالفته وقبض عهده وأسلاه بسلامة نفسه عن روعته السيوف الإسلامية بفعله ؛ صدرت عُمره أنه قد تحقق ما كان من أمر العدو الذي دلّاه بفروره ، وحمله التمسك بخداعه على بجانبه الصواب في أموره ؛ وأنهم استنجدوا بكل طائفة ، وأقعدوا على البلاد الإسلامية بنفوس طامعة وقلوب خائفة ؛ وذلك بعد أن أقاموا مدة يشتركون^(٢٢) في الخادعة بالموادعه ، ويُبرِّون المصارمة في المسألة ؛ ويُظهرون في الظاهر أمورا ، ويدبِّرون في الباطن أمورا ، ويعدون كل طائفة من أعداء الدين مثله ويمتوتهم "وما يعلمُ الشيطان إلا غرورا" ؛ وكنا بمكرهم طليين ، وصل ما لجنتهم حاملين ؛ وحين تبيّن مرادهم وتكل احتشادهم ؛ استدرجناهم الى مصارعهم ، واستجربناهم ليقرؤا في القتل ١٥ من مضاجعهم ، ويعبدوا في الحرب عن مواضعهم ؛ وصدمناهم بقوّة الله - خدمة

(١) كذا في الأصل ؛ والقي في حسن التوسل : «الصنى» بالصاد ؛ وكلا القطين يستقيم به المعنى .

(٢) في الأصل : «أمثالا» ؛ والألف الأولى زيادة من التامع .

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٧ ط جرتين : سبية — وعامة أهلها يقولون :

٢٠ نيس — بد هو اليوم أعظم مدن القصور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على حين زوية الخ .

(٤) في الأصل : «يسرون» ؛ وهو تحريف . (٥) كذا في الأصل وحسن التوسل ؛ ولم تقف

عليه في كتب اللغة بمعنى حملهم على الجري كما هو المعنى المتبادر من سياق العبارة ؛ ولعله : «وأجرناهم» .

لم يكن لهم بها قبل ، وحمّلت عليهم حملة الجاهم طوفانها الى ذلك الجبل ، وهل تصم
من أمر الله حيل ؟ فحصرناهم في ذلك الفضاء المتسع ، وضائقناهم كما قد رأى
ومزقناهم كما قد سمع ، وأزلناهم على حكم السيف الذي نزل من دماهم حتى روى
وأكل من لحومهم حتى شبع ، ويحتهم جيوشنا المنصورة تحفظهم رماحها ، وتنفقهم
صفايحها ، ويئسدهم في القلوات رعبها ، ويفرقهم في القفار طعن المتدارك وضربها ؛
ويقتل من فات السيوف منهم العطش والجوع ، ويحيل للمني منهم أن وطنه كالدينا
التي ليس ليت اليها رجوع ؛ ولعله قد رأى ذلك فوق ما وُصف عيانا ، وتحقق من
كل ما لا يحتاج أن تزيد به علما ولا تُقيم له عليه برهانا ؛ وقد علم أن أمر هذا العدو
المخذول ما زال معناه على هذه الوتيرة ، وأنهم ما أقدموا إلا ونصر الله عليهم في مواطن
كثيرة ؛ وما ساقتهم الأطماع في وقت إلا الى خوفهم ، ولا عاد منهم قط في وقعة
إلا أحاطت بخبر عن مصارع ألوفهم ؛ ولقد أضاع الحزم من حيث لم يستند بهم الله
عليه بطاعتنا التي كان في مهاد أنبيا ، ويهاديئنا ؛ وحماية عفوها ، وبرد راقبنا التي
كدرها بالخالفه بعد صفوها ؛ يصون رعاياه بالطاعة عن القتل والإسار ، ويحيى
أهل ملته بالحنن من الحركات التي ما نهضوا اليها إلا وجرؤا ذيل الحصار ؛ ولقد
عرض نفسه وأصحابه لسيوفنا التي كان من سطواتها في أمان ، ووثق بما ضمن له
التأمن من نصره وقد رأى ما آل اليه أمر ذلك الضمان ؛ وجر نفسه بموالاة التار
عنا كان منه في غنى ، وأوقع روحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التي تحفظت
أولياؤه من هنا ومن هنا ؛ واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الأمن عن منكيه
وأقتدره وقوته بما زين لهم الشيطان من غروره "فلما تراءت الفئتان نكص على
عقبه" وما هو والوقوف في هذه المواطن التي تنزل فيها أقدام الملوك الأكاسره
وألى لصعاف القاد قدرة على الثبات لو ثبات الأسود الضارية والليوث الكاسره ؛

- لقد أَعْرَضَ بين السهم والهدف بغيره ، وَتَعَرَّضَ للوقوف بين ناب الأسد ونفريه ؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرى له حقوق أسلافه التي ماتوا عليها ، ونحفظ له خدمة آباءه التي بذلوا نفوسهم ونفاسهم في الوصول إليها ؛ ونُجْزِيه وأهل بلاده نُجْزِي أهل ذمتنا الذين لا تُؤْثِرُهم من عفونا مهما استقاموا ، وَكَسَلُكَ بهم حُكْمَ من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قَبَضَتنا زَحُوا أو أَقَامُوا ؛ ونحن نتحقق أنه ما بقي يَنْسَى
- ملازِمَةَ رِبْعَةِ الخلف خِناقه ، ولا يَرْجِعُ يَوْمَ نَفْسِهِ في مَوَارِدِ الملاك ، وهل يَرْجِعُ الى الموت [مَنْ] ذاقه ؟ فَيَسْتَدْرِكُ بَابَ الإِنَابَةِ قَبْلَ أَنْ يُثَلِّقَ دُونَهُ ، ويصون نفسه وأهله قَبْلَ أَنْ تَبْدُلَ السِوْفُ الإِسْلَامِيَّةَ مَصُونَهُ ، ويبادر الى الطاعة قبل أَنْ يَبْذُلَهَا فلا تُقْبَلَ ، وَيَسْتَسْكِرُ بِأَذْيَالِ السُّفُو قَبْلَ أَنْ تُرْفَعَ دُونَهُ فَلَ تُسْبَلَ ؛ وَيُسَجِّلُ بِجَمَلِ أُمُوالِ القَطِيعَةِ وَالْأَكْلَانِ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ في جملة ما يُحْمَلُ منها اليَنا ، وَيُسَلِّمُ مَتَاعَ ما عدا عليه من فُوحِنَا ، وَالْأَفْهَمُ يَعْلَمُ أَنَّهَا وَجِيعَ ما تُؤْثِرُ في بلاده بين يَدَيْنَا ؛ وَيَكُونُ هو السَّبَبُ في تَمْزُقِ تَمْلِيهِ ، وَتَفْرِقِ أَهْلِهِ ، وَقَلْعِ بَيْتِهِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَهَدْمِ كَنَائِسِهِ ، وَابْتِذَالِ نَفْسِهِ وَهَائِسِهِ ؛ وَاسْتِرْقَاقِ حَرَمِهِ ، وَاسْتِخْدَامِ أَوْلَادِهِ قَبْلَ خَلْمِهِ ؛ وَاقْتِلَاعِ قِلَاعِهِ ، وَاحِرَاقِ
- ١٠

(١) كذا في الأصل ؛ ومهما في هذه العبارة حرف يعني إن الشرطية ، وهو مذهب ضعيف ؛ وقد سبق أن أَرْضَعْنَا ذاك في ص ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء .

(٢) يوقر نفسه ، يريد أن يَأْتِيَهُ ، وهو من مؤذره إذا صرعه وألقاه . وعبارة حسن التوسل : « ولا يورد » .

(٣) عبارة الأصل : « المؤمنين فاقه » ؛ وفيه قصص ونحرف ، وسياق الكلام يقتضى ما أنبأنا وانظر حسن التوسل ص ٩٨ ط الوجبة .

- (٤) في الأصل : « وقد ظلم » ؛ وقوله : « وقد » زيادة من التامع .
- (٥) في الأصل : « واستغلاخ » ؛ وبين « واذا » ؛ ولم تقف عليه فيما لدينا من كتب اللغة .
- ٢٠

رُبوعه وِرْبَاعِه، وَتَحْيِيلُ رُؤْيَا مَا أَوْعَدَ بِهِ قَبْلَ سَمَاعِهِ، وَمِنْ لِقَازَانٍ بَأَن يَجَابَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، أَوْ يُسَمَّحَ لَهُ مَعَ الْأَمْنِ مِنْ سَيُوفِنَا بَعْضُ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِكِ؛ لَيَقْنَعَ بِمَا أَبْقَتْ جِيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةُ فِي يَدِهِ مِنَ الْخَلِيلِ وَالْحُلُولِ، وَيَعِيشَ فِي الْأَمْنِ بَعْضُ مَا تَسْمَحُ لَهُ بِهِ، وَمِنْ لُغُورٍ بِالْحُلُولِ؛ وَالسِّيُوفُ الْآنَ مُصْفِيَةٌ إِلَى جَوَابِهِ تُكْفِّفُ إِنْ أَبْصُرُ سُبُلَ الرِّشَادِ، أَوْ تُنَوِّضُ رُبُوعَ حِمَاهِ وَكِبَاكِهِ عَنِ الْأَعْمَادِ إِنْ أَصْرَعَ الْعِتَادَ، وَالْخَلِيلُ يَكُونُ.

وَأَمَّا التَّقَالِيدُ وَالْمُنَاشِيرُ وَالتَّوَاقِعُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ — فَلَا أَحْسَنَ فِيهَا بَسْطُ الْكَلَامِ، وَتُعْتَبَرُ كَثْرَتُهُ وَقَلَّتُهُ بِحَسَبِ الرِّتَبِ، وَيَجِبُ أَنْ يَرَاعَى فِيهَا أُمُورٌ: مِنْهَا بَرَاةُ الْأَسْتِهْلَالِ بِذِكْرِ الرِّتَبَةِ أَوْ الْحَالِ، أَوْ قُدْرَةِ النِّعْمَةِ، أَوْ لِقَبِّ صَاحِبِ التَّقْلِيدِ أَوْ أَسْمِهِ بِمَحِثٍ لَا يَكُونُ الْمَطْلَعُ أَجْنَبِيًّا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَبْدَأُ مِنْهَا، وَلَا مَبَايِنًا لَهَا، ثُمَّ يَسْتَصِحِّبُ مَا يَنْاسِبُ الْفَرَضَ وَيُوَافِقُ الْمَقْصِدَ مِنْ أَوَّلِ الْخُطْبَةِ

(١) الرِّبَاعُ بِكَسْرِ الرَّاءِ: جَمْعُ رَجٍ بِضَمِّ أَثَرِهِ وَفَتْحِ ثَانِيهِ، وَهُوَ التَّصْفِيلُ فِي أَثَرِ الشَّجَرِ؛ وَالْمُرَادُ مَا شَجَّهَ، يَرِيدُ بِهِ هَذِهِ الصَّبَارَةَ تَوَحُّدَهُ بِإِحْرَاقِ مَنَازِلِهِ وَأُمُورِهِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَعَطِي» بِإِسْقَاطِ الْحِزَةِ؛ وَالْمَشْهُورُ عِدَّةُ آفَةِ الْفَتْحِ وَرُجُوبِ إِثْبَاتِهَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كَلَامُ الْعَرَبِ: وَعَطَتْ الزَّيْلَ شَيْراً، وَعَوَّطَهُ شَرَاءً، وَأَرَعَطَهُ شَيْراً وَأَرَعَطَهُ شَرَاءً؛ فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ قَالُوا: وَعَطَتْ لَمْ يَدْخُلُوا أَقْصَا، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ قَالُوا: أَرَعَطَتْ لَمْ يَدْخُلُوا الْأَفْءَ؛ وَأَنَّهُ لِمَا مَرِنَ الْفَقِيلُ:

وَالَّذِي لَمْ يَرِثْ أَرَعَطَتْ أَوْ وَعَطَتْ * لِأَخْطَفَ إِسْرَادِي وَأَنْجِزَ مَوْعِدِي ٨١ -

انْظُرْ إِلَى هَذَا فِي ذِكْرِ الشَّرِّ، فَظَرَمَ إِثْبَاتَ الْحِزَةِ كَمَا تَخْتَصُّ بِهِ عِبَارَةُ الْأَزْهَرِيِّ؛ وَالَّذِي يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ الْمَصْبُوحِ أَنَّهُ يُقَالُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ: وَعَطَتْ يَدُونَ أَلْفَ سَوَاءٍ، أَذْكَرَ الشَّرِّ وَالشَّرَّ أَلَمْ يَذْكُرَا، وَالْفَارَاقُ يَنْهَبُ الْمَصْدَرُ، فَاتَّعَ فِي الْخَيْرِ: الْوَعْدُ، وَفِي الشَّرِّ: الْوَعِيدُ.

(٣) حِبَارَةُ الْأَصْلِ: «وَمِنْ الْمَعْرُوفِ»؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

الى آخرها ؛ قال : ويحسن أن يكون الكلام في التقليد مقصداً الى أربعة أقسام متقاربة المقادير ، فالرُّبع الأوَّل الخطبة ، والثاني ذِكْرُ موقع الإنعام في حقِّ المقلِّد ، وذكرُ الرتبة وتخصُّم أمرها ، والثالث في أوصاف المقلِّد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وصيانة ومهابة وبُعْدِ صيت ، ومُسمِّية وشجاعة إن كان ثائبا ، ووصف العدل والرأى وحسن التدبير ، والمعرفة بوجوه الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيرا ؛ وكذلك في كلِّ رتبة بحسبها ، والرابع في الوصايا ؛

ومنها [أن يرأى ^(١)] المناسبة وما تقتضيه الحال ، فلا يُعطى أحداً فوق حَقِّه ، ولا يصفى بأكثر مما يراد من مثله ، ويرأى أيضا مقدار النعمة والرتبة ، فيكون وصفُ المنة على مقدار ذلك .

ومنها أن لا يصف المتولَّى بما يكون فيه تعريضٌ بالمعزول وتقصُّص له ، فإنَّ ذلك مما يُوغر الصدور ، ويُورث الضغائن في القلوب ، ويدلُّ على ضعف الآراء في اختيار الأوَّل ، وله أن يصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأوَّل ؛

ومنها أن يختصر الكلام والمعاني ، فإنه مما يتيسر ويذيع ، ولا يسدُّ المقصِّر في ذلك سجلة ولا ضيق وقت ، فإنَّ جمال الكلام عليه متسع ، والبلاغة تظهر في القليل والكثير ، والأمر الجارى في ذلك على العادة معروف ، لكن تقع أشياء خارجة عن العادة ، نادرة الوقوع ، فيحتاج الكاتب فيها الى حسن التصرف على ما تقتضيه الحال ؛

(١) الكلمة عن حسن التوسل من ١١٠ ط الوهية ؛ وسباق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : « ولا يسجل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر حسن التوسل .

فمن ذلك تَهْلِيلُ [من]^(١١) إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود الحلبي كُتِبَ به
تَمَتُّكٌ ميسر بإقراره على ما قاطع النهر من بلاده، وهو :

الحمد لله الذي خَصَّ أيماننا الزاهرةً باصطناع ملوك الملل ، وفضل دولتنا
القاهرةً بإجابة من سأل بعض ما أَرَزَتْه لها البيضُ والأَمَلُ ، وجعل من
خصائص ملكنا إطلاقَ الممالك وإعطاءَ الدول ، والمَنِّ بالنفوس التي جعلها النصر لنا
من جملة الخَوَلِ ، وأغرى عواطفنا بتحقيق رجاها من مَدَّ إلى عوارفتنا كَفَّ الأمل ،
وأفاض بمواهب نهلتنا على من أناب إلى الطاعة حُلَّ الأمن بعد الرَّيَل ، وأترع
بالأشياء [لمن تَمَسَّك بولائنا] أرواحَ رعاياه من قبضة الأجل ، وجعل بَرْدَ الغفوة عنه
وذهاب الطاعة نتيجة ما أنافهم العصيان من حرارة الغضب ، إذ ربما حَمَّتْ الأجسام
بالليل ، لِحَمْدِهِ على نعمه التي جعلت صفواتا من رجاها قريبا ، وكرمنا لمن دماه بإخلاص
الطاعة عُجيا ، وَرَبَّنَا لمن أَقْبَلَ إليه منيا بوجه الأمل مُتيا ، وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل
الله له في التمسك بمراحمتنا نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة
تَصِمُّ دم من تَمَسَّك بدمائهما ، وتَحْمِي مَوَادَّ من طائفتها بانتقام حسامها ، وتَقْصِمُ حُرَّ
الأعتاق بممبِ أطمعه الغرور في أقتصال أحكامها وأقتصاصها ، وتَقْصِمُ مَنْ قصد
إطفاء ما أظهره الله من نورها ، واقتطاع ما قضاه من دوامها ، وتَجْمَلُ كلمة حلفتها
هي العليا ، فلا تَرَالُ أعتاق جاحلتيها في قبضة أوليائها وتحت أقدامها ؛ ونشهد أن
عبدنا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق إلى كل أمة ، المنعوت في الكتب
المتزلة بالزُفَّة والرحمة ، المخصوص مع عموم المعجزات بجمس منهن الرعب الذي كان
يتقلَّبه إلى مَنْ قصَّده ، ويسبقه مسيرة شهر إلى [من]^(١٢) أَمَّه ، المنصوص

(١) هذه الكلمة مأخوذة من الأجل السلي ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٢) الكلمة من حسن التوسل .

- في الصحف المحكّة على جهاد أمته، الذي لاجأه لمن لم يتحكّ من طاعه بدمته؛
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا بدعوته الممالك، وأوضحوا بشرعته إلى الله
 المسالك، وجعلوا بنور سُنّته عن وجه الزمن كلّ حال حالك، وأوردوا من كفر بربههم
 ورمسليه موارد الممالك، ووثقوا بما وعد الله نبيّه حين روى له مشارق الأرض
 ومقاربها من أن ملكهم سيلغ ما روى الله له من ذلك؛ صلاة لا تزال الأرض لها
 مسجدا، ولا يبرح ذكرها مقبرا في الآفاق ومنجدا؛ ما استفتحت السنة الأيسنة
 النصر بإقامتها، وأبادت أعداءها باستدامتها، وسلم تسليما كثيرا؛

- وبعد، فإنه لما آتانا الله ملك البسيطة، وجعل دعوتنا بأعنة ممالك الأعطار
 محيطه؛ ومكّن لنا في الآفاق، وأنهضنا من الجهاد في سبيله بالسنة والفرس، وجعل
 كل يوم تمرّض^(١) [فيه] جيوشنا من أمثلة يوم العرض؛ وأطلقنا يوادر الفتوح،
 وأغلقت على الأعداء مسيوقنا التي هي على من كفر بالله وكفّر النعمة دعوة نوح
 وأبدينا بالملائكة والروح، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فاتصّر بالأب والأبن
 والروح؛ وألقت إلينا ملوك الأعطار السلم، وبذلّت كراثم بلادها رغبة في الاكتفاء
 من عفوا إلى ظل أهل من علم، وتوسّل من كان منهم يُظهر الغلظة بالذلّة والخضوع
 وتوسّل من كان منهم يُبسّدي القوة بالإخلاص الذي راوه لم أقوى الجن وأوقى
 الدروع؛ طاهدنا الله تعالى ألا نردّ منهم آملا، ولا نصبّد من مشاريع كرمنا هاهنا؛
 ولا نخبّب من إحساننا راجيا، ولا نثجّلي عن ظلّ ربنا لاجيا؛ علمنا أن ذلك شكر
 للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل، ووُثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا كما نشاء

(١) كذا في الأصل السلي. وراعى في حسن التوسل ص ١١١: «الأرض»؛ وهو أظهر دليل

ما أتى في الفقرة هذه، ليم به السج الذي التزمه الكاتب في رساله.

(٢) هذه الكلمة ساقطة عن الأصل السلي؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل.

- فجمع عليه الأنامل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللابس للغل مُصراً ، وعلى عداوة الإسلام مُصيراً ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رأسه ؛ ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالتثار الذين هم بمهايقنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في حبال إدارهم ؛ حاجزون عن حفظ مالهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايات المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف ؛ إما القتل أو الإسار ؛ وحين تهادى المذكور في غية ، وحمله الغرور على ركوب جواد بنيه ؛ أمرنا جيوشنا المنصورة لجاست خلال تلك الممالك وداست حوافر خيلها ما هالك ، وساوت في عموم القتل والأسرين العبد والحُر والمملوك والمالك ؛ وألحقت روائى جبالهم بالصعيد ، وجعلت محاتهم كزروع قلاهم منها قائم وحصيد ؛ فأسلمتهم الشيطان ومراً ، وتركهم وفراً ؛ وما كثر وأعلمهم أن الساعة موعدهم "والساعة أدنى وأمر" وأخلفهم ما ضيق لهم من العون وقال لهم : "إني يرى منكم إني أرى ما لا تزنون" ؛ وكان الملك فلان ممن يريد طرقي النجاة فلم ير إليها بسوى الطامة سيلا ، ويأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الائتماء دليلاً ؛ فأبصر بالخلمة موضع رُشده ، وأدرك بسعيه نافر سمعه ؛ وأراه الإقبال كيف تثبت قدمه في الملك الذي زلت عنه قدم من سلف ، وأظهر له الإشفاق على رعاياه مصارع من أوردته سوء تدبير أخيه موارد التلف ، وعمره التمسك بإحساننا كيف آخوت يده على ما لم يبق غضبنا في يد أخيه منه إلا الأذى والأسف ؛ وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يميل الطلب ، وعلمته الطاعة كيف تُستغزل عوارفتنا عن بعض ما ظلت عليه سيوفنا وإنما الدنيا لمن ظلب ؛ وأتمنى إلينا فصار من خدام أيامنا ، وصنائع إيماننا ، وقطع علاقه من فئتنا ؛ فلجأ منا إلى

- ركن شديد، وظلّ مديد، ونصر عديد؛ وحرم يأوى إليه، وكرم يُقَرّ نضارته
 ناظره، وإحسان يمتعه بما أقره عطاؤنا في يديه، وأمتان يضع عنه إصره والأغلل
 التي كانت عليه؛ اقتضى إحساننا أن نفضي له عن بعض ما حلت جيوشنا ذراه
 وحلت سطوات عساكرنا عراه؛ وأضعفت عزمات مرابنا قواه، ونشرت طلائع
 جنودنا ما كان ستره صفتنا عنهم من عورات بلادهم وطواه؛ وأن نخوله بعض
 ما وردت خيولنا مناهله؛ ووطئت جيادنا غاريه وكاهله؛ وسلكت كنانا فلكت
 دارسه وآله؛ وأن تُبقي مملكة البيت الذي مضى سلفه في الطاعة عليه، ويستمر
 ملك الأيمن الذي أتمل السعى في مصالحه يديه؛ لِيَتِمَّ رعاياه به، ويعلموا أنهم
 أمينا على أرواحهم وأولادهم بسببه؛ ويتحققوا أن أفعالهم بحسن توصله إلى طاعتنا
 قد خفت، وأن بوادئ الأيمن بلطف توصله إلى مرأضينا قد أطافت بهم وخفت
 وأن سيوفنا التي كانت مجودة على مقاتلهم بجمل استعطافه قد كفتهم بأسنا وكفت
 وأن سطواتنا الحاكمة على أرواحهم قد خفت [عنهم بملاطفته وخفت]؛ فرم أن
 يُقلد كيت وكيت من المملكة الفلانية، ويستقر يديه استقرارا لا ينزع في استحقاقه
 ولا يمارض فيما سبق من إعطائه وإطلاقه؛ ولا يطالب عنه بقطيعه، [ولا يطالب
 منه بسببه غير طوية غلصية ونفيس مطبعه]؛ ولا يخشى عليه بدلا جائره، ولا مريّة
 في طلب الفسرة سائر؛ ولا يطرق بكأسه أشد جيوش مفرسه، ولا سباع نهاي
 غنيله؛ بل تستمر بلادُه المذكورة في دمام رعايتنا، وحصانة عنايتنا؛ وكنت
 إحساننا، ووديعة رثنا وأمتاننا؛ لا تقطع اليها حين معاند، ولا تمتد إليها إلا ساعد

(١) كذا في النسخة السليمة لهذا الكتاب، وحسن التوصل من ١١٢ ط الوهية؛ وفي بعض نسخ

حسن التوصل: «أجل» بالميم؛ والمخفى يخفف في كلا الروايتين.

(٢) التكلفة عن حسن التوصل؛ وسياق الكلام يقتضى إثباتها.

(٣) القطيعة: الفرية.

مُسَاعِدَ، وَعَضُدٌ مُعَايِدٌ؛ فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِ اللَّهِ الَّذِي هَدَاهُ إِلَى الطَّاعَةِ وَصَبَانَ بِإِخْلَاصٍ وَلَا تَهْ تَقَسَّهْ وَقَانَسَ بِلَاغِهِ مِنَ الْإِضَاعَةِ؛ وَلْيَقْرَنْ ذَلِكَ بِإِصْفَاءِ مَوَارِدِ الْمَوَدَّةِ، وَإِضْفَاءِ مَلَابِسِ الطَّاعَةِ الَّتِي لَا تَزِيدُ بِمُحْسِنِ الْوَفَاءِ إِلَّا جِدَّةً؛ وَأَسْتَقِرَّ الْمُنَاصَحَةُ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ، وَاجْتَنَابِ الْخَادِعَةِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فِيمَا اسْتَقَرَّ مَعَهُ الْخَلْفُ عَلَيْهِ^(١)، وَمِبَازِينَةٍ مَا يَخْشَى أَنْ يَتَوَجَّهَ بِسَبِيهِ وَجْهٌ حَتَّى إِلَيْهِ؛ وَاسْتِدْمَادِ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِحِفْظِ أَسْبَابِهَا، وَاسْتِقَامَةِ أَحْوَالِ هَذِهِ الْمِنَّةِ بِرَفِضِ مُوْجِبَاتِ الْكَدْرِ وَاجْتِنَابِهَا، وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ الَّتِي لَا تُعْتَبَرُ ظَوَاهِرُ الْأَحْوَالِ الْمَالِحَةِ إِلَّا بِهَا .

وَمِنْ تَقْلِيدِ كِتَابِهِ الْمَشَارُ إِلَيْهِ أَيْضًا لِسَلَامَتِ مَمْلَكَةِ الرُّومِ حِينَ وَرَدَ تَحَايُهُ يَسْأَلُ ذَلِكَ قَبْلَ حُضُورِهِ، أَوَّلُهُ :

١٠ الحمد لله الذي آتانا بنصره ، وأمدنا من جنود الظَّفَرِ بما لم يُؤْتِ مَلَاً في عصره ، وجعلَ مهابتنا قاتمةً في جهادِ عدوِّ الدين ، إنْ قُرِبَ مَقَامُ كَثِيرِهِ ، وإنْ بَعُدَ مَقَامُ حَصْرِهِ ، ونَشَرَ دَعْوَةَ بَيْلِكَا فِي الْأَفْطَارِ كُلِّهَا إِذَا اقْتَصَرَتْ دَعْوَةُ غَيْرِنَا مِنْ مُلُوكِ الْأَمْصَارِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَأَنْجَدَ مِنْ نَادَانَا بِلِسَانِ الْإِخْلَاصِ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ وَجُنُودِنَا بِالْجَيْشِ الَّذِي لَمْ تَزَلْ أَرْوَاحُ الْعِدَا بِأَسْرِهَا فِي أَسْرِهِ ، وَعَضَدَ مَنْ تَمَسَّكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا مِنْ إِبَاجَةِ عَسَاكِرِنَا بِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى مَقَاتِلِ عَدُوِّهِ مِنْ يَرْضَاهُ الْمَرْهَقَةُ وَشُمْرُهُ ، وَأَعَادَ بِنَا مِنْ حَقُوقِ الدِّينِ كُلِّ ضَالَّةٍ مُلْكٍ ظَلَقَ الْعُدُوَّ أَقْرَبُ مِنْ رَجْعِ نَفْسِهِ إِلَيْهِ ، وَأَسْرَعُ مِنْ رَدِّ الْعَصْدِيِّ جَوَابَهُ عَلَيْهِ ؛ وَأَسْبَقُ إِلَى عَدُوِّ

(١) الخلف يكرر أوله ويسكون ثانيه ؛ السعد .

(٢) في الأصل : « ردى » ؛ وهو محرف .

- الدين من مواقع حياته ، وأقندر على التصرف في أرواح أهل الشرك من تصرف
الكبي في حياته ؛ وأنب عن حي الدين من الجفون عن نواظرها ، وأضرى على
نفوس المعتدين من أسود عنت القرائس^(١) لكوامرها ؛ قد عودها النصر الإلهي
ألا تمل عليها فتفمد حتى تسبح تمالك ، وضمن لها الوعد الحمدي أنها الطائفة
الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ؛ نحمده
على نعمه التي لم نزل نصون بها حي الدين ونصول ، وتقلد بينها من بلأ إلينا سيف
نصر يصدع به ليل العدا ولو أن النجوم نصول ، ونورد بأسمها من أنتصربنا
مورد عز يحوم له الأسنة فوقه ، فليس لظلمان من العدا إليه وصول ، وبعد ، فإن
أولى من أضفت عز أمتنا الشريفة إلى نداء إخلاصه ، وأجابت مكارمتنا العميمة
دعاه تميزه بالولاء واختصاصه ، وقابلت مراسمتنا انتصاره في الدين بالنصير لإعانتته
على ما ظفر باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه ، وتكفلت له مها بنتا بالأمن على ملك
مذ وسمه باسمنا الشريف يلس العدو من استخلاصه ؛ وأجيب كُتبه في الاستنجاد
بسرطان^(٢) الكتائب ، ولعان القواضب ، ونبأ أمداد جيوشنا التي تنوء بحملها كواهل
المشارق والمغارب ، وتدقي أمواج صاكرنا التي تنشد طلائعها ملوك العدا :

« أين الفرار ولا مقر لها رب »

١٥

وتألق بروق النصر من خفق ألويتنا الشاهدة بأن قبيلنا

« إذا ما التقى الجمعان أول غالب » .

(١) في الأصل : « القواضب » ؛ وهو تحريف ، وسياق العبارة يقتضى ما أنبتا . والقرائس :

جمع فريسة . (٢) في الأصل : « يميزه » بالجم والواو المعجمتين ؛ وهو تصحيف .

(٣) مرطان الناس بفتح السين والراء : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، قاله الأصمعي فيمن يمرع

من السكر . انظر تاج العروس .

ومنه :

وَقَوَّضْتُ إِلَيْهِ مَرَامُنَا الْحُكْمَ فِي الرِّبَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَلَدْنَاهُ أَوَامِرُنَا مِنْ
عُقُودِ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْمَهَابِكِ [مَا تَوَدَّ جِبَاهُ الْمُلُوكِ] ^(٢) لَوْ حَلَّتْ بِذُرَاهَا مَعَاقِدَ التَّيجَانِ ،
وَعَلَّقَتْ ^(٣) بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ مَا بَنَّا تَتَقَّدُ مَوَاقِعُهُ ، وَكَلَّمَا الْأُمُورَ الْمَعْتَبِرَةَ لَأَسْتَفْذَ الْإِبْسِلْطَانَ ؛
مَنْ أَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ ، وَهَدَاهُ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَاصْبِرْ فِيهِ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ،
وَأَرَادَ بِهِ خَيْرًا فَقَلَّهْ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ إِلَى حِزْبِهِ ، وَأَقْبِذْهُ بِطَاعَتِهِ مِنْ مَوَارِدِ الْهَلَاكِ
بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَذِنَ بِمُحَرِّبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَقَدْ خَسِرَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةَ
مَنْ أَذِنَ مِنْ اللَّهِ بِمُحَرِّبِهِ ؛ وَأَقْبِذْهُ مِنْ طَاعَتِنَا الَّتِي أَوْجِبْنَا عَلَى الْأُمَمِ لَهَا أَبْصَرَ بِهِ
رِشْدَهُ ، وَرَأَى قَصْدَهُ ، وَطَلَّمَ بِهِ أَنْ الذِّي كَانَ فِيهِ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ لَمْ يَحِدْهُ شَيْطَانٌ ، وَأَنَّ
الَّذِي آتَقَلَّ إِلَيْهِ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ ؛ وَأَنْتَهَضَ مِنْ مُوَالَاتِنَا بِمَا حَقَّ بِهِ التَّهَوُّسُ عَلَى كُلِّ
مَنْ كَانَ مُسْلِمًا ، وَأَنْتَرَجَهُ بِنُورِ الْهُدَى مِنْ عِدَادِ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ تَرَكْنَاهُمْ خَوْفُنَا ^(٤) كَأَنَّ
أُخْشِيتَ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ الْكَلِيلِ مُظْلِمًا ؛ وَأَرَاهُ الرِّشْدُ مَا عِلِمَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوَدُّنَا
مُلْكُ الْإِسْلَامِ قِبَاطَتِنَا يَتِمُّ الْاِكْتِمَاءُ إِلَيْهِ ، وَأَعْطَانَا مَقَالِيدَ الْبَسِيطَةِ فَمَنْ اخْتَصَبَ مِنْهَا
شَيْئًا أَقْرَبَهُ اللَّهُ لَنَا بِمِنْوَدِهِ الْمُسَوِّمَةِ مِنْ يَدَيْهِ ؛ فَلَجَّأَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى الظَّلِّ الَّذِي
يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ ذِي مَنَبَرٍ وَمَصْرِيرٍ ، وَرَجَا مِنْ كَرَمَتِنَا الْأَعْتَصَامَ بِمِنْوَدَتِنَا الَّتِي مَا رَمَيْنَا بِهَا

(١) فِي الْأَمَلِ : « وَقَدَرْتُهُ » ؛ وَهُوَ مُخَرِّفٌ .

(٢) الزَّيَادَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ ص ١١٣ طبع الرومية ، وَاسْتِقَامَةُ الْكَلَامِ تَقْتَضِيهَا .

(٣) فِي الْأَمَلِ : « جَلَّتْ » بِأَلْفٍ مَحْبُوبَةٍ ؛ وَهُوَ مُخَرِّفٌ .

(٤) فِي الْأَمَلِ : « وَطَلَّقَتْ » بِأَلْفٍ مَحْبُوبَةٍ ، وَهُوَ مُخَرِّفٌ .

(٥) لَمْ يَرِدْ هَذَا الْقَوْلُ فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ .

(٦) الْقِيَعَةُ بِكَسْرِ الْقَافِ : الْمَزَى مِنَ الْأَرْضِ ، أَشَارَ بِهِذِهِ الْعِبَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَاقْبِرْ كَقَبْرِهِ »

أَعْمَالُ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْبِسُ الظَّلْمَانُ مَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَحِدْهُ شَيْطَانٌ .

- عدواً إلا ظن أن الرمال تسيل والجبال تسير؛ وتخيّرنا إلى فئة الإسلام، وأنصّر بسيفنا التي هو يعلم كيف تُسلّها على العدا الأحمال؛ وستّ إلينا بذمة الإسلام وهي عندنا أبرّ الذمم، وطلب تقليده الحكم منا من عُرف بإحاذيه النظرات الصادقة أنه كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم؛ وعقد بنا بناء رجائه، وهل لمسلم عن ملك الإسلام من معيل؟ وأنزل بنا ركائب آماله، وهل بعد رامة لمرايم من منزل؟ فتلقت ٥ نعمنا كرائم قصده بالترحيب، وأحلت وفادة أنماؤه بالحرم الذي شأوه بعيد نصره قريب؛ وتسارعت إلى نصرته جنودنا التي آياها مشهورة في عدوها، وآثارها مشكورة في رواحها وعُدوها، وأعلامها منصورة في أتراسها ودنوها، ونابها يتلو بعضها بعضاً نتاج التهام المتراكم، والموج المتلاطم؛ تقدم عليه بالنصر القريب من الأمد البعيد، وتسلم بوادئها أكت طلائعها عنده وساقها بالصعيد؛ ولما كان فلان هو ١٠ الذي أراد الله به من الخير ما أراد، ووطّد له بنيته أركان الرشد؛ وجعل له بعد الجهل به جُلماً، وتداركه برحمته، فما أمسى للإسلام عدواً حتى أصبح هو ومن معه له سيما، «قُلْ فَضَّلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا»، وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم ويشرحوا، وبإرشاده الجلل وهدايته فليدعوا قومهم إلى ذلك وينصروا؛ وحين وصحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة إلى الطاعة، ودلته على ١٥

(١) في الأصل : «من مادته» ؛ وهو تحريف، والصواب عن حسن التوكل .

(٢) في الأصل وحسن التوكل : «بإدارته» ؛ وهو تحريف في كلامه، وسياق الكلام يقتضي

ما أتينا إذ بقية الكلام يدل على أنه حل لبيت المتني وهو :

أصيلها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم .

(٣) كذا في الأصل ؛ والقي في حسن التوكل : «لارتداد» ؛ والمعنى يستقيم على كلا الرأيين . ٢٠

(٤) في الأصل : «أسمائه» ؛ وهو تحريف .

مُؤَالاةِ مَلِكِ الْإِسْلَامِ الَّتِي مِنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ [بِهَا] فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَاعَةِ أَوَّلَى الْأَمْرِ ، وَحَثَّ عَلَى مَلَازِمَةِ الْجَمَاعَةِ فِي وَقْتٍ يَكُونُ الْمُتَمَسِّكُ فِيهِ بِلَيْسِنِهِ كَالْمُتَابِعِ عَلَى الْجُرِّ ؛ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا ، وَوَسَّيْ مِنْ يُحْسِنُ فِي دِينِ اللَّهِ سِيرَةً وَسَبِيلًا ؛ وَلِذَلِكَ أَقْتَضَتْ آرَاقُنَا الشَّرِيفَةُ إِمضَاءَ عَزْمِهِ عَلَى الْجِهَادِ بِالْإِمْبَادِ ، وَإِنْفَازَ مَجِيئِهِ فِي أَهْلِ الْعِنَادِ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ؛ وَأَرْسَلْنَا الْجِيُوشَ الْإِسْلَامِيَّةَ كَمَا تَهْتَدِمُ شَرْعُهُ يَطْشُونَ الصَّاحِبَ ، وَيَسْتَقْرِوْنَ الْمَدَى التَّانِجَ ، وَيَأْخُذُونَ كُلَّ كَيْفٍ فَلَوْ اسْتَطَاعَ الشَّيْءُ أَنْ يَتِمَّ بِالرَّاحِ ، وَيُجْتَسَبُونَ الشُّقَّةَ فِي مَطْلَبِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ عَلِمَا أَنَّهُمْ لَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا وَلَا أُكْتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ؛ فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ — لَا زَالَ يَهَبُ النَّوْلُ ، وَوَقَّدَ أَجْيَادُ الْعِظَاءِ مَا تَوَدَّ لَوْ تَحَلَّتْ بَعْضُ فَرَائِدِهِ تِيْمَانُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ — أَنَّ مَحْوُضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ الْخَالِكِ الْفَلَانِيَّةِ مَحْوُضًا يَصُونُ بِهِ فَلَاعِهَا ، [وَيَصُولُ بِمَهَايَتِهِ عَلَى مِنْ حُلُولِ أَتْرَاعِهَا مِنْ يَدِهِ وَأَفْلَاعِهَا] ؛ وَيُجْرَسُ عَلَى [مَا] أَلْفَتْ مِمَّا لَكُنَّا مِنْ أَمْنِي لَا يُرَوِّعُ سِرُّهُ ، وَلَا يَكْدُرُ سِرُّهُ ؛ وَلَا يُوْجَدُ فِيهِ بَاغٌ مُخَافِ السَّبِيلِ بِسَبِيهِ ، وَلَا مِنْ يَحْرُدُ سَيْفُ بَنِي وَإِنْ جَرَّدَهُ قُتِلَ بِهِ ؛ وَلِيَحْفَظَ مِنْ الْأَطْرَافِ مَا اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَهَذَا التَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ حِفْظُهُ ، وَلِيَمَلَّ فِي قِتَالِ مُعَارِيهِهِ مِنَ الْعِدَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل من ١١٤ طبع الوهبة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن حسن التوسل لِمَ جَاءَ السَّجَّحُ الَّتِي أَلَزَمَهُ الْكُتَابُ فِي رِسَالَتِهِ .

(٣) في الأصل : « على أهت » بدون « ما » والسباق يقتضي إثباتها .

ومنه : ولعلم أن جيوشنا في المسير إليه متى قصدت عدواً ساقبت خيولها خيالتها، وجارت جياذها ظلالها، وأفتت سناجكها أن تجعل غير جماعم الأعداء فعالمًا، وهامى قد تقدمت وتنهضت لإنجاده، فلو سامها أن تخوض البحار في سبيل الله لخاضت، أو تصيد الجبال لصيدت .

- ومنه : والشرع الشريف مهمه المقدم، وأمره السابق على كل ما تعتم، فليحل مناره، ويستشف من أموره أنواره، ويُفد أحكامه، ويماضد حكمته، ومن عدل عن حكمه معاندا، أو تركه شيئاً من أحكامه جاحداً؛ فقد برئت الذمة من دمه حتى يفيء إلى أمر الله، ويرجع عن عناده ويُنيب إلى الله؛ فإن الله يهدي إليه من أناب "وهو الذي يقبل التوبة عن عباده".

- ١٠ وأما الرسائل التي تتضمن أوصاف السلاح وآلات الحرب وأوصاف الخيل والجوارح وأنواع الرياضات وما أشبه ذلك، فالكاتب فيه مطلق العنان، يحل بينه وبين فصاحته، موكول إلى اطلاعه وبلاغته؛ وقد تقدم من أوصاف السلاح ما فيه كفاية لمن يريد ذلك .

- وأما الخيل والجوارح وما يلحق بذلك من الفهود والضواري فلا غنية للكاتب عن معرفته جياذها، والأمارات الدالة على قراحتها، وكل طير من الجوارح وأفضاله وأستطالته، وكيفية فعله، وتمكنه من الطير والوحش؛ وسنورد إن شاء الله تعالى في فن الحيوان الصامت - وهو الفن الثالث من هذا الكتاب - ما يقتضى الكتاب بمثاله، ويقتض على منواله .

(١) كذا في الأصل . قال في تاج العروس مادة «لحق» : وتوهم : "المتحق به" ، أى الحق،

مولدة، قال الصاغاني : لم أجده فيها دون من كتب اللغة، فليجذب ذلك اهـ .

وأما الرسائل التي تُعمل رياضةً للخواطر وتجربةً للقرائح، كالمفاتيح بين
القواكه والأزهار، ووصف الرياحين والأنهار والغدران والسواقي والجداول والبحار
والمراكب وأمثال ذلك، فقد تقدم منها في القرن الأول من هذا الكتاب ما وقفت
أوقف عليه، وسُورِد منها إن شاء الله تعالى في ألفين أرباع في النبات ما عجمه
هناك .

وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من
الحوادث وغير ذلك، فسُورِد إن شاء الله تعالى منها في هذا الباب ما أختصناه
من رسائل الخطب واللقاء للشارقة والمغاربة على ما تهف عليه؛ ولنبداً من ذلك
بذكر شيء من كلام الصعبة والصدر الأول .

١٠ ذكر شيء من الرسائل المنسوبة إلى الصعبة رضى الله عنهم
والتابعين وشيء من كلام الصدر الأول وبلاغتهم
قدّمنا أن الكتاب يحتاج في صناعته إلى حفظ غاطبات الصعبة رضى الله
عنهم، ومعاوراتهم ومراجعاتهم، فأحيينا أن نُورد من ذلك في هذا الموضع ما يستغف
إن شاء الله عليه ؛

١٥ فن ذلك الرسالة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق إلى علي، وما يتعمل بها من
كلام عمر بن الخطاب وجواب علي رضى الله عنهم، وهذه الرسالة قد أختي الناس
بها وأوردوها [في] المجالس، ومنهم من أفردها في جزء، وقطع بانها من كلامهم رضى
الله عنهم، ومنهم من أنكروها ونفاهوا عنهم، وقال : إنها موضوعة، وأختلف أهلنا
بوضعها، فمنهم من زعم أن فضل الشيعية وضعوها، وأرادوا بذلك الاستناد إلى

[أن] علياً بن أبي طالب رضى الله عنه إنما بايع أبا بكر الصديق بسبب ما تضمنته؛ وهذا الاستناد ضعيف، وحجة وإهية، والصحيح أن علياً بن أبي طالب رضى الله عنه بايع بيعة رضى باطنه فيها كظاهره، والدليل على ذلك أنه وطئ من السبي الذى سبي في خلافة أبي بكر، واستولد منه محمد بن الحنفية، ولا جواب لهم عن هذا؛ ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها، والله أعلم؛ وعلى أجلة فهذه الرسالة لم تُوردها في هذا الكتاب لإثباتها أنها من كلامهم رضى الله عنهم ولا نفيًا، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة، وأنساق الكلام، وجودة الألفاظ، وما نحن نُوردها على نص ما وقفنا عليه

قال أبو حيان على بن محمد الترجيدى البغدادي :

- ١٠ سمونا ليلة عند القاضي أبي حامد بن بشر المروزي ببغداد، فتصرف في الحديث كل متصرف - وكان غزير الرواية، لطيف الدراية - بغير حديث السقيفة، فركب كل مرثيا، وقال قولا، وعرض بشيء، ونزع إلى فن؛ فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وجواب علي عنها، ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة؟ فقال الجماعة : لا والله، فقال : هي والله من نبات الحقائق، وعجبات الصناديق، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا لأبي محمد المهلب في وزارته، فكتبها عني بيده، وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتلئل على علم وحلم وفصاحة ونباهة، وبُعد غور، وشدة غوص؛ فقال له

(١) هذه الكلمة مأخوذة من الأصل، والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) في الأصل : «عزير» ؛ وهو تصحيف .

العباداني : أنها القاضي ، لو أتممت المنة علينا بروايتها سمعتها ، فصح أن أوعى لها عنك
من المهلي ، وأوجب ذماما عليك ، فاندفع وقال : حششا الخزاعي بمكة ، عن
أبي ميسرة قال : حششا محمد بن قليح عن عيسى بن داب [نبا صالح بن كيسان ^(٦) ^(٥)]
وزيد بن رومان ، قالا : حششا هشام بن عروة ، نبا [أبو الفتح قال : سمعت ^(٧)

٥ (١) العباداني : نسبة إلى عبادان ؛ وعبادان : موضع منسوب إلى عباد بن حصين الجبلي لأنه
أول من رابط به فنسب إليه زيادة الألف والتون على طريقة أهل البصرة وتوابعها في النسبة ، فأنهم
إذا سمعوا موضعا ونسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون في آخره ألفا ونونا ، كقولهم في قرية عديم منسوبة إلى
زيد بن أبيه : زبادان ، وأنشأ إلى صيد الله : جد اليان ، وأنشأ إلى بلال بن أبي ربه : بلالان ،
وعبادان هذه تحت البصرة قرب البحر الملح ، فإن دجلة إذا قاربت البحر انفرقت فرقتين عند قرية تسمى
الخرزى : فقرة يركب فيها إلى ناحية البحرين نحو بر العرب ، وهي اليمن ؛ فأما البصرة فيركب فيها إلى
سيفان ويصايف فارس ، فهي منطقة الشكل . وعبادان في هذه الجزيرة التي بين النهرين ، وهي موضع
ردى . صيخ لاخبريه ، وماؤه ملح ، وفيه مشهد لعل بن أبي طالب رضي الله عنه . اهـ ملخصا من ياقوت
ج ٣ ص ٩٨ طبع بوجتين .

(٢) في صبح الأضي : « اسمهاها » بصيغة الأمر ، والمخفى يستقيم على كليهما .
١٥ (٣) كذا في صبح الأضي ؛ والذي في الأصل : « ابن أبي ميسرة » ؛ ولم تقف عليه فيما لدينا من
الكتب المقتضية في أسماء الرواة .

(٤) في الأصل وصبح الأضي ج ١ ص ٢٣٧ طبع المطبعة الأميرية : « ابن أبي طليح » ؛ ولم تقف
عليه فيما لدينا من المخطان ، وما أثبتناه من خلاصة تذهيب التذهيب للخرزى وغيرها .
(٥) كذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٩٣ طبع مطبعة المطبي ، والمشتبه في أسماء
الرجال ، وتاج العروس مادة داب ، وغير ذلك من المصادر ؛ والذي في الأصل : « ابن ذؤاب » ؛ ولم تقف
عليه فيما لدينا من المخطان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وبها يستقيم السند انظر محاضرة الأبرار لابن العربي ج ٢
ص ١٠٣ طبع السادة .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة في محاضرة الأبرار لابن العربي المحفوظ منها نسخة مخطوطة
٢٥ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨ أدب م وكذلك في النسخة المطبوعة طبع السادة السالفة الذكر ، ونص
فيها على أن أبا الفتح مولى أبي عبيدة بالتون والقاه . والذي في الأصل : « ابن الحاج » ؛ ولم تقف عليه
فيما لدينا من المخطان .

- مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين
والأنصار بعد فتنه كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، وبسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن
عليٍّ تلكَ رؤياهم ، وتهمهم ونفاس ، ففكره أن يتحدى الخُلُوفَ فيبدو العورة ، وتشتعل
أبجهره ، وتفرق ذات البين ، فدعاني ، لحضرته في خلوة ، وكان عنده عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ، ما آيين ناصيتك ، وآيين الخمينين ؟
عبيدك ، وطالما أعز الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، وأهل المنبوط ، ولقد قال فيك
في يوم مشهود : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » ولم [تزل] ^(١) للذين
ملتجأ ، وللمؤمنين مرجئ ، ولأهلك ركا ، ولإخوانك رذما ، قد أردت لك لأمر له خطر
تخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم يتدمل جرحه بيسارك ورفيقك ،
ولم تجب حيتته برقيقك ، فقد وقع ألياس ، وأعضل الباس ، وأحتج بعد ذلك إلى
ما هو أمر منه وأملق ، وأعسر منه وأطلق ، والله أسأل تسمه بك ، ونظامه على
يديك ، فتأت له يا أبا عبيدة ، وتظف فيه ، وأنصح لله عز وجل ، ورسوله صلى الله
الله عليه وسلم ، ولهذا العصابة خير آل جهدا ، و [لا] قال حمدا ، والله كالكف وناصرك ،
وهاديك ومبصرك ، إن شاء الله ، امض إلى عليٍّ وأخفيص له جناحك ، وأغضض

(١) يقال : تهم فلان الشيء ، إذا طلبه ، والمراد هنا طلب الخلافة . وفي رواية : « تهمهم »
وهو الكلام الخفي ، والمخفى يستقيم على ذلك أيضا . والمفاسد : المفاسد .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الكلام تقتضي إثباتها انظر صحيح الأضحي ج ١
ص ٢٣٨ طبع المطبعة الأميرية .

(٣) كذا في الأصل ، وفي رواية : « بيسارك » ؛ انظر محاضرة الأبرار ج ٢ ص ١١١ طبع
المعاصرة في تجميع هذه الرسالة . والمسيار : قيل يدخل في البحر ليعرف كم عمقه ؛ يقال : سبوت البحر
إذا اعتبرته بالمسيار .

عنده صوتك ، وأعلم أنه سُلالةُ أبي طالب ، ومكانه من فقدانه بالأمر صلى الله عليه وسلم مكانه ، وقل له : البحر مغرقه ، والبر مفرقه ، والجو أكلف ، واللبل أضل^(١) ، والسماء جلواء ، والأرض صلاء ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق عطوف رعوف ، والباطل عنوف عسوف ، والعجب قذاحة الشر^(٢) ، والضن رائد البوار ، والحرص جبال الغنية ، والقيمة تقوب العداوة^(٣) ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متجبل يمينه ، نافخ حضيئه لأهله ، ينظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الأئمة بالشحناء والعداوة ، عناد الله عز وجل أولاً ، ولأدم ثانياً ، ولتبيته صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً ، يوسوس بالتجور ، ويؤمل بالشرور ، ويغني أهل الشرور ، يوجه إلى أوليائه زحرف القول غرورا بالباطل ، فأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم صلى الله

(١) الأكلف من الكلف ، وهو لون بين السواد والحمر . وأكلف الليل : أرى سده وأظلم . ولم نقرطه فيما بين أيدينا من كتب اللغة إلا نقلاً . وفي حاضرة ابن العربي ج ٢ ص ١٠٤ طبع السعادة : « أضل » بالألف ، وذكر في تفسيره ص ١١١ أنه الشديد الظلمة . كنى بهذا من اشتباه الأمور وخفاء طرق الهداية .

(٢) كذا في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لمسند الرسالة ، ولم تكتب على هذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) القذاحة بتشديد الدال : جبر الزبد .

(٤) للرجال : جمع جبل يفتح أوله وسكون لائه ، وهو الدول العظيمة .

(٥) القلوب يفتح اللام ، ما تشمل به النار من دقاق اللبائن ، والتي في الأصل : « هوف » إلقاء الموحدة ، وهو تحريف .

(٦) التحيل بتشديد الياء الموحدة : الحصيد بالحالة ، وفي الأصل : « متحل » بالياء المختلة ، وهو تصحيف .

(٧) قال في اللسان مادة « قح » في تفسير هذه البارة : أي متعسر ، مستند لأن يعمل عمله من الشراء . وفي الأصل وصح الأعرابي ج ١ ص ٢٣٨ : « غصيه » : وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن شرح نوح البليانة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٩٣ طبع طبعة الحلبي . وفي النهاية لابن الأثير : « تالغ حضيئه » بالهمز ، وقال في تفسيره : كنى به عن التعاطف والتكبير والتخلد .

- عليه ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا مَنجى منه إلا يَعْشُ
الناجذ على الحق ، وقَضَ الطرف عن الباطل ، ووطئ هامة صدق الله بالأشدّ فالأشدّ ،
والأكْدِ فالأكْدِ ، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه ، ولا بد الآن من
قول ينفع إذا ضَرَّ السكوت ويخيف عِجْه ، ولقد أُرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك
من أحيا مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ، ما هذا الذي تُسَوِّلُ
لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويتوى عليه رأيك ، ويتناوص دونه طرفك ، ويتسرى
فيه طعنك ، ويرادف معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به لسائك ؟
أعجمه بعد إفصاح ؟ أعلّيس بعد إضاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق
القرآن ؟ أهدى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أمثل تمثي إليه الضراء وتلدب
له أنثر ؟ أمثلك ينقبض عليه الفضاء ويكسف في جنبه القمر ؟ ما هذم القعقة
بالشان ؟ وما هذه الوعومة باللسان ؟ إنك وأقرب جد طارف باستجابتنا إلى الله عز
وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا
وأحبينا لله عز وجل ورسوله ونصرة لدينه ، في زمان أنت فيه في كِن الصبا ،

(١٨)

- (١) يدعى : من القوى يفتح للواء ، وهو داء باطن في الصدر .
(٢) اثناوص : فض البصر مع تخديق كمن يقوم سها .
(٣) قال في اللسان مادة ضراء : يقال للرجل إذا ختل صاحبه ومك به : هو يدب له الضراء ويمشي
له أنثر ، ويقال : لا أمشي له الضراء ولا أنثر ، أي أجاهره ولا أخافه ، والضراء الاستخفاف . ثم قال
بعد ذلك قلا من ابن خيول : ما وراك من شيء وادرات به فهو نحر .
(٤) قل من ثلب أن الأجود أن يقال : كسفت الشمس ، ونسفت القمر انظر اللسان والمصباح
مادة «خسف» .
(٥) قال في اللسان مادة قس : وفي المثل ظلان لا يقنع له بالشان ، أي لا يمتنع ولا يزوج ، وأمله
من تحريك الجله اليابس للجر ليفزع .
(٦) عبارة صبح الأعشى ج ١ ص ٢٣٩ «حجرة إلى الله» الخ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

وَيَحْدِرُ الْقَرَارَةَ، وَعُتُونِ الشَّيْبَةِ [غافلا عما] يُشِيبُ وَيُرِيبُ، لَا تَعِي مَا يُرَادُ وَيُسَادُ،
وَلَا تُحْصِلُ مَا يَسَاقُ وَيَقَادُ، سَوَى مَا أَنْتَ جَارٍ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا عُدِلَ بِكَ،
وَعِنْدَهَا حُطُّ رَحْلِكَ، ضِرَّ بِجَهْلِكَ الْقَدْرَ، وَلَا بِمُجُودِ الْفَضْلِ، وَنَحْنُ فِي أَتْسَاءِ ذَلِكَ
نَحْنُ أَحْوَالِ أَثْرِيلِ الرُّوَايَةِ، وَتَقَامِي أَهْوَالِ تُشِيبِ التَّوَاصِي؛ خَالِصِينَ غِمَارَهَا،
رَاكِبِينَ تَبَارَهَا؛ تَجَرَّعَ صَابَهَا، وَتُشْرِجَ عِيَابَهَا؛ وَتُحْكِمَ آسَاسَهَا، وَتُبْرِمْ أَمْرَاسَهَا؛
وَالْعَمُورُ تَحْمَلُجُ بِالْحَسَدِ، وَالْأَنْوُفُ تَعِطُّسُ بِالْكِبَرِ، وَالضُّدُورُ تُسْتَسِيرُ بِالْفَيْظِ،
وَالْأَعْنَاقُ تَنْطَاوِلُ بِالْفَخْرِ، وَالشَّفَارُ تُسَحِّدُ بِالْمَكْرِ، وَالْأَرْضُ تُمِيدُ بِالْخَوْفِ، لَا تَنْتَظِرُ
عِنْدَ الْمَسَاءِ صَبَاحًا، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً، وَ[لَا] تَدْفَعُ فِي مَحَرِّ أَمْرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
تَحْسُوَ الْمَوْتَ دُونَهُ، وَلَا تَبْلُغَ مُرَادًا إِلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ بَرَجِ الْمَذَابِ مَعَهُ، وَلَا تُقِيمِ
مَنَارًا إِلَّا بَعْدَ الْإِيَّاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ، فَادِينِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِالْأَبِّ وَالْأُمِّ، وَالْإِخْلِ وَالْعَمِّ، وَالسَّالِ وَالنَّسَبِ، وَالسَّبَدِ وَاللَّبَدِ، وَالْهَلَّةِ وَالْبِلَّةِ،
بَطِيبِ أَنْفُسٍ، وَقُرَّةِ أَعْيُنٍ، وَرُحْبِ أَعْطَانٍ، وَثَبَاتِ عِزَائِمٍ، وَصِحَّةِ حَقُولٍ، وَطَلَاقَةِ
أَوُجُهٍ، وَذِلَاقَةِ أَلْسُنٍ؛ هَذَا مَعَ خَفِيَّاتِ أَسْرَارٍ، وَمَكُونَاتِ أَخْبَارٍ كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا،

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ صِحِّهِ الْأَمْرِ؛ وَاسْتِغَاةُ الْكَلَامِ قَضَى إِبَاتِهَا .

(٢) حَاوِلَةُ الْأَصْلِ : «تَشِبُّ وَتُجِبُّ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَقَوْلُهُ : «وَرِيبٌ» ، هُوَ مِنْ رَايَ الْأَمْرَ
وَأَرَايَ، إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ مَا تَكْرَهُ .

(٣) أَمْرَجَ الْعَبِيَّةَ وَفَرَّجَهَا بِدُونِ هُزْ : شَدَّ مَرَاهَا .

(٤) التَّحْمَلُجُ بِالْمِجْمَعِ : التَّحْدِيقُ . وَفِي الْأَصْلِ : «تَحْمَلُجُ» بِأَخَاءِ الْعَيْنِ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «وَتَحْمَلُجُ» بِدُونِ «لَا» ؛ وَاسْتِغَاةُ الْبَيَانَةِ قَضَى إِبَاتِهَا .

(٦) السَّبَدُ وَالْبَدُ : كِتَابَةٌ عَنِ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ؛ وَأَصْلُ السَّبَدِ : الْفَرْجُ، وَالْبَدُ : الْعُرْفُ الْخَلِيطُ .

(٧) يَرِيدُ بِالْهَلَّةِ وَالْبِلَّةِ كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَالتَّحْرِيفُ يَقُولُ : مَا أَسَابَ هَلَّةَ وَلَا بِلَّةَ : أَيُّ شَيْءٍ ؛ وَيُقَالُ :
جَاءَتْ فُلَانٌ فَلَمْ يَأْتِ بِهَلَّةٍ وَلَا بِلَّةٍ ؛ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : قَالَمَةُ مِنَ الْقَرْجِ وَالْإِسْتِهْلَالِ ، وَقَالَةُ مِنَ الْبَلِّ وَالنَّظِيرِ .

١٥

٢٠

- ولولا سينك لم تكن عن شيء منها تكلأ؛ كيف وفؤادك مشهور،^(١) وعودك معجوم؛
والآن قد بلغ الله بك، وأنقض الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم
أقول ما تسمع؛ فأرتقب زمانك، ونقص أروانك؛^(٢) ودع النفس والتجسس لمن
لا يطلع لك إذا خطأ، ولا يترجح عنك إذا عطا؛ فالأمر غص، والنفس فيها مض؛^(٣)
وإنك أديم هذه الأمانة فلا تحمل بها جأ، وسيفها الغضب فلا تنب أعوجاجا، وماؤها
الغضب فلا تحمل أجاجا؛ والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
الإمر فقال لي: "يا أبا بكر، هو لمن يرغب عنه لا لمن يحاحش عليه،^(٤) ولمن
يتضاقل عنه لا لمن يتفجج إليه،^(٥) هو لمن يقال: هو لك، لا لمن يقول: هو لي" ولقد
شاؤني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر، فذكر فينا من قرش، فقلت:
أين أنت من علي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إني لأكره لفاطمة مبعة شبايه،^(٦)
وحداثة سنه، فقلت له: متى كنته يذك، ورحمته عينك، حقت بهما البركة،
وأسيغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك، وما كنت عرفت
منك في ذلك حوجاء ولا أوجاء، فقلت ما قلت وأنا أرى مكرات غيرك، وأجد

(١) المشهور: الذي للفؤاد المرفود، كالشهم.

(٢) التخلص: التمشير.

(٣) النفس: الثائر، كالنفاخ.

(٤) الحش: الألم والحزن.

(٥) حلم الجلد: وقع فيه الحلم ففتح اللام، وهو دود يقع في الجلد فيأكله، فإذا دغ وهو موضع
الأكل منه؛ يريد أنه الذي يجمع به شمل الأمة وقصان به أمورها، فإذا قد تخرق ما كان يجتمع منها
كالأديم الذي يسان به سائر البدن.

(٦) يحاحش: يبالغ.

(٧) الانحاج: الارتجاع، أو هو مستأرهما من قولهم: انتحجت للأرب إذا وثبت، ومعنى
العبارة يستعمل على كلا التفسيرين.

راغبة سواك، وكنت إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي، ولئن كان حرمك بك رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فلم يكن معرضا عن غيرك، وإن كان قال فيك
فما مكنت عن سواك، وإن تلجلج في نفسك شيء فلهم فالحكم مرضى، وللصواب
مسموع، والحق مطاع؛ ولقد قل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما عند الله
عز وجل وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حبيب، يبره ما يبرها، ويسوم^(١)
ما يسومها، ويكده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها، أما تعلم
أنه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه ومجرائه^(٢) إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية،
وأفرده بمقالة؛ أنظنه صلى الله عليه وسلم ترك الأمة سدى^(٣) بندا، عياهل^(٤) مياهل،
طلاحي، مفسونة بالباطل، ممتونة^(٥) عن الحق، لا زائد ولا رائد، ولا ضابط
ولا حائط ولا رابط، ولا ساق ولا واق، ولا هادي ولا سادي، ولا ما اشتاق^(٦)
إلى ربه تعالى، ولا ساهل المصير إلى رضوانه وقربه إلا بعد أن ضرب^(٧) المدي، وأوضح

❦

(١) كذا ورد هذين القولين في الأصل بصيغة المنارع، والقي في صبح الأحيى ج ١ ص ٢٤١ :
« ما سرها » و « ما ساعها » بصيغة الماضي، وهو أظهر لما كتبه لما بيده .
(٢) السجراء : الأضياء، واحده صجير كأمير .

(٣) الباهل من الإبل : المهمة . والمياهل بمناء ؛ استعار ذلك للذين تفرقت كلمتهم وقشقت
شملهم .

(٤) الطلاحي : الإبل التي تشكى بطونها من أكل الطلع، أراد به هنا القوم الذين لا راعي لهم
يصدمهم عما يضرهم، ولا قانون يمنعهم من أن يردوا مراد أسومهم، فهم يجرؤن ما يتقدم إليه الشهوة
كالإبل التي تأكل من الطلع الذي يؤذيها حتى تشكى بطونها .

(٥) متونة : من عفت الثروس، أي حبسه بالثنان .

(٦) في الأصل : « خادي » وهو تحريف .

(٧) ضرب المدي، يريد : بين الغاية .

- الهدى ، وأبان الصورى ؛ وأمن المسالك والمطارج ، وسهل المبارك والمهاج ، وإلا
بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله تعالى ، وشرم وجه التفاف لوجه الله سبحانه ،
وجدد أنف الفتنة في ذات الله ، وتقل في عين الشيطان بعون الله ، وصدد بملء
فيه ويده بأمر الله عز وجل ؛ وبعد ، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك
في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن استقألوني لك ، وأشاروا عندى بك ، فانا واضع
يدى في يدك ، وصائرلى رأيهم فيك ، وإن تكن الأخرى فأدخل في صالح ما دخل
فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والقائض لمخالفهم ، والمرشد لضآلتهم ،
والرادع لقوايتهم ، فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على
الحق ، ودعنا تقيض هذه الحياة بصدد بريئة من الليل ، سليمة من الضغائن
والحقد ، وتلق الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن ؛ وبعد ، فإنا نسألك عمامة فارقي
بهم ، وأحسن عليهم ، وإن لم ، ولا تُسقي نفسك بنا خاصة منهم ، وأترك ناجم الحقد

(١) في الأصل : « الصورى » بالفتح المعجمة ، وهو تحريف . والصورى بضم الصاد المهملة : جارة
مركومة في الطريق تجعل أعلاما .

(٢) في الأصل : « المناجج » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن صحيح الأعمش .

- (٣) في الأصل : « واستقألوني » ؛ ولم تحذف عليه فيا لهينا من كتب القصة إلا فعلا لازما ،
نقول : استقأ فلان لى إذا أعطاك مقادته ، أو متعأيا الى مفعول من القود يفتح القاف والواو ، وهو
القصاص .

(٤) الخافق : جمع مقلق بكسر الميم ، والمقلق : ما يثقل به الباب ، كالمقلق ؛ كما في شرح القاموس
مادة « مقلق » قلان من الزايق .

- (٥) كذا في الأصل ، وهذا القفظ مكررمع ما يأتي في القصة التي بعده مع اختلاف بينهما بالإفراد
والجمع ، ولم يرد في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة .
(٦) الشامة بضم الشاء : واحدة الشام ، وهو نبت ضعيف له غوص ، وربما حشيت به وسمه به
نحاص البيوت ، ويشبه به في الضعف .

(٧) في الأصل : « تنول » ولم نجد من صائيه ما يناسب المقام ، والتصويب عن صحيح الأعمش .

حَصِيدًا، وطائرَ الشَّرِّ واقِعًا، وبَابَ الْفِتْنَةِ مُغْلَقًا، فَلَا قَالَ وَلَا قِيلَ، وَلَا لَوْمْ وَلَا تَعْنِيفَ، وَاقْعُدْ عَلَى مَا قَوْلَ شَمِيدٍ، وَبِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ بِصِيرٍ .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبتُ للنهوض قال عمر رضي الله عنه : كُنْ لَدَى الْبَابِ هُنْتَهَ فِي مَعْلَكِ دُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، فَوَقَفْتُ وَمَا أَدْرَى مَا كَانَ بَسْدِي إِلَّا أَنَّهُ لَحَقَنِي بُوْجَهٌ يُبْدِي تَهْلًا، وَقَالَ لِي : قُلْ لِمَلِي : الرُّقَادُ حَمَلَهُ، وَالْمَوَى مَفْحَمَهُ، (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ)، وَحَقُّ مُشَاعٍ أَوْ مَقْسُومٍ، وَنَبَأٌ ظَاهِرٌ أَوْ مَكْتُومٍ، وَإِنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِيِّ مِنْ مَنَحِ الشَّارِدِ تَأَلَّفًا، وَقَارِبَ الْبَعِيدِ تَطَلُّفًا؛ وَوَزَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ، وَلَمْ يَخْطِ خَبْرَهُ بِمِيزَانِهِ؛ وَلَمْ يَحْمِلْ قَدْرَهُ مَكَانَ شِعْرِهِ دِينًا كَانَ أَوْ دُنْيَا، ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ مُسْتَعْمَلٍ فِي جَهْلٍ، وَلَا خَيْرَ فِي مَعْرِفَةٍ مَشْوِيَةٍ بِنُكْرٍ، وَلَسْنَا بِكَلْبَةٍ دَفَعُ الْبَعِيرَ بَيْنَ السَّجَانِ وَاللَّذَنِ، وَكُلُّ صَالٍ فِيْئَارِهِ، وَكُلُّ سَلِيلٍ يُؤَالِي قَرَارِهِ؛ وَمَا كَانَ سَكُوتُ هَذِهِ الْمَصَابِيَةِ إِلَى هَذِهِ النِّهَايَةِ لِي وَشَيْءٍ، وَلَا كَلَامُهَا الْيَوْمَ لِقَرْنٍ أَوْ رَفْقٍ، وَقَدْ جَدَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَقَبُّ كُلَّ ذِي كِبَرٍ، وَقَصَمَ ظَهْرَ كُلِّ جَبَّارٍ، وَقَطَعَ لِسَانَ كُلِّ كَذُوبٍ «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» مَا هَذِهِ الْخُتْرَانَةُ [التي] فِي قِرَاشٍ

(١) فِي الْأَسْلِ : «تَجِب» فِي صَحِّ الْأَعْنَى : «تَجِب» وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلَيْهِمَا؛ وَمَا أُتِيَتْهُ مِنْ شَرْحِ نَجِجِ الْبَلَاةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ٢ ص ٩٤ طبع مطبعة الحلبي .

(٢) الرِّفْعُ يَجْعَلُ الرِّاءَ وَضْعًا، أَصُولُ الْمُتَضَمِّينَ مِنْ بَاطِنٍ؛ وَكَانَ وَجْهُ التَّشْبِيهِ فِي ذَلِكَ أَلَسَةً وَضْعَةَ الْمَرْقَةِ .

(٣) فِي الْأَسْلِ : «الرَّاسُ» وَمَا أُتِيَتْهُ مِنْ صَحِّ الْأَعْنَى ج ١ ص ٢٤٢ إِذْ يُدْعَى بِمَعْنَى .

(٤) الَّتِي بِكسر الشَّيْنِ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ . فِي الْأَسْلِ : «دَوَى» بِالْمِيمِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) الْخُزْرَاءُ : الْكَبِيرُ .

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَائِقَةٌ مِنَ الْأَسْلِ، وَقَدْ أُتِيَتْهَا مِنْ صَحِّ الْأَعْنَى .

(٧) فِرَاشُ الرَّاسِ : عِظَامُ دَقَاقِ تَلِ الْقَصْفِ .

- رَأْسِكَ ؟ ما هذا الشَّجَا المَعْرُضُ في مدارج أُنْهَاسِكَ ؟ ما هذه الْقَذَاةُ التي تَفْشَتْ
 نَاطِرَكَ ؟ وما هذه الْوَحْرةُ ^(١) التي أَكَلَتْ شَرَّ سَيْفِكَ ؟ وما هذا الذي لَيْسَتْ بِسَبِبه
 جِلْدُ الثَّيْرِ ، وَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بِالشَّحْنَاءِ وَالنُّكْرِ ، وَلَسْنَا فِي كِسْرِيَّةٍ كَسْرِي ، وَلَا فِي قَيْصَرِيَّةٍ
 قَيْصَر ، تَأْتِلُ لِإِخْوَانِ فَارَسٍ وَأَبْنَاءِ الْأَصْفَرِ ؛ قَدْ جَطَّهَمُ اللَّهُ جَزَا لِسُيُوفِنَا ، وَخَرِثَةً
 لِرِمَاحِنَا ، وَبَرَّحَى لِعِمَامَتِنَا ، وَتَبَعَا لِسُلْطَانِنَا ؛ بَلْ نَحْنُ تُورْنِيَّةٌ ، وَضِيَاءُ رِسَالَةٍ ، وَثَمَرَةٌ
 حِكْمَةٍ ، وَأَثَرَةٌ رَحْمَةٍ ، وَعُتُونُ نِعْمَةٍ ، وَنُظِّلُ عِصْمَةٍ ؛ بَيْنَ أُمَّةٍ مَهْدِيَّةٍ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ ،
 مَأْمُونَةٍ عَلَى الرَّقِّ وَالْفَتْقِ ، لَهَا مِنْ اللَّهِ إِبَاءٌ آتِيٌّ ، وَسَاعِدَةٌ قَوِيٌّ ، وَيَدٌ نَاصِرَةٌ ، وَمَعِينٌ
 نَازِلٌ ؛ أَنْظِنُ ظَنًّا يَا عَلِيُّ أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَثَبَّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَنَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا
 لَهَا ، أَوْ مُسْلِطًا ^(٢) طَيْفًا ؟ أَتَرَاهُ حَلَّ عُقُودَهَا [وَأَحْلَالَ عَقُولَهَا] ؟ أَتَرَاهُ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ،
 وَوَزَنَهَا كَيْلًا ، وَيَقَطَّعَهَا رُقَادًا ، وَصَلَّاحَهَا فُسَادًا ؟ لَا وَاقَهُ ، سَبَلًا عَنْهَا فَرَّقَتْ لَهُ ،
 وَتَطْلُنُ لَهَا فَاصِّبَتْ بِهِ ، وَمَالَ عَنْهَا فَالَتْ إِلَيْهِ ، وَأَشْمَازَ دُونَهَا فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ، حَبِوَةً
 حِبَابِ اللَّهِ بِهَا ، وَطَاقِبَةً بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةً سَرَّ بِلَهْ جَاهِلَهَا ، وَيَدًا أَوْجَبَ عَلَيْهِ شُكْرَهَا
 وَأُمَّةً نَظَرَ اللَّهُ بِهِ لَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَرَأَيْتَ بِمِبادِهِ ، يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ
 الْحَيَرَةُ ، وَإِنَّكَ بَحِيثٌ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْلِنِ الرِّسَالَةِ ، وَلَا يُجْصَدُ
 حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ لَكَ مِنْ يَزَاحِمِكَ بِمَنْكِبِ أَخْضَمٍّ مِنْ مَنْكِبِكَ ، وَقُرْبِ أَمْسٍ
 مِنْ قُرَابَتِكَ ، وَسُنٍّ أَعْلَى مِنْ سُنَّتِكَ ، وَشَيْئَةٍ أَرْوَعَ مِنْ شَيْئَتِكَ ، وَسِيَادَةٍ لَهَا أَصْلٌ
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِرْعٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفَ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جِهْلٌ وَلَا نَاقَه ، وَلَا تُدَكِّرُ فِيهَا

(٨٥)

- (١) الوحرة : ضرب من الطَّاءِ ، وهي صغيرة حمرَاءَ تَمْدَرُ فِي الْجَاهِلِينَ مَا ذَنْبٌ دَقِيقٌ تَصْعَقُ بِهِ إِذَا عُدَتْ ،
 وهي أَسْبَغُ الطَّاءِ لَا تَقَطُّ طَبَايًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا شَحْنَهُ وَلَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا دَقَّ بَطْنُهُ ، وَزَيْجًا هَلَكٌ ، شَبَّ
 الْعِدَاةُ وَالْقُلُوبُ بِهَا . قَالَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « وَرَس » : الْوَسْ : غَشَّ الصَّدْرَ وَخَلَّاهُ ، وَنَحَالُ : إِنْ أَصْلُ
 هَذَا مِنَ الْهَوْرِيَّةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْوَحْرَةُ ، ثُمَّ قَالَ : شَبَّوْا الْعِدَاةَ وَزَيَّجُوهُنَّ بِالصَّدْرِ وَالزَّاقِ الْوَحْرَةَ بِالْأَرْضِ .
 (٢) التَّكَلُّفُ عَنْ صَبْحِ الْأَعْيُ .

في مقدِّمة ولا ساقه ؛ ولا تَضْرِب فيها بذراع ولا إصْبَح ، ولا تَخْرُج منها بِبَازٍ
 ولا هَيْع ؛ ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلاقة نفسه
 وحبية سره ، ومقزَع رأيه ، وراحة كفه ، ومَرْمَق طَرَفه ؛ وذلك كله بِمَحْضِ الصادق
 والوارد من المهاجرين والأنصار شهرةً مغنية عن الدليل عليه ، ولعمري إنك أَقْرَبُ
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، ولكنه أَقْرَبُ منك قرابة ، والقرابة لِم
 ودم ، والقرابة نفس وروح ، وهذا فرق عَرَفه المؤمنون ، ولذلك صاروا إليه
 أجمعون ؛ ومهما شككت في ذلك فلا تُشْك أن يد الله مع أجماعه ، ورضوانه لأهل
 الطاعة ، فأدخل فيها هو خير لك اليوم وأخف فدا ، وألفظ من فيك ما يأتى
 بها لك ، وأفئت بحبمة صدرك عن هاتك ، فإن يك في الأمل طول ، وفي الأجل
 فسحة ، فسلكه مريثاً أو غير مريء ، ومنتشربه هنيئاً أو غير هنيء ، حين لا راد
 لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يَمُص إهابك ،
 ويترك أدعك ، ويَزِي على هدبك ، هنالك تهرح السن من ندم ، ويترجع الماء
 ممزوجاً بدم ، وحينئذ تأمى على ما مضى من عسرك ، ودارج قوتك ، فتود أن
 لو سقيت بالكأس التي أبيتها ، ورُددت إلى حالتك التي استغويتها ، وقه تعالى فينا
 وفيك أمر هو بالله ، وغيب هو شاهده ، وطعنه هو المرجو لسرأتها وضراتها ، وهو
 الولي الحميد ، النفور الودود .

(١) البازل والبرزل : الجبل أو التلة في التاسع من سنه ، وليس بعده من تسمى . والمعجم يضم الماء .

وضع اليا . : التصيل في آخر التاج .

(٢) القرية : الرويبة .

(٣) في الأصل : « هنيئاً مريثاً » وقوله : « هنيئاً » زيادة من التاج كما يدل على ذلك سياق ما بعده ،

وانظر صبح الأضنى ج ١ ص ٢٤٣ .

قال أبو عبيدة : فشيت مرقلا أنوء كأنما أخطو على رأسي فرقا من الفرقة ،
وشققا على الأئمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلاه ، فأبنته بتي كله ،
وبرئت إليه منه ، ورقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله حياها ؛ قال :
حلت معلولة ، ولت محروطة ، وأنشأ يقول :
(١)

إحدى ليالك فهيمى هيمى * لا تسمى الليلة بالتعريس

ثم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفاس القوم يحسون به ، ويضطربون عليه ؟
قال أبو عبيدة : قلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاض حق الدين ، ورائق
حق المسلمين ، وصادق ثمة الأئمة ، يعلم الله ذلك من جُلجلان قلبي ، وقرارة نفسي ؛
فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قمودي في كسر هذا البيت قصدا
لتحلاف ، ولا إنكارا للعرف ، ولا زراية على مسلم ، بل لما وقذني به رسول الله
صل الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده ، وذلك أنني لم أشهد
بعده مشهدا إلا جدد علي حزنا ، وذكرني شيئا ، وإن الشوق [إلى] الحاق به كان
عن الطمع في غيره ، وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تهتزق [منه]

(١) المزمل : الخفف ؛ يريد أنه خرج مستغنيا .

(٢) يقال : أبنته السر ، إذا أظنت عليه .

(٣) المحروطة : من الأطواء ، وهو ركوب الرأس والتضم على الأمور من ضرورية ؛ والمحروطة :
السريسة .

(٤) هو مثل يضرب لرجل يأتي الأمر يحتاج فيه إلى الجهد والاجتهاد . والميس بفتح الهاء : السير مطلقا .

(٥) أراد بالاضطجاع هنا : الأطواء والاضطجال ؛ وقد استأذنه من قولم : اضطجع الشيء ، إذا جعله

تحت شبعه ، وهما ضداه . وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : « يضطجعون » ؛ والاضطجانان :
الاضطجال أيضا .

(٦) جليل القلب : سويذاقه .

(٧) وقد : تركه طيلا .

رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله، وسلم لعلمه ومشيقته، وأمره ونهيه؛ على أنى ما علمت أن التظاهر على واقع، ولي عن الحق الذى سبق لى دافع، وإذ قد أقيم الوادى بى، وحشد النادى من أجل، فلا مرحبا بما ساء أحدا من المسلمين وسرتى، وفى النفس كلام لولا سابق عقد، وسالف عهد، لشقيت نفسى بخصى وبخصى، وخضت لجنته بأخصى ومقرى، ولكنى ملجئ إلى أن ألقى ربى، وعنده أحسب ما نزل بى، وإنى غاد إلى جماعتكم، مبايع لصاحبكم، صابر على ما ساءنى وسركم، ^(١) «يَقْضِ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا».

قال أبو حيلة : فعلت إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فقصصت القول على خرمه ^(٢)، ولم أحتل شيئا من حلوه وممره، وبكرت فؤدة إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ إذا على عتريق الجماعة إلى أبى بكر رضى الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جيلنا ، وجلس زمينا ، واستأذن للقيام لفضى ، وتبعه عمر مكرما له ، مستنيرا لما عنده ، فقال على رضى الله عنه : ما فعلت من صاحبكم كارها له ، ولا آيته فرقا ، ولا أقول ما أقول تملأ ، وإنى لأعرف منتهى طرى ، وعط قدسى ، ومترع قومى ، وموقع سهمى ، ولكن قد أزممت على فامى ثقة برى فى الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضى الله عنهما : كفيك غريك ، وأستوقف سرك ؛ ودع العصا يلحائها ، والدلاء على رشاها ، فإنا من خلفها وورائها ؛ إن قدحنا أورينا ، وإن

(١) كذا فى صحيح الأصبغى ، وفى الأصل : « ما ترك لى » .

(٢) جل خرمه ، يريد : على أسفه ؛ وأصل لخر : الكسر المثنى فى جله أرتوب ، يقال : اطر الخرب على ضروره ، أى على مكاسره .

(٣) التثبيت بتشديد الميم : القهقري ، ودياه كرم .

(٤) يقال : أزم القوس على فأس الجلام ، أى عض وأمسك ؛ يريد أنه كتم ما فى نفسه من التكوين ، ولم يبع بما يحاييه من الألم .

- مَتَحْنَا أَرْوِينَا، وَإِنْ قَرَحْنَا أَدَمِينَا، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَمَانِيْلَكَ الَّتِي لَغَزَتْ فِيهَا عَنْ صَدْرِ أَكِلٍ بِالْجَوَى، وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ [عَلَى] مَقَالَتِكَ مَا إِنْ سَمِعْتَهُ نَدِمْتَ عَلَى مَا قُلْتَ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَعَلْتَ فِي كَسْرِ يَتِكَ لِمَا وَقَدَّكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَقْدِهِ، فَهُوَ وَقَدَّكَ وَلَمْ يَقْدُ غَيْرَكَ؟ بَلْ مُصَابُهُ أَعْمُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ حَقِّ مُصَابِهِ أَلَّا تَصْدَعَ تَشَمُّلَ الْجَمَاعَةِ بِفُرْقَةٍ لَا حِصَامَ لَهَا، وَلَا يُؤْمِنُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ فِي بَقَائِهَا، هَذِهِ الْعَرَبُ حَوْلَنَا، وَاللَّهُ لَوْ تَدَاعَتْ عَلَيْنَا فِي صَبِيحِ نَهَارٍ لَمْ تَلْتَقِ فِي مَسَائِهِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّ الشَّوْقَ إِلَى الْفَصَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ، فَمِنْ عَلَامَةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ نُصْرَةُ دِينِهِ، وَمُوَازَرَةُ أَوْلِيَائِهِ وَمَعَاوَنَتُهُمْ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ عَكَفْتَ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ تَجْمِيعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهُ، فَمِنْ الْمَكُوفِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ النَّصِيحَةُ لِعِبَادِ اللَّهِ، وَالرَّائِيَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، وَبَثْلُ مَا يَصِلُحُونَ بِهِ، وَيُرْشِدُونَ عَلَيْهِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ التَّظَاهِيرَ وَقَعَ عَلَيْكَ، وَأَيُّ حَقٍّ لُفَّ دَوْلَتُكَ؟ قَدْ سَمِعْتَ وَعَلِمْتَ مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ بِالْأَمْسِ سِرًّا وَجَهْرًا، وَتَقَلَّبَتْ عَلَيْهِ بَطْنًا وَظَهْرًا، فَهَلْ ذَكَرْتُكَ، أَوْ أَشَارَتْ بِكَ، أَوْ وَجَدْتَ رِضَاهِمَ عَنْكَ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِلِسَانِهِ: إِنَّكَ تَصْلُحُ لِهَذَا الْأَمْرِ، أَوْ أَوْمَأَ بَعَيْنَهُ، أَوْ هَمَّهِمْ فِي نَفْسِهِ؟ أَنْظِرْ أَنْ النَّاسَ ضَلُّوا مِنْ أَجْلِكَ، وَعَادُوا كُفْرًا زَهْدًا فِيكَ، وَبَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى تَحَامُلًا عَلَيْكَ؟ لَا وَاللَّهِ، لَقَدْ جَاءَنِي عَقِيلُ بْنُ زِيَادٍ الْخَزَرَجِيُّ [فِي قَرْنٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمَعَهُمْ شُرَحْبِيلُ بْنُ يَعْقُوبَ الْخَزَرَجِيُّ] وَقَالُوا: إِنْ طَلَبْنَا يَنْتَظِرُ الْإِمَامَةَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَوَّلُ بَنِي هَارِثَةَ، وَيَنْكُرُ عَلَى مَنْ يَعْقِدُ الْخِلَافَةَ، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِمْ،

(١) كذلك ورد هذا الفصل بتشديد التين في أساس البلاغة .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى، إذ بها تستقيم العبارة .

(٣) المهمة : الكلام الذي لا يصرح به .

(٤) التكلة من صبح الأعشى ج ١ ص ٢٤٦ وما بعدها يقتضى إثباتها .

ورددتُ القول في محوهم حين قالوا : إنه يَنْظُرُ الْوَحْيَ ، وَيَتَوَكَّفُ مَاجَاةَ الْمَلِكِ ،
 فقلت : ذلك أمرٌ طواه الله تعالى بعد نبهه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكلن الأمر
 معقوداً بالأسوطة^(٢) ، أو مشدوداً بأطراف ليطه^(٣) ؟ كلا والله ، لا نعلمه بحمد الله إلا وقد
 أفصحته ، ولا شوكة إلا وقد تفتحت ، ومن أعجب شائك قولك : لولا سالف
 عهد ، وسابق عقد ، لشفيت غيظي ، وهل ترك الدين لأهله أن يسفوا غيظهم
 بيد أو لسان ؟ تلك جاهلية قد استأصل الله شائتها ، واقتلح جرثومتها ، وهوى ليها ،
 وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والرحمان ، والهدى والبرهان ، وزعمت أنك ملجم ،
 ولمعري لك من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق
 فاه ، وجعل سعيه لما وراءه .

١٠ فقال علي رضي الله عنه : مهلاً مهلاً يا أبا حفص ، والله ما بدلت ما بدلت وأنا
 أريد نكته ، ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتغي حولا عنه ، وإن أخسر الناس صفقة
 عند الله من آثر النفاق ، وأحتضن الشقاق ؛ وفي الله سلوة عن كل حادث ، وطيه
 التوكل في كل الحوادث ؛ إرجع يا أبا حفص إلى مجلسك نافع القلب ، مبرور الغليل ،
 فصيح اللسان ، فصيح^(٥) الألبان ، فليس وراء ما سمعت قلت إلا ما يشد الأزر ،
 ويحيط الوزر ، ويضيق الإصر ، ويجمع الألفة بمشقة الله وتوفيقه .

١٥ قال أبو عبيدة رضي الله عنه : فأنصرف علي وعمر رضي الله عنهما ، وهذا
 أصعب ما مر علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) يتوكل : يفتخر ، ويقال : فلان يتوكل الأخبار ، نحو يستغل الأخبار .

(٢) الأسوطة : طقعة تحمل إذا جلب أحد طرفيها .

(٣) اللطية : واحد اللط ، وهو قشر القصب .

(٤) هور : أذهب . (٥) اللبان : العود .

- ومن كلام عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهو مما اتصل إلينا بالرواية الصحيحة، والأسانيد الصريحة، عن محمد بن أحمد ابن [أبي] المنثي^(١)، عن جعفر بن عون، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنه بلغها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضي الله عنه، فأرسلت إلى أزقة من الناس، فلما حضروا أسدلت أستارها، وعلت وسادها، ثم قالت: أي وما أبيه! أبي والله لا تطوه الأيدي، ذاك طود منيف، وظل مليد، هيات، كذبت القنون، ألتج إذا أكديتم، وسبق إذ وتيم "سبق الجواد إذا استولى على الأميد" فتي فريش ناشتا، وكهفها كهلا، فك عانيها، ويريش مملقها، ورباب شعبا، ولم شعبا، حتى حليت قلبها، ثم استشرى في دين الله، لما برحت شكيمة في ذات الله عز وجل حتى أخذ فناءه مسجدا يحيي فيه ما أمات المبطون، وكان رحمه الله غرير الدعة، وقيد الجوانح، شحي النسيج، فانطقت إليه نسوان مكة ولداها يسخرون منه، ويستهنون به، (الله يستهنون بهم ويملحهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالا قريش، فغنت قسيها، وفوقت سهاها، وامتلؤ غرضا لما فلوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة، ومر على سياها، حتى إذا ضرب الدين بيرانه، وألقى برصكه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجا، ومن كل فرقة أرسالا

- (١) كذا ورد هذا الاسم في تهذيب التهذيب لابن جرأئنا الكلام على جعفر بن عون، والذي في الأصل: «ابن المنثي»، ولم تقف عليه فإلينا من الكتب المقترة في أسماء الرواة.
- (٢) في اللسان مادة «كلا» «ونجح» بدون همز.
- (٣) عليه: استطه.
- (٤) في الأصل وصح الأضي: «واكلوه» بالنون؛ وهو محذوف صواب ما أثبتنا انظر اللسان مادة «منح».

وأشتاتا، اختار الله لنبه ما عنده، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نصب
 الشيطان رواقه، ومد طنبه، ونصب جباله، وأجلب بحبله ورجله، واضطرب
 جبل الإسلام، ومرج عهده، وماج أهله، وبني الفوائل، وظنت رجال أن
 قد أكتسب نزها، ولات حين الذي يرجون، وأنى والصديق بين أظهرهم؟ فقام
 حاسرا مشمرا، بجمع حاشيته، ورقع قطريه، فرد رسن الإسلام على غريبه، ولم
 شعثه بعلبه، وإقام أوده ببقائه، فابذعر النفاق بوطئه، وانتاش الدين فتعشه، فلما
 أراح الحق على أهله، وقرز الروس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، أنه منيته،
 فسدت ثلثته بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمصلحة، ذاك أبن الخطاب، لله ذر
 أم حلفت له، ودرت عليه! لقد أوحدت به، ففتح الكفرة وديحها، وشرذ الأشرار
 شذر مذر، وبسج الأرض وبسجها، فقامت أكلها، ولقت جنيها، تراه
 وبهيف عنها، وتصدى له وباباها، ثم وزع فيها فيتها، ودعها كما صعبا، فأروني
 ما تريا بون؟ وأى يومى أبى تتقيمون؟ أيوم إقامته إذ علل فيكم، أم يوم ظلمته وقد
 نظر لكم؟ أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

ثم أبلت على الناس بوجهها فقالت: أنشدكم الله، هل أنكرتم مما قلت شيئا؟

قالوا: اللهم لا.

(١) في صبح الأضنى ج ١ ص ٢٤٨: «ضرب»؛ والمضى يستقيم على كلا الرايتين.

(٢) كتاب في الأصل؛ وألقى في البيان مادة «كتب» «أكتبت أطاعهم»؛ وفي صبح الأضنى
 ج ١ ص ٢٤٨: «أكتبت أطاعهم نزها»، والمضى يستقيم على كل من هذه الروايات الثلاث.

(٣) في الأصل: «حلت به»؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما سيأتى في شرحه لهذه الكلمة.

(٤) في صبح الأضنى ج ١ ص ٢٤٨: «شبابا»؛ والمضى يستقيم على كلا الرايتين.

ذكر شرح غريب رسالتها رضى الله عنها

- الْأَزْفَلَةُ : الجماعة . وَمَعَطَوْهُ : تَنَاوَلُوهُ . وَالطُّودُ : الْجِبَلُ . وَالْمُنَيْفُ : الْمَشْرِفُ .
وَأُكْدَيْتُمْ : خِيَمَ وَيُسَّ مِنْ خَيْرِكُمْ . وَوَيِّتُمْ : فَتَرْتُمْ وَضَعْتُمْ . وَالْأَمْدُ : الْغَايَةُ .
وَبَرِيَشُ : يُعْطَى وَيُفْضَلُ . وَالْمُلُوقُ : الْفَقِيرُ . وَرَبَّابٌ : يَجْمَعُ . وَالشَّعْبُ : الْمُنْفَرَقُ .
وَيَلْمُ : يَضُمُّ . وَاسْتَمَشَرَى : جَدَّ وَأَنْكَشَ . وَالشَّكِيمَةُ : الْأَهْثَةُ وَالْحَيْثَةُ . وَالْوَقِيدُ :
الْعَلِيلُ . وَالْجَوَانِحُ : الضُّلُوعُ الْفِصَارُ الَّتِي تَقْرُبُ مِنَ الْقَوَادِ . وَالشَّجِيُّ : الْحَزِينُ .
وَالشَّيْخُ : صَوْتُ الْبِكَاةِ . وَانْمَطَفَتْ : انْثَنَتْ . وَامْتَلَوْهُ : مَلَأُوهُ . وَالْفَرَضُ :
الَّذِي يُقْصَدُ لِلزَّمَنِ . وَقَلَّوْا : كَسَرُوا . وَالصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ الْمُنْسَاءُ . وَقَصَفُوا :
كَسَرُوا . وَمَيْسَاوُهُ : شِدَّتُهُ ، وَالسَّيْسَاءُ : عَظْمُ الظَّهْرِ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُهُ مَثَلًا لِشِدَّةِ
الْأَمْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :^(١)

- لقد سملت قيس بن عيلان حربنا * على يابس السَّهْمَاءِ مَحْلُوبِ الظَّهْرِ
وَالْجِرَانُ : الصَّدْرُ . وَرَسَتْ : ثَبَتَتْ . وَصَرَجَ : اخْتَلَطَ . وَمَا جَ أَهْلُهُ :
اضْطَرَبُوا وَتَنَازَعُوا . وَبُنَى الْغَوَائِلُ ، مَعْنَاهُ وَطَّلِبَ الْبَلَايَا . وَأُكْتُبَ : قَرَّبَ .
وَالنَّهْزُ : اخْتِلَاصُ الشَّيْءِ وَالظُّفْرُ بِمَبَادَرَةٍ . وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَطْلُبُونَ ، مَعْنَاهُ :
وَلَيْسَتْ السَّاعَةُ حِينَ ظَفَرِهِمْ . وَقَوْلُهُمَا : بَجَمْعٍ حَاشِيَتِهِ وَرَقِعَ قُطْرِيهِ ، مَعْنَاهُ تَحَزَّمَ^(٢)

- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَبَارَةُ اللِّسَانِ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ : أَيْ نَصِيحُهُ هَذَا لِسَامِ مَلَاهِمُ وَأَهْوَالِهِمْ
وَهُوَ اضْطِرَالٌ ، مِنْ الْحَقِّ أَمْ . (٢) هُوَ الْأَخْطَلُ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « سَمِ » .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « رَيْنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ بِخِلَافِ الْوِزْنِ وَالْمَعْنَى ؛ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ السَّائِرِ .
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالَّذِي سَبَقَ فِي الْخَطْبَةِ : « يَرِيحُونَ » .
(٥) فِي الْأَصْلِ : « الشَّبَاعَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

- (٦) بَارَةُ الْأَصْلِ : « وَقَوْلُهُمَا : فَرَضَ حَاشِيَتِهِ ، وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَالتَّصْوِيبُ
الْمَكْسُورُ . لِيَوَافِقَ مَا مَرَّ فِي الْخَطْبَةِ ، وَنَصَحَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « قَطَرٌ » : قَدْ جَمَعَ حَاشِيَتِهِ ، وَضَمَّ قَطْرِيهِ »
وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ : جَمَعَ جَانِبَيْهِ عَنِ الْاِخْتِارِ وَالْتِهَادِ وَالْفَرْقِ .

للأمر وتأهب له . والقَطْرُ : الناحية ، والطَّبُّ : الدواء . والأَوْدُ : العِوَجُ .
والثَّقَافُ : غيومُ الرياح وغيرها . وأَبْدَعَرَّ : كَثُرَ . وانتاش الدِّينَ ، أى أزال عنه
ما يُخَافُ عليه . ونَمَّشَ : رَفَعَهُ . وأراح الحقُّ على أهله ، أى أطاق الزكاة التي
مَنَعَهَا العرب فقاتل عليها حتى رُدَّتْ إلى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقَرَّرَ
الرُّعُوسَ على كواهلها ، معناه وَفَّى المسلمين القَتْلَ . والكاهِلُ : أعلى الظهر وما يتصل به .
وحَقَّنَ الدَّمَاءَ في أَهْبِئَا ، معناه أنه حقن دماء المسلمين في أجسادهم . والأَهْبُ :
جمع إهاب ، وأصل الإهاب الحِلْدُ ، فَكُنْتُ به عن الجسد . وقولها : لله دَرَأٌ (٨٨)
حَقَلَتْ له ، أى جمعت له اللبن . وقولها : أَوْحَدْتُ به ، معناه جاءت به منفردا
لا نظير له . وقولها : فَصَنَعَ الكُفْرَةَ ، معناه أَذْنًا . ودَيَّجَهَا : صَفَرَهَا ^(١١) . وبَعَجَ
الأَرْضَ وَبَسَّجَهَا ، معناه شَقَّهَا واستقصى ظِلَّهَا ^(١٢) . وشَدَّرَ مَدْرَ ، معناه خَرِقًا ، يقال :
شَدَّرَ مَدْرَ ، وشَدَّرَ بَنَرًا ، بمعنى واحد . وقولها : حَتَّى قَامَتْ أَكْلُهَا ، معناه أُنْجِرَتْ
خَبَزَهَا . وَرَأَمَهُ : تَعَطَّفَ عليه . وَتَعَبَّدَى له : تَعَرَّضَ له .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه ما كَتَبَ به إلى
معاوية بن أبي سفيان جوابا عن كتابه — وهو من محاسن الكتب — كتب
رضي الله عنه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكُّرُ فيه أصطفاه الله تعالى عبدا صلى الله عليه وسلم
لبيته ، وتأييده إياه بمن أيده به من أصحابه ، فلقد خَبَأَ لنا الدهرُ منك عَجَبًا ،

(١) كذا في الأصل ؛ ولم تقف فيها لدينا من كتب اللغة على تصدية هذا الفعل بالباء .

(٢) في الأصل : « طبا » وهو تحريف ؛ وذكر في اللسان مادة « بَج » في تفسير هذه الكلمة
أن المعنى تهرأطها وأذلم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال المراك .

(٣) في الأصل : « جاء » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به العبارة ، والصواب ما أثبتنا كما في صحيح الأعمش

- أَفَلَيْفَقْتُ تُخَيِّرُنَا بِإِلَهِهِ عِنْدَنَا؟ فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَخَلْفِ التُّرَاكِ حَجَرًا، أَوْ دَاعِي مَذَرَةٍ إِلَى النُّضَالِ؛ وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ أَعْتَرَاكَ كُلُّهُ، وَإِنْ تَقَصَّ لَمْ يَلْحَقْكَ قُلُّهُ؛ وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِلَ وَالْمَسْئُولَ؟ وَمَا الطَّلَاقُ وَأَبْنَاءُ الطَّلَاقِ وَالْمُتَمَيِّزِينَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟ هِمَاتٌ لَقَدْ «حَقَّ قِدْحُ لَيْسَ مِنْهَا»، وَطَلْفٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ هَا، أَلَا تَرَى عَلَى ظَنِّكَ، وَتَعْرِيفُ قُصُورِ ذَرِّكَ، وَتُتَأَثَّرُ حَيْثُ أَتَرَكَ الْقَدْرَ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لِلْهَابِ فِي الْيَدِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْفَضْلِ، أَلَا تَرَى — فَيَرَّحُ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَهْلَتْ — أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ شَهِيدُنَا (هُوَ حِمْرَةٌ) قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاحِهِ عَلَيْهِ؛ أَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ — وَلِكُلِّ فَضْلٍ — حَتَّى إِذَا قِيلَ بِأَحَدِنَا مَا قِيلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ (هُوَ جَعْفَرٌ) وَلَوْلَا [مَا] نَبَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيَةِ الْمَرَّةِ نَفْسَهُ لَذَكَرْنَا كُرُفَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تُحْجَّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ، فَدَعِ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الدُّنْيَةُ فَوَانَا

- ١٥ (١) فِي الْأَصْلِ: «بُغْضٌ»؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .
 (٢) فِي الْأَصْلِ: «وَالْمُتَمَيِّزِينَ»؛ وَهُوَ مَحْرُوفٌ لَا تَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .
 (٣) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَخْتَرِقُ قِيْلَةَ لَيْسَ مِنْهَا، أَوْ يَتَجَدَّ بِمَا لَيْسَ فِيهِ؛ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ قَدَاحِ الْمِيسَرَةِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ أَعْوَاتُهُ وَأَجَالُهُ الْمَقْبُوضُ نَجَحَ لَهُ صَوْتٌ يَخَالِفُ أَمْوَاجَاتِهَا .
 (٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَالْقَوْلُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طبع بيروت: «الْقَصْدُ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَى كَلَامِ الرَّابِعِينَ .
 (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَائِقَةٌ مِنَ الْأَصْلِ؛ وَالْيَقِينُ يَقْتَضِيهَا .
 (٦) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١٩ طبع بيروت: «الزُّمَّةُ»؛ وَالزُّمَّةُ الصِّيدُ تَرْبِيَهُ قَصْدُهُ، وَالْمُرَادُ بِهَا الدُّنْيَا؛ وَقَالَ شَارِحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ «مَالَتْ بِهِ» مَا نَصَهُ: «وَمَالَتْ بِهِ»: خَالَقَتْ قَصْدَهُ قَاتِيَهَا، مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ أَصْحَحَ فَرَضَهُ قَالَ مِنَ الْإِسْتِغْنَاءِ لِقَوْلِهِ .

صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعا قديم عزنا، وعادى طولنا على قومك
 أن خلطناهم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا فضل الأكماء ولستم هناك، وأنى يكون ذلك
 كذلك؟ ومنا النبي^(٢) ومنكم المكذب^(٢)، ومنا أسد الله^(٢)، ومنكم أسد الأحلاف^(٢)، ومنا سيدا
 شباب أهل الجنة، ومنكم صبيبة النار^(٢)، ومنا خير نساء العالمين^(٢)، ومنكم حمالة الحطب^(٢)؛
 فإسلامنا قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع، كتاب الله يجمع لنا ما شددنا و[هو] قوله
 سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ
 أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فنحن
 حرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة؛ ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم
 السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوا عليهم، فإن يكن الفلق به فالحق لنا
 دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم، وزعمت أني لكل الخلفاء حسنة،
 وفضل كلهم بثبت، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فتكون المعذرة إليك.
 وتلك شكاة ظاهرها^(٤) عنك عارها^(٤)

(١) العادى: القديم.

(٢) المكذب: أبو جهل. وأسد الله: حرة بن عبد الحلب. وأسد الأحلاف: أبو سفيان
 ابن حرب، لأنه حزب الأرب وحقهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق. وسيدا
 شباب أهل الجنة: هما الحسن والحسين ولدا على كرم الله وجهه. وصبيبة النار هم أولاد مروان بن
 الحكم. وخير نساء العالمين: فاطمة. وحمالة الحطب: أم جميل بنت حرب بجمعة معاوية، وزوجة
 أبي حطب.

(٣) هذه الكلمة مأخوذة من الأصل. وقد قلناها عن صحيح الأعمش ج ١ ص ٢٣٠.

(٤) يقال: ظهره البار، إذا لم يبق به زبانه. وقوله: وتلك شكاة الخ عجزيت لأبي ذؤيب
 الخنزي؟ ومصدره: * وميراثا الواثون أني أحيا * انظر اللسان مادة «ظهر».

وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُكَ بِقَادِ الْجَمَلِ الْمُخَشَّوشِ ^(١) حَتَّى أَبَايَعَ، وَلِعَمْرَاهُ ^(٢) [لَقَدْ] أُرِدْتُ أَنْ تَنْتَمَّ خِدْمَتِي، وَأَنْ تَقْضِيَ فَاتَضَحَّتْ، وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ، وَلَا مَرْتَابًا فِي يَقِينِهِ، وَهَذِهِ تَحْتِجُ إِلَى ضَرْكِ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَمِعْتُ مِنْ ذِكْرِهَا؛

- ثم ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عِثَانَ، [فَلَمْ] أَنْ تَجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَجْعِهِ ^(٣) مِنْكَ، فَإِنَّمَا كَانَ أَعْدَى لِي، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ؟ أَمِنْ بَلَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ فَاسْتَعْدَهُ وَأَمْتَكَفَهُ، أَمِنْ أَسْتَنْصَرَهُ فَرَأَى عَنْهُ، وَبِتِ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى [أَتَى] قَدْرُهُ عَلَيْهِ؟ كَلَّا وَاقِهِ ^(٤) [قَدْ بَسَمَ اللَّهُ الْمُعَوِّضِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا] وَمَا كُنْتُ أَعْتَدُ مِنْ أَتَى كُنْتُ أَهْمُ عَلَيْهِ أَحْدَانًا، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ «قُرْبٌ مَكُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ»

١٠

• وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُنْتَضِعُ ^(٥) •

وَمَا أُرِدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ»، وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا مَحْصَانِي إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَصْحَكْتُ بَعْدَ اسْتِعْجَالٍ، مَتَى أَلْقَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالْمَنُوفِ خَوْفِينَ؟ «لَيْتَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْحَبِيبَا ^(٦)»

- ١٥ (١) الْمُخَشَّوشُ: الَّذِي أَدْخَلَ فِي أَفْهِهِ الْخَشَاشَ بِكسر الخاء، وَهُوَ مَا يَدْخُلُ فِي عَظْمِ أَفِّ الْبَيْرِ مِنْ غُشْبٍ.

(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ صَبْحِ الْأَضْحَى ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَمَلِ. وَقَدْ قُلْنَا عَنْ نَجِجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ٢١ طَبْعُ بِيروْت؛ إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ الْكَلَامَ بِدَرْجَتِهِ.

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَمَلِ؛ وَالْبَيَاقُ يَقْتَضِيهَا.

(٥) الظَّنُّ: التَّهْمَةُ. وَمِنْ هَذَا الْبَيْتِ: «وَكَمْ سَقَتْ فِي آثَارِكُمْ مِنْ نَصِيبَةٍ»

(٦) لَيْتَ بِتَشْفِيدِ الْبَاءِ، مِنَ الْبَيْتِ، وَهُوَ الْمَكْتُوبُ: وَحُلَّ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْمِيمِ هُوَ ابْنُ بَدْرٍ، وَهَذَا مِثْلُ مَضْرُوبِ التَّهْدِيدِ بِالْحَرْبِ، وَرَوَايَةُ الْإِسْلَامِ مَادَّةُ حُلٍّ: «خُجَّ قَلِيلًا يَدْرُكُ» أَخْبَجَ.

٢٠

حَمَلٌ" فسيطلبك من تطلب، وقرب منك ما تستبعد، وأنا مَرُقْلٌ نحوك في بحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين لم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتائمهم، متمسرين سرايل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء رَجَم، قد صيبتهم ذرية بثرية، وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجلدك وأهلك^(١) وما هي من الظالمين بعيد^(٢).

ومن كلام الأحنف بن قيس حين واجه معاوية بن أبي سفيان بتخذيله عائشة رضي الله عنها، وأنه شهد صقيين، وقال له: فملت فملت؛ فقال: يا أمير المؤمنين، لم ترد الأمور على أعقابها؟ أما والله إن القلوب التي أبغضتك بها ليين جواحنًا، والسيوف التي قاتلتك بها لعل عواهنًا، ولئن مددت بشير من قدر، لتمدَّت باط من ختر، ولئن شئت لتستصفين^(٣) كدر قلوبنا بصفو حملك؛ قال معاوية: أفعل.

وجلس معاوية يوما وعنده وجوه الناس، وفيهم الأحنف، فدخل رجل من أهل الشام، فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن عليا رضي الله عنه، فأطرق الناس، وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القاتل آثما ما قال لو علم أن رضاك في لعن المرسلين للتعهم، فأتى الله، ودع عليا فقد لبى الله، وأفرد في خضرته، وخلا بعمله، وكان والله — ما علينا — المبرز بشقه، الطاهر في خلقه، الميمون^(٤) النقيبه، العظيم المصيبة. قال معاوية: يا أحنف، لقد أغصبت العين على القذى، وقلت بغير ما ترى، وأيم الله لتصعدت المنبر فتلعنن طائما أوكارها؛ فقال الأحنف: إن تُعفى فهو خير، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاي؛ فقال معاوية: قم فاصعد؛ قال: أما والله لأصفتك في القول والفعل؛ قال معاوية: وما أنت

(١) أغوه - حظه - وخاله - الوليد بن حبة - وجهه - حبة بن ربيعة.

(٢) انخر: أفيح النذر.

قائل: إن أنصرفت؟ قال: أصعد فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه، ثم أقول: أيها الناس، إن معاوية أمرني أن ألن علياً، ألا وإن علياً ومعاوية اختلعا واقتلا، وأدعى كل واحد منهما أنه مبيحٌ عليه وعلى فتيه، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكك وأتباعك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والفتنة الباغية على المبيح عليهما، آمين يارب العالمين؛ فقال معاوية: •

إِذْنُ تُغِيْبِكَ يَا أَبَا بَجْر •

وَأَيُّ الْأَحْنَفِ مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ يَكْتَلُهُ فِي قَوْمٍ حَسِبَهُمْ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ؛ إِنْ كَانُوا حَسِبُوا فِي بَاطِلٍ فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا حَسِبُوا فِي حَقٍّ فَالْعَفْوُ يَسْمُهُمْ؛ غَلَامٌ •

١٠ ولما قَدِمَ وفدُ المِراقِ على معاويةَ وفهمَ الأحنفُ، خرجَ الآذَنُ فقال: إنَّ أميرَ المؤمنينَ يَمنعُ عليكمَ ألاَّ تَتَكَلَّمُوا أَحَدٌ إِلَّا لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ قَالَ الْأَحْنَفُ: لَوْلَا عَزَمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ دَافَةَ (١) (أَيَّ الْجَمَاعَةِ) دَفَّتْ، وَنَازَلَةُ تَزَلَّتْ، وَنَاسِبَةُ نَابَتْ، وَكُلُّهُمْ بِهِمُ الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرُوفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَبِّهِ؛ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَبَا بَجْر، فَقَدْ كَفَيْتَ النَّاسَ وَالشَّاهِدَ •

١٥ ولما خَطَبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ بِالْبَصْرَةِ قَامَ الْأَحْنَفُ فَقَالَ: لله الأَمِيرُ! قَدْ قَلَّتْ فَأَسَمَتْ، وَوَعِظَتْ فَأُطِفَتْ؛ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّمَا السَّيْفُ بِحَدِّهِ، وَالْفَرْسُ بِسَنَدِهِ، وَالرَّجُلُ بِعِيْدِهِ؛ وَإِنَّمَا التَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْمَطَاءِ؛ وَلَنْ يُخَيَّرَ حَتَّى يَهْتَلِ، وَلَا يُنْهَدَ حَتَّى تُعْلَى •

(١) في الأصل: «الأجزة» بالجمع والواو المعجمتين؛ وهو محريف •

(٢) دفت: أنت •

(٣) في الأصل: «ودخلت»؛ وهو مصحف •

ولما حُكِّم أبو موسى الأشعريُّ أمَّه الأحنف فقال له : يا أبا موسى، إنا هذا
مَسِيرٌ له ما بهمه من عزِّ الدنيا أو نلَّما آخرَ الدهر، أدعُ القومَ إلى طاعةِ عليٍّ، فإن
أبوا فادعهم أن يختارَ أهلُ الشام من قريشِ العراقِ من أحبوا، ويختارَ أهلُ العراقِ
من قريشِ الشام من أحبوا، وإياك إذا لقيتَ ابنَ العاصِ أن تصالِّفه بنيةً، وأن
يُفعلَكَ على صدرِ المجلس، فإنها خديعةٌ، وأن يَضُمَّكَ وإياه بيتٌ فيكن لك فيه
الرجال، ودعه فليتكلمْ لكونِ عليه بالخيار، فالبادئُ مُستغلقٌ، والمحبُّ ناطقٌ، فما
عَمِلَ أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف وأشار به، فكان من الأمر ما كان؛
فلقبه الأحنف بعد ذلك فقال له : أدخِلْ واهه قديمك في خُفٍّ واحدةٍ .

وقال بغراسان : يا بني تميم، تحابوا [تَجَمَّعَ كُلُّكُمْ] وَتَبَادَلُوا تَتَدَلُّ أُمُورُكُمْ،
وَأَبْدَمُوا بِجَهَادِ بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ يَصْلُحُ دِينُكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا يَسْلَمَ لَكُمْ جِهَادُكُمْ .

ولما قَدِمَت الوفود على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قام هلال بن بشر^(٥٠)
فقال : يا أمير المؤمنين : إنا غُرَّةٌ مِنْ خَلْقِنَا مِنْ قَوْمِنَا، وسادةٌ مِنْ رِوَاةِنَا مِنْ أَهْلِ
مِصْرِنَا، وإنَّكَ إِن تَصَرَّفْنَا بِالزِّيَادَةِ فِي أَهْطِيَاتِنَا، وَالْفَرَائِضِ لِمِائِلَاتِنَا، يَزِيدُ بِذَلِكَ

(١) أراد بالمستغلق هنا : القى ليس له الخيار في رد ما قال، وهو استمارة من قولهم : استغلق
في يده، إذا لم يجعل لى خياراً في رده .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها من البيان والخبيرين ج ١ قسم ٢ من النسخة المأخوذة
بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٧٠ .

(٣) كذا في البيان والخبيرين في النسخة الساقطة الفكر، والقي في الأصل : «وتنازلوا»؛ وهو تصحيف
إذ لم نجد من معانيه ما يلائم السياق .

(٤) حل ظرولاً من باب قد : خان في المضم .

(٥) كذا في الأصل؛ والقي في البيان والخبيرين ج ٢ ص ١١٣ طبع الرجانية : «ابن ركيح» .

الشریف تأملاً، وتكن لهم أبا وُصولاً ؛ وإن تكن مع ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) «أتمت [به] من وسائلك،
ونُدلي [به] من أسياك كالجلد لا يحل ولا يرحل، ^(١٤) ترجع بأنوف مصلومة، ^(١٥) وجدود
مائرة، ^(١٦) فمحنا وأهالينا بسجل مَرَج (أى اللؤلؤ الملائنة) من سبائك المترعة .

وقام زيد بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين، سَوِّد الشریف، وأكرم الحسيب،
وازرع عندنا من أياديك ما تسد به الخصاصية، وتطرد به الفاقة؛ ^(١٧) فإنا نقف من
الأرض بأيس الأكلاف، ^(١٨) مقشعر الذريرة، لا متجر ولا زرع، وإنا من العرب اليوم
إذ أمتناك برأى ومسمع .

فقام الأحف فقال : يا أمير المؤمنين، إن منافع آلخبريد الله ، وإلحرص
قائد الحرمان، فأفق الله فيما لا ينفي عنك يوم القيامة قِيلاً ولا قالاً ، وأجعل بينك
وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود، وأستأحة المتاح،
فإن كل أمرئ إنما يجمع في وِطائه إلا الأقل ممن عسى أن تقتحمه الأيمن فلا يُوفد
إليك .

(١) في البيان والبيان : «وتكن قوى الأحساب» .

(٢) في الأصل : «تمن» ؛ وهو تحريف ، والتصويب من البيان والبيان .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والفة تقتضى إثباتها ؛ وانظر البيان والبيان ج ٢ ص ١١٢
طبع الرحانية .

(٤) كذا في الأصل ؛ واقتضى في البيان والبيان : كالبدن الذى لا يحل «أخركنا الرايتين غير
واضحة المعنى ؛ ولم تقف طبع فإلهنا من المظان .

(٥) المصلومة : المقطوعة من أصلها .

(٦) في الأصل : «فرحنا» ؛ وهو تحريف ؛ إذ لم نر من معانيه ما يناسب المقام ، والتصويب عن
البيان والبيان ؛ «ومحنا» من المحج ، وهو الإصط .

(٧) في الأصل : «قف» بالنون ؛ وهو تحريف ، واقتضى : ما ارتفع من الأرض كالتفة .

(٨) في الأصل : «نافس» وهو تحريف .

(٩) كذا في الأصل ؛ واقتضى في البيان والبيان : «شجر» والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

ومن كلام أم الخير بنت الحريش البارقية، - وكانت من الفصحاء -
 حكي أنها لما وفدت على معاوية قال لها كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن
 ياسر؟ قالت: لم أكن والله زورته قَبْل ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات فَنَمَن
 لسانى حين الصلوة، فإن شئت أن أُحِلَّت لك مقالا غير ذلك فعلت، قال :
 لا أشاء ذلك، ثم ألتفت إلى أصحابه فقال : أيكم حَفِظَ كلام أم الخير؟ فقال رجل
 من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كفظى سورة الحمد، قال : هاته، قال :
 نعم، كأتى بها يا أمير المؤمنين عليها بَرْدٌ زَيْدِي، كَشِفُ الحاشية، وهى على جمل
 أَرْمَك^(١)، وقد أحيط حَوْلَهَا وبِئِهَا سَوْطٌ مَنَشَرُ الضَّرْفَر^(٢)، وهى كالفضل سَدِير
 فى شَفِيقَتِهِ يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتُهَوُّ رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) إن الله
 قد أوضح الحق، وأبان النليل، وتَوَرَّ السبيل، وَرَفَعَ الْعِلْمَ، فلم يدعكم فى عَمِيَاء
 مَبْهَمَةٍ، ولا سوداء مَدْلُجَةٍ، فأنى تريدون رحمكم الله ؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم
 فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أم أربابا عن الحق ؟ أما سمعتم الله عز
 وجل يقول : ﴿ وَلِنَبْلُوَكُمْ هَلْ تَعْلَمُونَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْيَارَكُمْ ﴾ ثم
 رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول : اللهم قد عَيَّلَ الصبر، وضَعُفَ اليقين،
 وأَتَشَرَّتْ الرغبة، وبِيدَكَ يارب أَرْقَةُ الْقُلُوبِ، فَاجْمَعْ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى، وَأَلِّفْ
 الْقُلُوبَ عَلَى الْهُدَى، وَرُدِّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ هَامُوا رحمكم الله إلى الإمام العادل،

(١) كذا فى صحيح الأئمة ج ١ ص ٢٤٩ ؛ وزورته : خففته وطبخته، وهو من قولهم :
 زور الحديث، إذا أزال زوره، أى عوجه. وفى الأصل : «دريه» ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق.

(٢) الأربك : من الرمكة، وهى لون التراب .

(٣) الضفر : القنبل، والمراد به هنا أسم الفضول .

(٤) فى صحيح الأئمة ج ١ ص ٢٥٠ : «قُلْ آمِنْ» .

⑪

وَالْوَصَى الْوَفَى، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ؛ إِنَّمَا لِحَنِّ بَدْرِيَّةٍ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ، وَضَغَائِنُ
 أُحْدِيَّةٍ، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ لِيُدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ ثُمَّ قَالَتْ :
 قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرَانِهِمْ لَا أَيْمَانٌ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ؛ صَبْرًا مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،
 قَاتِلُوا عَلَى بَصِيعَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَتَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ، وَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ
 كَحُمْرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ، قَوَتْ مِنْ قَسْوَةِ، لَا تَدْرِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ، بِأَصْوَا
 الْآخِرَةِ بِالْدُنْيَا، وَأَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى، وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى، وَ"عَمَّا قَلِيلٍ
 لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ"، حِينَ تَحِلُّ بِهِمِ النَّدَامَةُ، فَيَطْلُبُونَ الْإِفَالَةَ، إِنَّهُ وَاللهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ
 الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ نَزَلَ النَّارَ؛ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْأَيْكَاثَ
 اسْتَقْصَرُوا عَمْرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا، وَأَسْتَبِطُشُوا مَدَّةَ الْآخِرَةِ فَسَعَوْا لَهَا؛ وَاللهِ أَيُّهَا النَّاسُ،
 لَوْلَا أَنْ تَطَّلَ الْحَقُوقُ، وَتَطَّلَ الْخُدُودُ، وَيُظْهَرُ الظَّالِمُونَ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ،
 لَمَا اخْتَرْنَا وَرُودَ الْمَنَاءِ عَلَى خُضْضِ الْعَيْشِ وَطَيْبِهِ، قَوْلِي أَيْنَ تَرِيدُونَ — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — ؟
 عَنْ أَبِي عَمْرٍاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ، وَأَبِي أَبِيهِ، خَلَقَ مِنْ
 طَيْبَتِهِ، وَتَفَرَّغَ عَنْ تَبَعَتِهِ، وَخَصَّ بِرَّهَ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ، وَأَعْلَمَ بِحُبِّهِ الْمُسْلِمِينَ،
 وَأَبَانَ بِيغْضِهِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمُؤَيَّدِهِ، وَيَمِضِي عَلَى سَنَنِ
 اسْتِقَامَتِهِ، لَا يَمُرُّجُ لِحَاةَ اللَّذَاتِ؛ وَهُوَ مَفْلُحُ الْحِمَامِ، وَمَكْمَرُ الْأَصْنَامِ؛ إِذْ صَلَّى
 وَالنَّاسُ مُشْرِكُونَ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مَبَارِزِي بَدْرٍ،
 وَأَفْنَى أَهْلَ أُحُدٍ، وَفَرَّقَ جَمَعَ هَوَازِنَ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نَفَاقًا، وَرِدَّةً
 وَشِقَاقًا ! وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ، وَبَالَنْتُ فِي النَّصِيحَةِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقَ، وَعَلَيْكُمْ
 السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

- ٢٠ (١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « وَاسْتَطَابُوا الْآخِرَةَ » ؛ وَالْحَقُّ يَسْتَقِيمُ عَلَى كِلَا الرَّايَتَيْنِ .
 (٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْبَابَةُ فِي الْأَصْلِ بِغَيْرِ التَّحَرُّكِ بِأَلِفٍ فِي كِتَابِ الْقَوَاعِدِ أَنَّ الْأَكْثَرَ فِي الْاسْتِمَالِ
 مَعَهُ إِثْنَانِ فِي جَوَابِ لَوْلَا الْحَقِّ .

- فقال معاوية : والله يا أُمّ الخير ما أردت بهذا إلا قتلي ، والله لو قتلتك ما حرجتُ
في ذلك ؛ قالت : والله ما يسوعى يا ابن هند أن يُجرى الله ذلك على يدي من يُسعدني
الله بشقائه ؛ قال : هيات يا كثيرة الفضول ، ما تهولين في عثمان بن عفان ؟ قالت :
وما عصيتُ أن أقول فيه ؟ استخفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون ؛ فقال :
إياها يا أُمّ الخير ، هذا والله أصلك الذي تبين عليه ؛ قالت : لكن الله يشهد وكفى
بالله شهيداً ما أردتُ بمثاق قصا ، ولقد كان سبأقا الى الخيرات ، وإنه لرفعُ
الدرجات ؛ قال : فما تهولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول
في طلحة ؟ إغتيال من مأمنه ، وأتى من حيث لم يخطر ، وقد وعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجنة ؛ قال : فما تهولين في الزبير ؟ قالت : يا هذا لا تدعي كرجيع الصبيح
يعرك في المرثى ؛ قال : حقا لتقولن ذلك ، وقد عزمت عليك ؛ قالت : وما صيتُ
أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربه ، وقد شهد له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سبأقا الى كل مكرمة في الإسلام ؛
وإني أسألك بحق الله يامعاوية — فإن قريشا تحقت أنك من أحليها — أن تسعني
بفضل حلمك ، وأن تُعفيني من هذه المسائل ، وأمض الى ما شئت من غيرها ؛
قال : نعم وكرامة ، قد أعفيتك ، وردتها مكرمة الى بلدها .

(١) عبارة الأصل : «لا تظنك» ؛ وما أثبتناه من صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥١ والمقد الفريد
ج ١ ص ١٦٤ طبع المطبعة اللبنانية ؛ وهو الملائم لقوله يند : «ما حرجت» .
(٢) كذا في صبح الأعشى والمقد الفريد ، وهو المناسب لسياق العبارة . وفي الأصل : «الله» .
(٣) ليها : كلمة زجر بمعنى حسبك .

(٤) المركب : شبه ثور من آدم يخذل الساء ، أو شبه لقن ، أو هو الإجابة التي تفصل فيها الثياب
ونحوها ؛ ولعلها تريد بهذه العبارة : لا تدعي أذنك بأدم أهل الطهارة ، وأنتق الصوب من لا يجب
فيه ، يدل على ذلك قولها فيما ساقى : وما صيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله الخ .

ومن أشهر بالفصاحة والبلاغة زياد بن أبيه، والنجاشي بن يوسف التقي، وسند ذكر نبذة من كلامهما في التاريخ عند ذكرنا لأخبارهما لما ولي كل منهما العراق، وما خطب الناس به، ولندكر في هذا الموضع من كلام النجاشي ما لم نوردته هناك

- ٥ قيل : لما قدم النجاشي البصرة خطب فقال : أيها الناس ، من أعياء داؤه ، فغندى دواؤه ؛ ومن استطل أجله ، فلي أن أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ؛ ومن استطل ماضى عمره قصرته عليه باقية ؛ إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفاً ؛ فمن سقمت سريره ، صحت عقوبته ؛ ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ، ومن لم تسمع العافية ، لم تضر عنه الحكمة ؛ ومن سبقته بادرة فيه ، سبق بدنه بسفك دمه ؛ إني أنذر ثم [لا] أنظر ، وأحذر ثم لا أعذر ، وأتوعد ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيق^(١) ولأنكم ، ومن استرعى^(٢) لبيته ساء أدبه ، إنا الحزم والعزم سليمان سوطي ، وأبدلاني [به] سيفي ، فقامته في يدي ، ويحمأته في عنقي ، وذبابه قلادة لمن عصاني ، والله لا أمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه .
- ١٥ قال مالك بن دينار : ربما سمعت النجاشي يذكر ما صنع فيه أهل العراق وما صنع بهم ، فيقع في نفسهم أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخطيطه للجهج .

(١) الترنيق : الضئف في الأمر .

(٢) اللب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة ، يكون للرجل والرجع عنهما من الاستمرار ، يريد أن المودة واللين إفساد لأدب الرعية .

وخطب المجتأج بعد وقعة دبر الجناح^(١) فقال : يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استيطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف^(٢) ، ثم أفضى إلى الخناخ والأصماغ^(٣) ، ثم أرفع ففشش^(٤) ، ثم باض ففرخ^(٥) ، فحشاكم حشاقا وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، وأخذتموه دليلا نبعونه ، وقائلا تطيعونه ، ومؤامرا

تستشيرونه ؛ فكيف تنفكم تجربة ، أو تنظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان^(٦) ؟ ألسنتم أصحابي بالآهواز^(٧) ؟ حيث رُمتم المكر ، وسعيتم بالفدر ، واستجتمتم للكفر^(٨) ، وظننتم أن الله خذل دينه وخلافه ، وأنا أرميكم بطرق^(٩) ، تنسللون لوانذا ، وتنهزمون ميراغا ، ثم يوم الزاوية [وما يوم الزاوية] ! بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبرائة الله منكم ، وتكسوس^(١٠) وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها

(١) دبر الجناح بظاهر الكوفة على سبة فرائخ منها ؛ على طرف القبر السالك إلى البصرة ، وهي دير الجناح لأنه كانت تصنع فيه الجناح ، وهي الأدهاج من الخشب ، وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الجناح بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وانهزم فيها أين الأشعث .

(٢) في العقد القسريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق : « والأصناد » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . (٣) الشغاف : حجاب القلب أوجه أرسوياني .

(٤) هكذا ورد هذا الجمع في الأصل وغيره من المصادر التي بين أيدينا لهذه الخطبة ؛ ولم تحذف في لدينا من كتب اللغة والقواعد على ما يبدو أن صماخ يجمع على هذه الصيغة ؛ ولعله : « والأصاخ » بتقديم الألف على الميم ؛ أوله جمع لصمخ يضم الصاد والميم ، وهو جمع صماخ .

(٥) التواسر : من قولهم : كرهه مؤامرة إذا شاوره .

(٦) في الأصل : « بالمكر » والباء زيادة من التنازع .

(٧) هكذا في العقد القسريد ج ٢ ص ١٨٥ طبع بولاق ؛ وصاروة الأصل : « واستجتمتم الكفر » بقطوع الهمزة ، واستجتمتم ، أي اجتمعت . (٨) في الأصل : « طلع » وهو تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد قلناها من العقد القسريد ؛ والزاوية : موضع قرب البصرة فيه كانت الواقعة المشهورة بين الجناح وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . (١٠) في الأصل : « تهادون » وهو تحريف . (١١) يريد الشيطان . إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأناجيل :

« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » إلى قوله : « فلما ترأت الفتان تكس على خفيه » الآية .

- (١) [النوازع إلى إعطائها]، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلقى الشيخ على يديه؛ حتى عظمكم السلاح، وقصصكم الرماح، ثم دبر الجماجم، وما دبر الجماجم! بها كانت المارك والملاحم؛ بضرب يزيل المسام عن مقيله، ويصرف الخليل عن خليله؛ يا أهل العراق، والكفرات بعد الفجرا، والقدرات بعد الخفريات، والثورة بعد الثورات؛ إن بعثكم إلى ثغوركم غلظم وجبتم، وإن أمتم أرجفتم، وإن خفتم نافتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة؛ [يا أهل العراق] هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استغزكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعصدكم خالغ، إلا اتبعتموه وآوئتموه ونصرتهم وزكيتهم؟ يا أهل العراق، قلبا شغب شاذب، أو تعب ناعب، أو زفر كاذب إلا كنتم أتباعه وأنصاره؛ يا أهل العراق، ألم تنهكم المواظ، ولم ترجكم الوقائم. ثم ألفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام، أنا لكم كالظلم الراع عن فراخه، ينفي عنها المدر، ويباعد عنها البقر، ويكئها من المطر، ويمسحها من الضباب، ويمرئها من الذئاب؛ يا أهل الشام، أتم الجنة والرداء، وأتم العنة والجفاء.

ومن مكاتباته إلى المهلب بن أبي صفرة وأجوبة المهلب له

- ١٥ كتب الجمال إليه وهو في وجه الخوارج: أما بعد، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج، وترك قتال العدو، وإنى وليتلك وأنا أرى مكان عبد الله

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل، وقد أثبتناها عن العقد القوي.

(٢) يقال: عظم الحرب كسفه وزنا بمعنى.

(٣) غلظم: من الغلزل، وهو الخيل في التينة.

(٤) في البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٥ طبع الرحاوية: «زافر»؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين.

(٥) التلقيم: ذكر الشام؛ والراعي: الغناب يريجه.

(٦) في الأصل: «عن مراخه»؛ وهو تحريف.

ابن حكيم المجاشعي، وعبد بن حصين الحطيطي، وأخترتك وأنت رجل من الأزد، وأنا أقسم إن لم تلقهم في يوم كنا أشرع^(١) إليك صدر الرمح. فاجابه المهلب: ورد على كتابك ترجم أني أقبلت على جاية الخراج، وترك قتال المدولعجز؛ وزعمت أنك وليتي وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم وعبد بن حصين، ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلها وغنائها؛ وأنت آخرتني وأنا رجل من الأزد، ولعمري إن شرا من الأزد قبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهم؛ وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم كنا أشرع^(٢) إلى صدر الرمح، فلو فعلت لقلبت إليك ظهر الحق.

١٠. ووجه إليه الخجاج يستبطله في مناجرة القوم، وكتب إليه: أما بعد، فإنك جيت الخراج بالعلل، ونحسنت بالنفاق، وطاولت القوم وأنت أعزنا نصرا وأكثر عددا، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جينا، ولكنت أخذتهم أطعنا، ولا بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم، فاجزهم وإلا أنكرني، والسلام.

١٥. فقال المهلب للخراج: يا أبا عتبة، والله ما تركت حيلة إلا أحلتها، ولا مكيده إلا عملتها، وليس العجب من إبطاء النصر، وتراني الفقير، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره؛ ثم ناقضهم ثلاثة أيام يناديهم، ولا يزالون كذلك إلى العصر حتى قال الخراج: قد أخذت؛ وكتب إلى الخجاج: أثنى كتابك

(١) عبارة الأصل: « وإلا أشرعت »، وفيها زيادة من النسخ وتحريف لا يستقيم بها المعنى؛ وما يأتي في جواب المهلب يبين ما أثبتنا.

(٢) يقال: قلبت له ظهر الخين إذا تغيرت عليه وسط من العهد؛ والمخبر: القوس.

(٣) في الأصل: « ولا العجب »، والقواعد تقتضي ما أثبتنا، فإن « لا » الثانية إذا دخلت مل المرة نصب تكرارها، ولم تكررهما.

(٤) في الأصل: « ينصره »، بنون وصاد ضمنية؛ ومثاله لا يناسب ما هنا.

يَسْتَبْطِئُ لِقَاءَ الْقَوْمِ ، عَلَى أَنَّكَ لَا تَفْطَنُ بِي مَعْصِيَةً وَلَا جَبِيْنًا ، وَقَدْ طَابَتْ بِي مَعَابِدَةٌ الْجَبَانِ ، وَأَوْعَدْتَنِي وَعَيْدَ الْعَاصِي ، فَسَلِّ الْجَزَاحَ وَالسَّلَامَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُحَاجَّاجُ :
 أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ تَفَرَّغْتَ عَنِ الْحَرْبِ حَتَّى تَأْتِيكَ رُسُلِي وَيَرْجِعُونَ بِعَذْرِكَ ، وَذَاكَ أَنَّكَ تُمْسِكُ حَتَّى تَبْرَأَ الْجَرَاحُ وَتُنْسِيَ الْقَتْلُ ، وَيُجِيعُ النَّاسُ ^(١) ، ثُمَّ تَقْلَاهُمْ فَتَحْمِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يَحْمِلُونَ مِنْكَ مِنْ وَحْشَةِ الْقَتْلِ وَالْمِجْرَاحِ ، وَلَوْ كُنْتَ تَقْلَاهُمْ بِذَلِكَ الْخِدْلِ لَكَانَ الدَّلَاءُ قَدْ حُسِمَ ، وَالْقِرْنُ قَدْ قُصِمَ ، وَلَمْ يَمْرِي مَا أَنْتَ وَالْقَوْمُ سَوَاءً ، لِأَنَّكَ مِنْ وَرَائِكَ رَجَالًا ، وَأَمَّا مَالُكَ أَمْوَالًا ، وَلَيْسَ لِلْقَوْمِ إِلَّا مَا مَعَهُمْ ، وَلَا يَدْرُكَ الْوَجِيفُ بِالْذَّيْبِ ، وَلَا الظُّفْرُ بِالْمَعْذِرِ ^(٢) .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ : أَنَا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ رِسْلَكَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَجْرًا ، وَلَمْ أُخْجَعْ مِنْهُمْ مَعَ الشَّاهِدَةِ إِلَى تَقْيِينٍ ، وَذَكَرْتُ أَنَّي أُجِيعُ الْقَوْمَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ يَسْتَرْجِعُ فِيهَا الْغَالِبُ وَيَحْتَالُ الْمَغْلُوبُ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ فِي الْإِجْهَامِ مَا يُبْنِي الْقَتْلُ ، وَيُرِي الْجَرَاحُ ، وَهِيَئَاتُ أَنْ يَأْمَسَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، يَأْبَى ذَلِكَ قَسْلٌ مَنْ لَمْ يَمِخْ ، وَقُرُوحٌ لَمْ تَنْقَرَفْ ^(٣) ، وَنَحْنُ وَالْقِسْمَ عَلَى حَالَةٍ ، وَهُمْ يَرْقُبُونَ حَالَاتٍ ، إِنْ طَلِعُوا حَارَبُوا ، وَإِنْ مَلُّوا وَقَفُوا ، وَتَطَلَّبُ إِذَا هَرَبُوا ، فَإِنْ تَرَكْتَنِي فَالدَّلَاءُ بِلَاذْنِ اللَّهِ مَحْسُومٌ ، وَإِنْ أَعْلَجْتَنِي لَمْ أُطْعَمْكَ وَلَمْ أُحِصْ ، وَجِئْتُ وَجْهِي إِلَى بَابِكَ ، وَأَنَا أَعُوذُ بِأَقْبَهُ مِنْ تَخْطِئَةِ اللَّهِ وَمَقِيَّتِ النَّاسِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «الْمَجْلُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَتَيْنَاكَ بِكَ عَلَيْهِ مَا يَأْتِي فِي جِرَابِ الْمُهَلَّبِ .

(٢) التَّعْذِيرُ : التَّخْصِيرُ فِي الْأَمْرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «فِي الْجَبَامِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) تَعْرِفُ بِقَافٍ مَثَلَةً : تَعْرِفُ ؛ يَرِيدُ أَنَّهَا لَمْ تَبْرَأْ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : «تَعْرِفُ» ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «ظَلَرَى» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وقال المهلب لبنيه : يا بني تَبَاذَلُوا حِمَايَا ، فَإِنَّ بَنِي الْأُمَمِ يَخْتَلِفُونَ ، فَكَيْفَ
بَنِي الْعَلَاءِ ؛ إِنَّ الْبَرِيئَ فِي الْأَجَلِ ، وَزَيْدٌ فِي الْمَدَدِ ، وَإِنَّ الْقَطِيعَةَ تُورِثُ الْفَلَةَ ،
وَتَعْقِبُ النَّارُ بَعْدَ النَّفَّةِ ؛ وَاعْتَمُوا زَلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَرَى رَجُلَهُ فَيَتَمَشَّ ، وَيَرَى
لِسَانَهُ فَيَهْلِكُ ؛ وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْمَكِيدَةِ ، فَإِنَّهَا أَلْبَغُ مِنَ النَّجْدَةِ .

وَلَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبْنَاهُ الْمَذْرُوعَةَ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ ، وَعَادَ هُوَ إِلَى عِنْدِ مُصَهَّبٍ
ابْنِ الزُّبَيْرِ ، جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ الْمُفْعِرَةَ ، وَهُوَ أَبُو صَغِيرِكُمْ
رَقَّةٌ وَرَحْمَةٌ ، وَإِنَّ كِبِيرَكُمْ طَاعَةٌ وَتَجْبِيلًا وَرَأً ، وَأَخُو مِثْلِهِ مَوَاسَاةٌ وَمَنَاصَحَةٌ ، فَتَحَسَّنْ
لَهُ طَاعَتَكُمْ ، وَلِيَلِنْ لَهُ جَانِبَكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ صَوَابًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ .

وَخِطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْغِلْظَةَ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ
فَقَالَ : مَهْلًا مَهْلًا يَا بَنِي مَرْوَانَ ، تَأْمُرُونَ وَلَا تَأْتِرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا تُنْهَوْنَ ، وَتَعْطُونَ
وَلَا تَنْتَعِمُونَ ؛ أَفَتَعْتَدِي بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَمْ تَطْلُعُ أَمْرَكُمْ بِالسُّتُكْمِ ؟ فَإِنْ قَلَمَ :
اِئْتَبِلُوا بِسِيرَتِنَا ، فَأَنَّى وَكَيْفَ ، وَمَا الْحُجَّةُ ، وَمَا الْمَصِيرُ مِنْ اللَّهِ ؟ أَتَعْتَدِي بِسِيرَةِ الظَّالِمَةِ
الْفَاسِقَةِ الْجَوْرَةِ الْخَوْنَةِ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِثْلَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعَيْسِدَهُ خَوْلًا ؟ وَإِنْ قَلَمَ :
اِسْمِعُوا نَصِيحَتَنَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَنَا ، فَكَيْفَ يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ مَنْ يَفُتِّشُ نَفْسَهُ ؟ أَمْ كَيْفَ
يُجِيبُ الطَّاعَةُ لِمَنْ لَمْ تَنْهَ عَنْهُ عَدْلَانُهُ ؟ وَإِنْ قَلَمَ : خَذُوا الْحِكْمَةَ مِنْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهَا ، وَأَقْبِلُوا الْعِظَةَ مِمَّنْ سَمِعْتُمُوهَا ، فَسَلَامٌ وَلَيْنًا كَمَ أَمْرُنَا ، وَحِكْمَتَا كَمَ
فِي دِمَائِنَا وَأَمْوَالِنَا ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ فِينَا مَنْ هُوَ أَنْطَقُ مِنْكُمْ بِاللِّغَاتِ ، وَأَفْصَحُ بِالْعِظَاتِ ؟

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَبَاذَلُوا » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابٍ مَا أَثْبَتْنَا فِي الْبَيَانِ وَالْتِمَازِ .

(٢) بَنُو الطَّلْحِ : الْأَبْنَاةُ مِنْ أَمَهَاتِ شَقِي وَالْأَبِ وَاحِدٌ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَمَّا قِيلَ : « هـ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ « هـ » مِنَ الْتَرْفُوفِ الَّتِي

لَا تَخْرُجُ مِنَ الطَّرِيقَةِ إِلَّا إِلَى الْغَرَبِ ، وَجَرَّهَا إِلَى لُحْنٍ كَمَا فِي مَعْنَى اللَّيْبِ .

فَعَمَلُوا عَنْهَا ، وَأَطِيعُوا عِقَالَهَا ، وَخَلُّوا سَبِيلَهَا ، يَتَدَبُّ إِلَيْهَا آلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ شَرَّدَتْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَمَنْ قَتَمُوهُمْ فِي كُلِّ وادٍ ، بَلْ تَثَبَّتْ فِي أَيْدِيكُمْ لَاهِضَاءُ الْمَدَّةِ ، وَبُلُوغُ الْمُهْلَةِ ، وَعِظَمُ الْحِجَةِ ؛ إِنَّ لِكُلِّ قَائِمٍ قَدْرًا لَا يَصُدُّهُ ، وَيَوْمًا لَا يَحْطُوهُ ، وَكَثَابًا بَعْدَ يَتْلُوهُ ، « لَا يُنَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » ^(١) « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُثْقَلٍ يَنْقَلِبُونَ » . ثم التمس الرجل فلم يوجد .

ومن كلام قطري بن الفجاءة — وكان من البلغاء الأبطال ، من

ذلك خطبته المشهورة التي قال فيها :

أما بعد ، فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حُفَّتْ بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْمَاجِلَةِ ، وَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْفُرُوقِ ؛ لَا تَقُومُ نَفْسُهَا ، وَلَا تُؤْمِنُ بَغِيضُهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ ، وَحَالَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَائِلَةٌ بَائِلَةٌ ؛ أَكْالَةٌ غَوَالَةٌ ؛ لَا تَقْدِرُ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « كَيَا أَرَبَّزْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ » وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ^(٢) مع أن أمرًا لم يكن معها في حبة (أى السرور) ، إِلَّا أَهْبَطَتْ بِهَا حَسْرَةٌ ، وَلَمْ يَأَقِ مِنْ سَرَاتِنَا بَلَاءًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَاتِنَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَقْبَلْهُ غِيْثَةٌ رَخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مُرْنَةٌ بَلَاءٌ ؛ وَحَرِيَّةٌ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مَتَصِرَةٌ ، أَنْ

(١) في الأصل : « قدما » ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله بد : « لا يصدوه » .

(٢) لا تقوم ، أى لا تبقي ؛ وفى صحيح الأعمى ج ١ ص ٢٢٣ : « لا تدمم » .

(٣) في الأصل : « زائكة » وهو تحريف .

(٤) في صحيح الأعمى : « منها » والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

(٥) كذا في الأصل وصحيح الأعمى ؛ والحق في العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٥ طبع بولاق :

« تطله » بالطاء ، وهو أقرب الى سياق العبارة مما هنا ؛ وتطله من التلل بتشديد اللام بمعنى المطر الضئيف .

نَمِيَّ (١) خَافِلَةً مَتَنَكَّرَةً؛ وَإِنْ جَانِبُهَا أَمَدَوْدَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبُ
وَأَوْبَا، فَإِنْ أَتَتْ أَمْرًا مِنْ غَضُونِهَا وَرَقًا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَمَيَّا، وَلَمْ يَمَسَّ مِنْهَا أَمْرٌ
فِي جَنَاحِ أَمِنْ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا فِي قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ
فَإِنْ مِنْ طَلِبَا؛ لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ بِمَا يُؤْمَنُ
وَمَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ بِمَا يُوقَفُ وَيَطِيلُ حَزَنُهُ، وَيُسْكِي عَيْنَهُ، كَمْ وَاقٍ بِهَا قَدْ بَجَعَتْ،
وَذِي حُلْمٍ تَبَّهَ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْ، وَذِي أَحْتِيَالٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْ، وَكَمْ ذِي أَهْجَةٍ فِيهَا
قَدْ صَبَّرَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَحْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا، وَمَنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ الْبِدِينُ وَالْفُجْرُ
سُلْطَانُهَا دُولٌ، وَعَيْشُهَا رَيْقٌ (أَيِ الْمَاءِ الْكَدْبِ) وَصَلْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُومُهَا صَبْرٌ، وَغَذَائُهَا
سِيمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، وَقِطَافُهَا سَلَعٌ؛ حُمَاً بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سَقَمٍ،
وَمَنْعُهَا بِعَرَضِ اهْتِضَامٍ، وَمَلِكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعِزُّهَا مَسْلُوبٌ، وَسَلِيمُهَا مَتَكُوبٌ
وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ، مَعَ أَقْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَكْرَاتِ الْمَوْتِ، وَهَوَلُ الْمَطْلَعِ، وَالْوَقُوفُ بَيْنَ
يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ»

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أُنْتُشِهَا مِنْ صِجِّ الْأَعْيُ ج ١ ص ٢٢٤

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَأَدَلَّ» بِالْأَلَمِ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْبَيَانَةُ فِي الْأَصْلِ وَصِجِّ الْأَعْيُ؛ وَاقِي فِي الْقَدِّ الْقَرِيدِ ج ٢ ص ١٩٥

طَبْعُ بُولَاق: «وَأِنْ لَيْسَ أَمْرٌ مِنْ خُضَارَتِهَا وَرُطَابِهَا نَمَا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا غَمًّا».

(٤) فِي صِجِّ الْأَعْيُ: «جَلَّ»؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِمُّ عَلَى كِلَا الرِّوَايَتَيْنِ.

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَصِجِّ الْأَعْيُ؛ وَاقِي فِي الْقَدِّ الْقَرِيدِ: «وَذِي تَاجٍ» بِإِسْقَاطِ «مِنْ»؛

وَالْيَاقُوتِيُّ ج ٢ ص ١٠٤ طَبْعُ الرَّحْمَانِيَّةِ: «وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ» أَيْ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «وَأَسْأَلُهَا» بِتَوْنَيْنٍ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٧) كَذَا فِي الْقَدِّ الْقَرِيدِ، وَاقِي فِي الْأَصْلِ: «فَطَلَاهَا». وَالْقَطَافُ: جَمْعُ قُطْفٍ بِكسر القَافِ،

وَهُوَ الْمَقْرُودُ. وَالسَّلْعُ مَحْرُوقَةٌ: خَرِبَ مِنَ الْعَبْرِ.

(٨) فِي الْأَصْلِ: «وَرَحِمَتْهَا» وَمَا أُجْتَنَاءَ عَنْ صِجِّ الْأَعْيُ، إِذْ هُوَ الْمُنْسَبُ لِلْمَقَاتِ.

- الستم في مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ؛ وأعدّ عديداً ، وأكثف جنوداً ، وأشدَّ عقوداً ، تُبدلوا الدنيا ^(١) أي تُعبد ، وآثروها أي إيشار ، وطمعوا بالكثرة والصغار ، فهل بلفكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً يفسد بها ، أو أخذت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ^(٢) ؟ بل قد أرهقهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالتواثيب ، وعقرتهم بالفجائع ؛ وقد رأيتم تنكروا لمن رادها وآثرها وأخذ إليها ، حين ظنوا عنها لفرار الأبد ، إلى آخر المسند ؛ هل زودتهم إلا السغب ، وأحلتهم إلا الضنك ، أو تودت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبهم إلا الندامة ؟ أفهذه تزيرون ، أم هل هذه تحريصون ، أم إليها تطمثون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْشَوْنَ ﴾ فيستل الدار لمن أقام فيها ، فاعلموا إذ أنتم تعلمون أنكم تاركوها بلا بد ، فإنما هي كما وصفها الله باللعب واللهو ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَتَيْتُكُمْ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَمُوتُونَ وَتَحْيَوْنَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ وَإِذَا بَلَغْتُمْ بَطْنَهُمْ جَبَارِينَ ﴾ .

- وذكر الذين قالوا : من أشدَّ منا قوة ثم قال : لِمَا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُجُلًا ، وَأَنْزِلُوا فَلَا يُرْصُونَ ضِيفَانًا ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَهُم مِنَ الضَّرِيعِ أَشْخَانًا ، وَمِنَ الْوَحْشَةِ أَلْوَانًا ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا ، وَهُمْ فِي جِيَةٍ لَا يَحْيِيُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَمِيًا ، إِنَّ

(٣٥)

- (١) تعبدوا الدنيا ، أي صيرتم الدنيا عيدا لها ، يقال : تعبد فلان فلانا إذا اعتقه عبداً ، وعبادة الأصل : « تعبدوا الدنيا » بإسقاط اللام ، واستقامة العبارة تقتضي إيجابها .
(٢) في الأصل : « وطمعوا » وهو تحريف .
(٣) انطلب : الشأن والأمر .
(٤) المست : المحر .
(٥) في القند القريد : « يدعون » بالهال المهملة ؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .
(٦) في الأصل : « أحيانا » بالحاء والياء ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .
(٧) في الأصل : « حيوانا » وهو تصحيف .

(١) أَخَصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَطَعُوا لَمْ يَقْطَعُوا ؛ [يَجْمَعُ] وَهُمْ أَحَادٌ ، جِدَّةٌ وَهُمْ أَمَادٌ ؛
مُتَنَاهُونَ ، لَا يَزِدُّونَ وَلَا يُنْزِلُونَ ؛ حُلَسَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَصْفَانُهُمْ ، وَجُهْلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ
أَحْقَادُهُمْ ؛ لَا يُرْجَى فَعْمُهُمْ ، وَلَا يُخْشَى دَفْعُهُمْ ؛ وَكَأَنَّ قَالَهُ تَعَالَى : (فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ
لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَيْتِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) فَاسْتَبَدَلُوا بظُهُرِ الْأَرْضِ بطنًا ،
وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَفَارَقُوا كَمَا دَخَلُوهَا ، حُفَاةً
عُرَاةً فُرَادَى ، فَبَدَأَ أَنْ يَتَعَلَّمُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ ، يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى : (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعِنَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمْ
اللَّهُ ، وَاتَّقُوا بِمَوَاحِظِهِ ، وَأَحْصُوا بِمَجْهَلِهِ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقَنَا
وَلِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ .

١٠ ومن كلام أبي مُسْلِمٍ انْخِرُاسَاتِي صَاحِبِ الدُّوَلَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا كَانَ
سَبَبُ خُرُوجِ الدُّوَلَةِ عَنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُمْ أَبْغَدُوا أَوْلِيَاءَهُمْ ثِقَةً بِهِمْ ، وَأَذَنُوا
أَعْدَاءَهُمْ تَأَلُّفًا لَهُمْ ، فَلَمْ يَصِرِ الْعَدُوُّ بِالْدُّنُوِّ صَدِيقًا ، وَصَارَ الصَّدِيقُ بِالْبِعَادِ عَدُوًّا .

وقيل له في حديثه : إِنَّا نَرَاكَ تَأَرَّقَ كَثِيرًا وَلَا تَنَامُ ، كَأَنَّكَ مُوَكَّلٌ بِرَغَى الْكَوَاكِبِ ،
أَوْ مُتَوَقِّعٌ الْوَحْيَ فِي السَّمَاءِ (٥) ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لِي رَأْيٌ جَوَالٌ ، وَغَرِيزَةٌ

١٥ (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ج ٢ ص ١٠٥ طبع الرحمانية ؛ وهو المناسب لما يأتي بعده ؛ والحق
في الأصل : « جعوا » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أشتهاها من البَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مُتَسَاوِدُونَ » وَمَا أَتَيْتَاهُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِمَا قَبْلَهُ وَمَا يَلِيهِ ؛ وَانْظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبَيُّنَ
وَالْعَقْدَ الْفَرِيدَ .

٢٠ (٤) يَرِيدُ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ؛ وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ج ٢ ص ٧٥ طبع الرحمانية : « صَاحِبِ
الدَّعْوَةِ » .

(٥) لَهُ : « مِنْ » .

ثاقمة، وذهنٌ صافٍ، وهمةٌ بعيدةٌ، ونفسٌ تنشقُّ إلى معالي الأمور، مع عيشٍ كعيش
التمج والرعاع، وحالٍ متناهيةٍ من الانقضاء، وإنى لأرى بعضَ هذا مصيبةً لا تجبر
بسر، ولا تتلافى بأرق؛ قيل له: فما الذى يبرُدُ ظيلَكَ، ويسفِي إجاجَ صدرك؟^(١)
قال: الظفرُ بالملك؛ قيل له: فاطلب؛ قال: إنَّ الملك لا يدرك إلا برُكوب
الأهوال؛ قيل: فاركب الأهوال؛ قال: هيئات، السَّقلُ مانعٌ من ركوب الأهوال؛
• قيل: فما تصنع وأنت تلبى حسرةً، وتنبؤُ كدًا؟ قال: سأجعل من عقلى بعضه
جهلاء، وأحاول به خطراً، لأنَّالَّ بالجهل ما لا يُنال إلا به، وأدبرُ بالعقل ما لا يُحفظ
إلا بقوة، وأعيش عيشاً بين مكانٍ حياتى فيه من مكانٍ موتى عليه، فإنَّ الخمول
أخو الصدم، والشهرة أبو الكون .

- ١٠٠ وكتب إليه عبد الحميد بن يحيى كتاباً عن مروان بن محمد، وقال مروان:
قد كتبتُ كتاباً إنَّ نَجْعَ فذاك، وإلا فالهلاك، وكان ليكبر حجمه يُحْمَل على جمل،
نَفَثَ فيه حواشئ صدره، وضمتُه غرائب عَجْيره^(٢)، وجرَّه، فلما ورد على أبى مسلم
دعا بنار فطرحه فيها إلا قدر ذراع فإنه كتب عليه:
حما السيف أسطار البلاغة وأتقى * ليوث الوعى يقدمن من كل جانب
١٥ فإن يقدموا نُعمِل سبيوفاً شحيذةً * يهون عليها العتبُ من كل حاتب
ورَّكده، فأنس الناس من معالجه .

وقيل: لأنه تجرَّه بينه وبين صاحب مَرِّو كلامٌ أرَّبى فيه صاحب مَرِّو عليه،
فاحتمله أبو مسلم وقال: مه، لسانُ سَبَق، وهممُ أخطأ، والغضب شيطان،

(١) الإجاج: جمع أجة، وهى شدة المروءة .

(٢) عجره وبجره، أى كل أموره، لم يسره شيئاً؛ وأصل العجر، المروق المتفردة في الجسد،
٢٠ والجبر، المروق المتفردة في الجبن خاصة .

وأنا جرأتك على باحتيالك، فإن كنت للذنوب متمعدا فقد شاركك فيه، وإن كنت مغلوبا فالعفو يسعك؛ فقال له صاحب مرو: عظم ذنبي يمنع قلبي من المبدوء؛ فقال أبو مسلم: يا عجبا، أقابلك بإحسان وأنت قسى، ثم أقابلك بإساعة وأنت محسن! فقال صاحب مرو: الآن وثقت بعفوك.

ومن كلام جماعة من أمراء الدولتين

خطب يوسف بن عمر فقال: اتقوا الله عباد الله، فكم من مؤمل أملأ لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع ما سوف يتركه؛ ولعله من باطل جمعة، ومن حق منعه؛ أصابه حراما، وورثه علقا؛ وأحتمل إصره، وباه يوزره، وورد على ربه أسفا لاهفا "خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين".

وقام خالد بن عبد الله القسري^(١) على المنبر خطيبا، فمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، تافسوا في المكارم، وسارعوا إلى المغنم، واشتروا الحمد بالجود، ولا تكيسوا بالمطل ذنبا، ولا تمتدوا بالمعروف ما لم تجعلوه، ومهما يكن لأحدكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فاقه أحسن لها جزاء، وأجزل عليها عطاء؛ واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم؛ فلا تمسكوا النعم فتحوّل بها؛ واعلموا أن أفضل المال ما أكسب أجرا، وأورث ذكرا؛ ولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنا جميلا يمسر الناظرين، ولو رأيتم البخل رجلا رأيتموه مشوها قبيحا، تنفر عنه القلوب، وتنفذ عنه الأبصار؛ أيها الناس، إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفوا من عفا عن

(١) في الأصل: «القسري» يشين «جمعة بعد ما ياء مثناة» وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «تمنعوا» وهو تحريف.

قدرة ، وأوصل الناس مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ ، ومن لم يَطِبْ حَرْثُهُ لَمْ يَزْكُ نَبْثُهُ ؛
والأصولُ عن مغارمها تنمو ، وبأصولها تسمو ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قيل لما ولي أبو بكر بن عبد الله المدينة وطال مكثه عليها كان يبلغه
عن قوم من أهلها أنهم يتألون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف
من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقيموا
• من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال : أيها الناس ، إني قائل قولاً ، فمن وطاه
وأذاه فعل الله جزاءه ، ومن لم يبعه فلا يسلو من ذمامها ، إن قصرت عن تفصيله ،
فلن تسجزوا عن تحصيله ، فارعوه أبصاركم ، وأوصوه أسماعكم ، وأشيعروه قلوبكم ؛
فالموعظة حياء ، والمؤمنون إخوة "وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ" "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمُ أَجْمَعِينَ"
فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا التي ترشدوا ، "وتوبوا إلى الله جميعاً أي المؤمنون"
١٠ لعلكم تفلحون" والله جل شأوه ، وتقدست أسمائه ، أمركم بالجماعة ورضيها لكم ،
ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم ، "فَأَقْصُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها"
١٥ جعلنا الله وإياكم من تبع رضوانه ، وتجنب سخطه ، فإنما نحن به وله ، وإن الله
بصت محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحاباً على

(١) كذا في الأصل وصح الأعمى ج ١ ص ٢٢٠ وقد راجعنا أسماء رجال المدينة وولاتها فيما بين
أيدينا من الخلف فلم نلق على هذا الاسم فيمن تولاهما ؛ وألقى وقتنا عليه هوايو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،
قولي المدينة في زمن سليمان بن عبد الملك انظر صحيح الأعمى ج ٤ ص ٢٩٦ وغيره من كتب التاريخ .

(٢) يريد : فلا يخرج ؛ ويأتيك الضمير في قوله : «ذماها» باحبار الموعظة أو المقالة .

(٣) كذا في صحيح الأعمى ، وهو المناسب لما بيده في الفقرة الثانية . وفي الأصل : «عنه بغضيه» .

الحق ، ووزراء دون الخلق ، اختصهم به ، واختصهم له ، فصالحوه ونصروه ، وعزروه ووقروه ، فلم يقبلوا إلا بأمره ، ولم يمحجموا إلا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بمهده ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن صفتهم ، وذكرم فأنهى عليهم ، فقال — وقوله الحق — : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ) الى قوله : (مَخْفَرةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ^(١) فن غاظوه كقروخلب ، وبقر وخيمر ، وقال الله عز وجل : (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا) الى قوله : (رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) فن خالف شرطه الله عليه لم ، وأمره إياه فيهم ، فلا حق له في القى ، ولا سهم له في الإسلام في أي كثيرة من القرآن ، فترقت مارقة من الدين ، وفارقوا المسلمين ، وجعلهم عظيمين ، وتشمعوا ^(٢) أحرابا ، أشابات وأوشابا ، فخالقوا كالب الله فيهم ، وشاءه عليهم ، وأدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة (ذَلِكَ هَوَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينُ) (أَلَمْ يَكُنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَيْفَ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) ؛ مالى أرى عيوننا تحزوا ، ويقابا صعبا ، ويطولونا يعبرا ؟ ^(٣) شئى لا يسيفه الماء ، ولئلا لا يشرب فيه الدواء ؛ (أَفَنَضْرِبُ عَنْكَ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُبْصِرِينَ) كلاً والله ، بل هو

﴿٧﴾

(١) في الأصل : « طلون » ؛ وهو تحريف صوابه ما أتينا كايده عليه قوله تعالى في الآية السابقة :

« يجب الزراع لينظ بهم الكفار » .

(٢) الضرون جمع ضفة ، وهي القرقة .

(٣) يريد : أو يمش الناس وأخلاطهم .

(٤) انخرجهنم الخاء : جمع أنزر ، من انخرجهنم الخاء والواو ، وهو النظر كأنه في أحد الشقين .

(٥) البحر : العظيمة .

- (١) الهناء والطلاء حتى يظهر المذر، ويروح السر، ويصح الغيب، ويسوس الجنب؛ فإنكم لم تحلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى؛ ويحكم، إني لست أتأويا أعلم، ولا بدويا أفهم؛ قد حلتكم أخطرا، وقلبتكم أبطنا وأظهورا؛ فمرفت أنحاءكم وأهواءكم، وعلمت أن قوما أظهروا الإسلام بالسنتهم، وأسرروا الكفر في قلوبهم، فضربوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعض]، ولقدوا الروايات فيهم، وضربوا الأمثال، ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبناءهم أحوانا ياذنون لهم، ويصغون إليهم، مهلا مهلا قبل وقوع القوارع، وطول الروائع، هذا لهذا ومع هذا، فلست أحتش آبئا ولا تابئا، ﴿عفا الله عما سلف ومن عاد فيلتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ فأيسروا خيرا وأظهروه، وأجهروا به وأخلصوا، فطالب مشيتم الفهري ناصحين، ولعلم من أدبر وأصر أنها موعظة بين يدي نعمة؛ وليست أدعوكم إلى أهواء تُنبع، ولا إلى رأي يُتدع؛ إنما أدعوكم إلى الطريقة المثل، التي فيها خير الآخرة والأولى؛ فن أجب قولي رشيده، ومن عي فمن قصيده؛ فهلم إلى الشرائع الجلائع، ولا تولوا عن سبيل المؤمنين، ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير،
- (١) الهناء بكسر الهاء : الضطراب؛ يريد بهذه العبارة أنه سيأخذ في معالجتهم بالمحظة أو العقوبة حتى يخلصوا عما نهم به .
- (٢) عبارة الأصل : «حتى بطر النمر» وهو تحريف؛ والتصويب عن صحيح الأشتي ج ١ ص ٢٢٢
- (٣) يسوس بالياء للجهول : يروض ويذل ؛ يقال : سوست له أمرا إذا روضه وذلّه . انظر اللسان مائة «سوس» . والجنب بضمتين الصبب الذي لا يتقاد .
- (٤) الأتوى : التريب عن القوم .
- (٥) هذه الكلمة سابقة من الأصل ؛ وقد أتيها عن صحيح الأشتي .
- (٦) لهه يريد بهذه العبارة أنه قد أعد لكل عمل جزاء لا يبخارزه ؛ يدل على ذلك ما قبله وما بعده .
- (٧) الاحتش : القلم ؛ والقي في الأصل : «أعيش» ؛ وهو تحريف .
- (٨) كذا في الأصل وصح الأشتي ج ١ ص ٢٢٢ ؛ ولم تصف عليه في غيرها ؛ ولم تر من معانيه ما يتناسب السياق ؛ ولله : «الجوامع» ؛ أي التي يجمع الناس على اتباعها ؛ كما يدل عليه ما بعده .

فَلْيَسِّرْ لِلْعَالَمِينَ بَدَلًا^(١) إِيَّاكُمْ وَبَيِّنَاتِ الطَّرِيقِ، فَمِنْهَا التَّرْنِيقُ وَالرُّعْقُ، وَطَبِخُ
بِالْجِلَاقَةِ، فَهِيَ أَسَدٌ وَأَوْرَدٌ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَيْسَ
لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَفِيهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى، وَ«لَا تَحْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَيْدًا فَيَسْجِدَ لَكُمْ
يَعْدَابٌ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى» (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ
لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ).

هذا ما آتق إرياده من رسائل وخطب بُلغاء الصعابة — رضى الله عنهم —
وكلام التابعين وغيرهم مما يحتاج الكاتب الى حفظه .

وأما رسائل المتقسين والمعاصرين التي يحتاج الى النظر اليها دون حفظها —
فهى كثيرة جدا، سنورد من جيدها ما يحف عليه إن شاء الله .

١٠ ذكر شئ من رسائل وفصول الكتاب والبلغاء المتقدمين

والمُتَأَخِّرِينَ والمعاصرين من المشاركة والمقاربة

وهذه الرسائل والفصول كثيرة جدًا، وقد قلطنا منها فيما مر من كتبنا هذا
ما حلا ذِكْرَهُ، وفتح نشره، وأيس به سامعه، وأيس من الإتيان بمثله صائغه،
وأوردنا في كل باب وفصل منه ما يناسبه، وسنورد إن شاء الله في قُبَى الحيوان
والنبات عند ذكر كل حيوان أو نبات يستحق الوصف ما سمعناه وطالعناه من وصفه
نظما ونثرا، مع ما يندرج في فن التاريخ من الرسائل والفصول والأجوبة والمحاويرات

(١) بَيِّنَاتِ الطَّرِيقِ : الطرق المتعارفة التي تشعب من الجِلَاقَةِ، وهى التُّرُطَاتُ ؛ يريد : إِيَّاكُمْ وَمَسْلُوكِ

طَرِيقٍ خِطَرِ طَرِيقِ الْجِلَاقَةِ .

(٢) الرُّعْقُ : السَّهْفُ، أَوْ هَوْرُ كُوبِ الْفَرَسِ . وَالْقَى فِي صَبْحِ الْأَمْسَى : «التَّزْيِينُ» .

عند ذكر الوقائع ، وإنما نُورده تم وإن كان هذا موضعه ليكون الكلام فيه ضياقة ،
وترد الوقائع يتلو بعضها بعضا ، فلا ينقطع الكلام على ما هيئ إن شاء الله تعالى
عليه في مواضعه ، فنورد في هذا الموضع ما هو خارج عن ذلك النمط من كلامهم ،
ولنبدا بذكر شيء من المكتبات البليغة الموجهة ؛

- من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على إنسان فقال : حق مؤصل
هذا الكتاب عليك كحقه على إذراك موضعا لأمله ، ورأى أهلا لحاجته ، وقد أتممت
حاجته ، لحق أمله .

- ومنه ما حكى أدامون قال لعمر بن مسعدة : أكتب الى فلان كتاب
عناية فلان في سطر واحد ، فكتب : هذا كتاب واثق بن كتيب اليه ، معني بن
كتيب له ، ^(١) ولن يضيع بين الثقة والمناية حامله .

- وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون يستعطفه على الجند : تخالي الى أمير المؤمنين
ومن قبل من أجناده وقواده في الطاعة على أفضل ما تكون عليه طاعة جند تأخرت
أرزاقهم ، وأختلت أحوالهم . فأمر بإعطائهم رزق ثمانية أشهر .

- وكتب أحمد بن يوسف الى المأمون يذكره بمن على يابه من الوفود فقال :
إني داعي لذلك ، ومنادي جنوك ، بما يبابك الوفود ، يرجون ناعاك العتيق ؛ فنههم
من يمت بحزمة ، ومنهم من يذل ^(٢) بخدمة ؛ وقد أبحف بهم المقام ، وطالت عليهم
الأيام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يتعنتهم بسبيهم ^(٣) ، ويحتجز طنوتهم بطوله قل
فوقع المأمون في كتابه : ألتير متج ، وأبواب الملوك مواطن لدوى الحاجات ،

(١) في الأصل : «اليه» ؛ والسياق يقتضئ ما أثبتنا .

(٢) يذل : يترسل . - (٣) السبب : الطلاء .

فأجس أسماءهم ، وأجل موأنتهم ^(١) ، ليصير إلى كل أمرئ منهم قدر استحقاقه ،
ولا تكدر معروفا بالمطل والمحجب ، فإن الأول يقول :

فإنك لن ترى طردا حُرَّ * كإلصاق به طرف الموان
ولم يَحْلِبْ مَوْتَهُ ذى وفاء * كمثل البذل أو بسط اللسان .

وكتب محمد ^(٢) إلى يحيى بن هرمة ^(٣) - وكان غايته على أصفهان ، وقد نظم منه
أهلها - : يا يحيى ، قد كثر شاكروك ، وقل شاكروك ؛ فلما عدلت ، وأنا
اعتزلت .

وكتب أبو بكر الخوارزمي جوابا عن هدية : وصلت التحفة ، ولم يكن لها
عيب إلا أنة بذلت مسرف في البر ، وقابلها مقتصد في الشكر ؛ والسرف مذموم
إلا في الجهد ، والاقتصاد محمود إلا في الشكر والحمد .

وكتب ملك الروم إلى المنعم يتوعده ويتهكده ، فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه ،
فكتبوا فلم يسجده مما كتبوا شيئا ، فقال لبعضهم : أكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

(١) يريد بهذه العبارة أمره بأن يوضح ما فرض في الديوان لكل واحد منهم ، وبين ما يستحقه
من العلاء .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في الأصل ؛ ولم يرد بعده من الكتب ما يبينه ؛ والذى في المصادر التي بين
أيدينا أن هذا التوقيع لجعفر بن يحيى البرمكي إلى بعض عماله انظر شرح القاموس مادة « وقع » والقد
الفرديج ص ٢٢٢ طبع بولاق ووفيات الأعيان ترجمة جعفر بن يحيى والوفاء بالوفيات للسفدى
المحفوظ منه نسخة مأخوذة بالصورة الشمس بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم تحف حل هذا الاسم فيمن قرى عمل أصفهان ؛ ولعل صوابه : « هرمة » .

(٤) في الكتب التي بين أيدينا : « يا هذا » .

(٥) في الأصل : « يا هذا » ؛ وهو تحريف .

أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وقهمت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ،
 « وَسَيَعْلَمُ الْكَاثِرِينَ عَقَبِي الدَّارِ » .

ومن كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني :-

- قيل : ذُكر الهمداني في مجلس أبي الحسين بن فارس فقال ما معناه : إنك البديع
 قد نبى حق تعليمنا إياه ، وعَقْنَا وشمخ بأفقه عَنَّا ، فالحمد لله على فساد الزمان ،
 وتفسير نوع الإنسان ؛ فبلغ ذلك البديع ، فكتب إلى أبي الحسين :
 نعم أطال الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ المستون^(١) ، وإن طَلَّتِ الظنون ؛
 والناس لآدم ، وإن كان المهد قد تَهَادَمَ ، وأرتبكت الأضداد ، وأختلط الميلاذ ؛
 والشيخ يقول : فسَدَ الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى النولة العباسية وقد
 رأينا آخرها وسمعت أولها ؟ أم المدة المروانية وفي أخبارها « لا تَكْسَعُ الشُّولُ بِأخبارها » ؛
 أم السنين الحورية^(٢) .

(١) الكافر بالإفراء : قراءة الحسنيين وأبي عمرو كما سبق بيان ذلك في ص ١٠ ت ١ من
 هذا الجزء .

(٢) هكذا في قيمة الدهرج ؛ ص ١٧٨ طبع دمشق وغيرها من المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة ؛

والتي في الأصل : « أنا » والحمأ : الطين الأسود . والمستون : المتغير المتفن .

- (٣) عبارة الأصل : « تركيب الأصفاذ » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ، والتصويب عن قيمة الدهر .
 (٤) تكمع ، من الكسع وهو ترك بقية من اللبن في خلف الثافة يراد بذلك تنزيها ، وهو أشد لها .
 والشول من التوق : ما مضى على حلها أو وضعها سببة أشهر قل لها ونف ضرعا ، واحده شائل .
 والأخبار : جمع خبر الغم ؛ وهو بقية اللبن ؛ وهذا صدر بيت لخارث بن حازم ، وقمناه : « إنك لا تدري
 من الناصح » قال في اللسان مادة « كسع » في تفسير هذا البيت : يقول : « لا تنزروا لك تحلب بذلك قوة
 نسلها ، وأحلبا لأضيافك ، قامل عدوا يضر عليها فيكون تابعها له دونك » . ولعل الكاتب أشار بهذا إلى
 بطل بن مروان وثقة الخريف أيامهم .

(٥) الحرية : نسبة إلى حرب بن أمية بن عبد شمس ، يمد بذلك خلافة معاوية ويؤيد آيم .

وَالسِّبْ يُعْمَلُ فِي الطَّلِ * وَالرَّحْ يَرْكُزُ فِي الْكُلِ
وَمَبِيتُ مُجْمِرٍ فِي الْفَلَا * وَالْحَسْرَتَاتُ وَكَرَبَلَا

أُمُّ الْيَعْمَةِ الْمَسْخِيَّةِ [وَعَلَى يَقُولُ : لَيْتَ] الْعَشْرَةَ [مَنْكُمْ] بَرَّاسَ ، مِنْ بَنَى فِرَاسَ ؛
أُمُّ الْأَيَّامِ الْأُمُومِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ إِلَى الْجُحْزِ ، وَالْعِيُونِ إِلَى الْأَعْيَازِ ؛ أُمُّ الْإِمَارَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ
وَصَاحِبُهَا يَقُولُ : هَلَسُوا إِلَى التَّزُولِ ؛ أُمُّ الْخِلَافَةِ الْيَمِينِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ

(١) فِي كَشَفِ الْهَافِي وَالْيَانِ مِنْ رَسَائِلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ص ١٥ طَبْعُ يَرُوت : « يَنْفَعُ » .
وَالطَّلِي : الْأَعْيَاقُ - وَاحِدَةٌ طَلِيَّةٌ بَضْمُ الْهَاءِ .

(٢) هُوَ جَرِّ بْنِ هَدِيٍّ الْكَنْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَقَدْ قَتَلَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فِي سَنَةِ
إِحْدَى وَخَمْسِينَ لِإِظْهَارِهِ التَّنَجُّحَ إِلَى عِلِّيٍّ وَلَمَسِهِ لِمَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَجْمَعُ عَلَيْهِ كُلَّ
مَنْ رَاقَبَهُ فِي هَذَا الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْمَصْرَيْنِ ، حَتَّى وَلَّى زَيْدًا عَلَى الْعِرَاقِ فَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي أَمْرِ جَرِّ
وَأَكْثَرُ ، فَأَمَرَ مَعَاوِيَةَ بِإِدَا أَنْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَى مَشْدُونَا بِالْمَدِينَةِ فَقَتَلَ ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ بِمَعَاوِيَةَ فَضَرَّتْ
عَقْدُهُ ، وَكَانَ جَرِّ مِنْ أَشْرَافِ الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ . انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ .

(٣) كَذَا فِي يَقِينَةِ الْمَهْرَجِ ٤ ص ١٧٩ طَبْعُ دِمَشْقٍ وَفِيهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا هَذِهِ
الرِّسَالَةِ ؛ وَبِهِ يَسْتَقِمُّ الْوِزْنُ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْحَسِينَ » . وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى وَفْعَةِ الْحَرَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ
بَنُوْدِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ ؛ وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَفْعَةُ فِي حَرَةِ وَاتَمَّ وَهِيَ شَرْقُ الْمَدِينَةِ
وَقَدْ قَتَلَ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . انْظُرْ تَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ التَّوَارِيخِ .

(٤) كَرَبَلَا : مَوْضِعٌ فِي طَرَفِ الْبَغْدَادِ عِنْدَ الْكُوفَةِ ، وَهُوَ الْقَيْ تَقُلُ فِيهِ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا فِي خِلَافَةِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ .

(٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أُتْبِهَا عَنْ يَقِينَةِ الْمَهْرَجِ ٤ ص ١٧٩

(٦) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَقَدْ أُتْبِهَا عَنْ يَقِينَةِ الْمَهْرَجِ . (٧) يَرِيدُ خِلَافَةَ مَعَاوِيَةَ بْنِ
مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ أَمِيَّةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٨) يَرِيدُ خِلَافَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَسَالَ هُوَ ؛
وَالْعَدُوَّةُ نِسْبَةٌ لِلْمَدِينَةِ بْنِ كَبِّ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَهِيَ رَضِيَ عَنْهُ . (٩) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالْقَائِي فِي يَقِينَةِ
الْمَهْرَجِ وَكَشَفِ الْهَافِي وَالْيَانِ : « وَهَلْ يَسُدُّ الْبَزُولُ إِلَّا الْبَزُولُ » ؛ وَالْبَزُولُ : تَشَقُّقُ ثَابِ الْبَصِيرِ ،
وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ ؛ يَرِيدُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ : وَهَلْ يَسُدُّ الْبَزُولُ إِلَّا الْبَزُولُ فِي الْفَتَاوَى وَالْقَصَصِ .

(١٠) يَرِيدُ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَالْيَمِينِيَّةُ : نِسْبَةٌ إِلَى تَمِّ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ كَبِّ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَهِيَ
وَهَلْ أَبِي بَكْرٍ . (١١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَالْقَائِي فِي يَقِينَةِ الْمَهْرَجِ : « وَصَاحِبُهَا » .



مات في نائفة الإسلام؛ [أم] على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل: أسكني يا فلانة،
فقد ذهبت الأمانة؛ أم في إلهية وليد يقول:

* [وَيَقِيْتُ فِي خَلْفٍ يَحْلِدُ الْأَجْرِبُ] *
(١٠) (٤)

أم قبل ذلك وأخو عدي يقول:

• بلادها سكا وكنا نحبها * إذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروي لآدم عليه السلام:

تَقَرَّيْتُ الْبِلَادَ وَمِنْ عَلَيْهَا * فَوَجَّهْتُ الْأَرْضَ مَسْبَرًا قَبِيحُ

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها: ﴿أَتَجَمَّلُ فِيهَا مِنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الْبَسَاءَ﴾ ما فسد الناس، ولكن أطرده القياس؛ ولا أظلمت الأيام، إنما أمتد
الإسلام؛ وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح؛ ويسمى المرء إلا عن صباح ٩
ولعمري إن كان كرم العهد كتابا يرد، وجوابا يصدر، إنه لقريب المثال، وإني على
توبيخه لي فقير إلى لقائه، شفيق على بقائه، متنسب إلى ولاته، شاكر لآلته.

وكتب ديع الزمان يستعطفه: إني خدمت مولاي، وإنلجمت رقي بغير إسماع،
وناصحت، والمناصحة للود أوثق عباد؛ ونادمت، والمنادمة رضاء ثان؛ وطاعته،
والمطاعمة [نسب] دان، وسافرت معه، والسفر والأخوة رضيعا لبان، وقت بين ١٥

(١) وردت هذه العبارة في اللسان والأساس هكذا: «طوي لمن مات في النافذة»؛ والنافذة:
أول الإسلام؛ قال الزمخشري: ومساها الضعف قيل أن يقرى ويمن.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيه؛ انظر رسائل ديع الزمان.

(٣) في المصادر التي بين أيدينا لهذه الرسالة: «أسكني» بالهاء.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن قيمة الفهر.

(٥) الخلف بفتح الخاء وسكون اللام: الأردباء الأخصاء؛ ومصدر البيت: «ذهب القين يماش

في أكلهم». (٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيه إثباتها؛ انظر كشف المعاني
والبيان عن رسائل ديع الزمان ص ٣٠٣ طبع بيروت.

يديه، والقيامُ والصلاةُ شريكتا عيانٍ؛ وأُشِيتُ عليه، والثناءُ عند الله بمكاتب؛
وأخلصتُ له، والإخلاصُ مشكورٌ بكلِّ لسان.

ومن كلام أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد — وكان وزيرا كُتُبا —
كتب عن ركن الدولة بن بويه كتابا لمن عصى عليه :

كُتُبا وأنا متريِّجٌ بين طمع فيك، وإياس منك، وإقبالٍ عليك، وإعراض
عنك؛ فإنك تُدلي بسابقِ خدمة، وتُمتّ بسالفِ حُرمة؛ أيسرها يوجب رِطابة،
ويقتضي عاقلةً وعناية؛ ثم تَسفُهما بحادثِ غُلُولٍ وخيانة، وتُليهما بأنيبِ خلافٍ
ومعصية؛ وأدنى ذلك يُحيطُ أعمالُك، ويحققُ كلُّ ما يُرعى لك؛ لا جرمَ أني وقعت
بين مَيلِ إليك، ومَيلِ عليك؛ أقدمَ رجلا لَصَمَلِكْ، [وأؤثِرُ] أخرى عن قَصْدِكَ؛
وأبسطَ يدا لأصطلامِكَ وأجتنابِكَ، وأنجيَ ثانيةً نحو استبقاتِكَ واستصلاحِكَ؛
وأثوقِفَ عن امتثالِ بعضِ الأمورِ فيك ضنا بالنعمةِ عندك، ومناصاةً في البُنيةِ
لديك؛ وتأمِلا [لِقِيَمَتِكَ] وأنصراظِكَ، ورجاءَ لمراجعتِكَ واضطافِكَ؛ فقد يعزُبُ العقلُ
ثم يروِبُ، ويعزُبُ اللَّبُّ ثم يثوبُ، وينهبُ العزمُ ثم يعودُ، ويُفسدُ الحزمُ ثم يصلحُ،
ويضاعُ الرأيُ ثم يستلوكُ، ويسكرُ المرءُ ثم يصحو، ويكدرُ الماءُ ثم يصفو؛
وكلُّ ضيعةٍ إلى رخاء، وكلُّ غمرةٍ إلى أتعلاء؛ وبما أنك أتييتَ من إساءةٍ لك
ما لم تحسبه أولياؤُك، فلا تدعُ أن تأتيَ من إحسانِكَ ما لم ترتقبه أصدقاؤُك؛ وبما

(١) يقال : بينهما شركةُ صان، إذا اشتركا على السواء، لأن الصان طائفتان مستريان.

(٢) في الأصل : « عليك »؛ وهو تعريف.

(٣) في قيمة الفهرج ٣ ص ١٠ طبع دمشق : « لَصَمَلِكْ »؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين.

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أشتقتها عن قيمة الفهرج.

(٥) في قيمة الفهرج : « لاستبقاتِكَ ».

(٦) في القيمة : « فلا بدع »؛ أي بالباء المحذوفة؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين.

- استمرت بك الغفلة حتى ركبته ما ركبت، واحتوت ما احتوت، فلا عجب أن تنبه انبهاة تبصر فيها قبيح ما صنعت، وسوء ما آثرت؛ وساقم على رمي في الإبقاء والمساكلة ما صلب، وصل الاستيناء والمطاولة ما أمكن، طمعا في إناستك، وتحكما^(١) لحسن الظن بك؛ فلست أعدم فيها أظاهره من إغذارك، وأرادفه من إنذارك، احتجابا عليك، واستدراجا لك؛ وإن يشاء الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حقلك ويسدّدك؛ فإنه على كلّ شيء قدير.

- وفي فصل منه : وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسّطها، وإن كنت كذلك فقد عرفت حالتها، وحلبت شطريها، فناشدتك الله لك صدقت عما أسألك : كيف وجدت ما زلت عنه، وتجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلّ خليل، ونسيم طيل، وريح بيل، وهواء ندى، وماء روى، ومهاد روى؟^(٢)
 ١٠ وكنّ كئين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقبك المتالف، ويؤمّنك المخاوف، ويكفّك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحداث، عززت به بعد الذلة، وكثرت بعد الفلة، وارتفعت بعد الضعة، وأيسرت بعد العسر، وآثرت بعد المتربة، وأسمعت بعد الضيق، وأطافت بك الولايات، وحفقت فوقك الرايات، ووطئ عبقك الرجال، وتعلقت بك الآمال؛ وصرت تكاثروا ويكاثروا بك، وتشير ويشار إليك؛
 ١٥

(١) في الأصل : "وتحكيمك بحسن" والسياق يقتضيه ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : "ندى" بالثين المعجمة ؛ وفي قيمة الدهر "ندى" ؛ وهو تحريف في كليهما ؛

وسباق السبابة يقتضيه ما أثبتنا .

(٣) في الأصل : "ريو ملك" باللام، وهو تحريف .

(٤) في الأصل : "ودت" وهو تحريف .

٢٠

(٥) في قيمة الدهر ج ٣ ص ١١ طبع دمشق : "وظفرت بالولايات" ؛ والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .

ويذكر على المنابر اسمك، وفي المحاضر ذكرك؛ فقيم أنت الآن من الأمر؟ وما العوض مما ذكرت وعددت، والتلف عما وصفت؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة هسك، ونفضت منها كفك، وغنمت في خلافتها يدك؟ وما الذي أظلك بعد انحصار ظلها عنك؟ أظلل ذو ثلاث شعب، لا غليل ولا بُعني من الألب؟ قل: نعم، فذلك واقع أكثف ظلالك في العاجلة، وأزوحها في الآجلة؛ إن أملت على الحماة والعنود، ووقفت على المشاقة والجحود^(١).

ومنه: فامل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كلامي فستذكروا، وليس جسدي فأنظر هل يحس، وأجسس عرقك هل يفيض، وقش ما حني عليه أضلاعك هل تجد في عرضها قلبك؟ وهل حلا بصدرك أن تظفر بوقوت مريح^(٢) أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده، وأترشائك بأوله.

وكتب الصاحب أبو القاسم كافي الكفاة في وصف كتاب: ومن هو الذي لا يجبه وهو علم الفضل، وواسطة الدهر؛ وقرارة الأدب والعلم، وجمع التوايه والفهم؛ آمن يرض عن مكثرة بن يسب الربيع إلى خلقه، ويكتسب محاسنه من طبعه، ويتوقع بأنواره، ويتوقع بأثار لسانه ويده؟ وصل كتابه، فارحمت: لعنوانه قبل عيانه، حتى إذا فضضت ختامه أقبلت الفقر تنكرا، والدرر تنكرا؛ والفرر تراكم، والتكت تراحم؛ فلذا حكمت للفظه بالسبق أنت أختها لتنافس^(٣).

(١) العنود: من عتد من الطريق إذا مال.

(٢) كذا في القيمة؛ والقي في الأصل: "مكركها".

(٣) كذا في الأصل؛ والقي في قيمة الدهر: «مريح» والمعنى يستقيم على كلتا الرأيتين.

والمرج: السرج المعجل. والمرج: من الإزاحة، وهي الإبعاد.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضئ إبانها. (هـ) لعل: «خالف»؛ إذ به

تم السج الذي ترواه الكتيب في أكثر رسالته؛ والتأخر: التباكم في الصخر.

- وأقبلت لديها تنفانر؛ حتى استعيت من الحكومة، ونفضت يدي من غبار
الخصومة؛ وأخذت أقول : كلكت صَوَادُر عن أصيل واحد قسائِن، وأرفاد من
معدن رافد قَصَالَتِن، وقد وليت النظر بينهما من كل لِنَسَج بُرودِهما، ووقى بنظيـ
عُقودِهما؛ على أني يامولاي أنشأت هذه الأحرف وحولى أعمال وأشغال لا يسلم
معهما فِكْر، ولا يسلم بينهما طبع؛ وتناولت قلما كالابن العاق، بل العدو المَشَاق؛
إذا أُرِدْتُهُ اسْتِقَال، وإذا قَوْمْتُهُ مال؛ وإذا حَثَّيْتُهُ وَقَف، وإذا وَقَفْتُهُ انْحَرَف؛ أحل
النَّشَق؛ متفاوت البري، معدوم الجري؛ محرف القط، مبيح الخط؛ ثم رأيت
العدول عنه ضريا من الاتقياد لأمره، والانتزاع في سلكه، بفهمته على رَغْمِه،
وكده على صبره؛ لا جرم أت جنابة اللجاج بادية على صفحات الحروف لا تخفى،
وعادة الهك لائحة على وجوه السطور تقبلى .

- وكتب : واقع يعلم أني أخبرت بورود كتابه واستغزني الفرح قبل رؤيته ،
وهز عطفي المرح أمام مشاهدته ؛ فإ أدرى، اسمعت بورود كتاب، أم ظفرت
برجوع شباب ؟ ثم وصل بعد انتظار له شديد، وتطلع الى وصوله طويل عريض؛
فتأملت فلم أدر ما تأملت ، أخطا مسطورا ، أم روضا مطورا ، أم كلاما منشورا ،
أم وقفا منشورا؟ ولم أدر ما أبصرت في أشائه، أبيات شعر، أم عقود دُر؟ ولم أدر
ما جُمِئت، أغيت حل بوادي ظلمان، أم غوت سبق إلى هُمان؟

وكتب : وصل كتاب القاضى فَأَعْظَمْتُ قَدْرَ النِّعْمَةِ فِي مَطْلَعِهِ، وَأَجَلَّتْ مَحَلُّ
الموهبة بموقعه، وفضضته عن السحر حلالا، والماء زلالا؛ وسرحت الطرق منه

(١) في الأصل : «وارد» ؛ وهو محرف لا يستقيم به المعنى .

(٢) الأصل : المال .

(٣) النسيج : المعنى اللغوي . (٤) الهك : القاضى في المباح والنسب .

في رياض رقت حواشيا، وحلّل تآقق واشنيا؛ فلم أتمجوز فصلا إلا إلى أخطر منه
فضلا، ولم أخط سطرًا إلا إلى أحسن منه نظرًا ونثرًا.

وكتب أيضا: وصل كتابك بطلعتُ وُصوله عيدًا أفرّخ به أيام بهجتي، وأنتج
به موافقت غيظتي؛ وعرفتُ من خبر سلامتك ما سألتُ الله الكريم أن يصله
بالدوام، ويرفعه على أيدي الأيام.

وكتب أيضا: وصل كتابه — أيده الله — يضحك عن أخلاقه الأرجية،
ويتهلّل عن عشرة العطرة؛ ويُخبر عن عافية الله لمن رأيتُ شمل الحُرّة به متظلمًا،
وشعب المروعة له ملثما؛ ويصلّ من أنواع ربه ما أقصر عن ذكره، ولا أطمع
في شكره؛ ويؤدّي من لطيف اعتذاره في أثناء عتبه، ما تزداد أسباب الموكّة تمهيدا
به؛ وفيهمته، ورغبته إلى الله بأخلص طوية، وأعصى نية^(١).

وقال أبو الفرج البیضاء من رسالة إلى حنة النّوّلة أبي تطلب جاء منها: أضح
دلائل الإقبال، وأصدّق براهين السعادة — أطال الله بقاء سيّدنا — ما شجعت
العقول بصحته، ونطقت البصائر بحقيقتيه، ونعمة الله على الدنيا والدين بما أولاها
من اختيار سيّدنا لحراستهما بناظر فضله، وسرّهما بظلم عدله؛ مُفصّلة بتكامل
الإقبال، مُبشرة بتصديق الآمال

عموسة صين الشكر الوفي لها * على الزيادة تيل السؤل والدرك

(١) في الأصل: «أخسر» بالصاد، وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «ولم أخط» وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بد: «إلا إلى».

(٣) في الأصل: «عما»؛ وسياق العبارة يقتضي ما أثبتنا.

(٤) إلى هنا ردت هذه الرسالة في الأصل؛ والكلام بقية سقطت من النسخ، ولم تبق عليه في

بين أيدينا من المخطان.

تَحَقَّقُ الْمَصْرُاتُ الْمَلَكُ مِنْذُ نَشَأَ * لَهُ أَبُو تَغْلِبَ أَسْمُ فَيْرُ مُشْتَرِكٍ
وَأَسْتَخْلَفَ الْفَلَكَ الدَّوَّارُ هَمَّتْ * فَلَوْ تَوَى أَغْنَتْ الدُّنْيَا عَنِ الْفَلَكَ
مَأْمُونُ الْمَغْفُوتِ ، مَتَنَاصِرُ الصِّفَاتِ ؛ رَبُّنِي الْقَاسِمَةُ ، حَمْدَانُ السِّيَاسَةِ ،
نَاصِرُ الرِّيَاسَةِ ؛ عَطَارِدِي الذِّكَاءِ ، مَوْفِقُ الْآرَاءِ ؛ شَمْسِي التَّائِيهِ ، قَمَرِي التَّصَوِيرِ ،
فَلَكَ التَّدْيِيرِ ؛ لِلصِّدْقِ كَلَامُهُ ، وَلِلْعَدْلِ أَحْكَامُهُ ، وَلِلْوَفَاءِ ذِمَامُهُ ، وَلِلْحَسَامِ غَنَاقُهُ ،
وَلِلْقَدْرِ مَضَاوِهُ ، وَلِلسَّحَابِ عَطَاوُهُ

دَعْوَتُهُ فَاجَابَتْنِي مَكَارِمُهُ * وَلَوْ دَعَوْتُ سِوَى نِعْمَاءٍ لَمْ تُجِبْ
وَجَدْتُهُ النِّيثَ مَشْغُوفًا بِمَادَتِهِ * وَالرُّوْضُ يَحْيَا بِمَا فِي عَادَةِ السَّحْبِ
لَوْ فَاتَهُ النَّسَبُ الْوَضَّاحُ كَانَ لَهُ * مِنْ فَضْلِهِ نَسَبٌ يُفْنِي عَنِ النَّسَبِ
إِذَا دَعَتْهُ مَلُوكُ الْأَرْضِ سَيِّدَهَا * طَرَا دَعْوَتُهُ الْمَعَالَى سَيِّدَ الْعَرَبِ .
وَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ الْقَاشَانِيُّ :
(٤)

مَا أَرْضَى نَفْسِي لِمُخَاطَبَةِ مَوْلَايَ إِذَا كُنْتُ مَتْنِي الشَّوَاظِلَ ، فَارَغَ الْخَوَاطِرُ ،
تَحُلَّ الْجَوَارِحُ ، مَطْلَقَ الْإِسَارِ ، سَلِيمَ الْأَفْكَارِ ، فَكَيْفَ مَعَ كَلَالِ الْحِلَّةِ ، وَانْفِلَاقِ
الْقَهْمِ ، وَاسْتِبْهَامِ الْقَرِيحَةِ ، وَاسْتِمْبَاحِ الطَّبِيعَةِ ؛ وَالْمَعْوَلُ عَلَى النِّيَّةِ ، وَهِيَ لِمَوْلَايَ
يُظْهِرُ النَّيْبَ مَكْشُوفَةً ، وَالْمَرْجِعُ إِلَى الْعَقِيدَةِ ، وَهِيَ بِالْوَلَاءِ الْمُخَيَّصِ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلَا يَجَالُ
الْعُصْبُ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، لِيَلْمُزَ وَرَاءَ هَذِهِ الْخِلَالِ .

(١) يقال : تناصرت الصفات ، إذا صدق بعضها بعضاً .

(٢) الربي : نسبة إلى الربيع على غير قياس .

(٣) عبارة الأصل : « مشغوطاً بتأدية » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ، والتصويب عن بيتية

الدمرج ١ ص ١٨٧ طبع دمشق

(٤) كذا في الأصل . والحق في بيتية الدمرج ٢ ص ١٠١ طبع دمشق : « أبو القاسم » .

وقال محمد بن العباس الخوارزمي : الحمد لله الذي جعل الشيخ يضرب في المحاسن بالفتح الممل، ويسمو منها إلى الشرف الأعلى ، ولم يجعل فيه موصفا للولا، ولا جمالا لإلا ؛ فإن الاستثناء إذا اعترض في المدح أنصب ماؤه، وكثر صفاؤه، وأطلق فيه حسائه وأعداؤه؛ ولذلك قالوا : ما أحسن الظبي لولا خلص^(١) أفه ! وما أحسن البدر لولا كلف وجهه ! وما أطيّب النحر لولا الخمار ! وما أشرف الجود لولا الإختار ! وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر ! وما أطيّب الدنيا لو دامت

ما آلم الناس أن الجود مكسبة * محمد لكتته يأتي على النسيب.

(١٦١)

ذكر شيء من رسائل فضلاء المغاربة ووزرائهم وكناهم

من ذكرهم ابن بسام في كتابه المترجم بالخيرة

في محاسن أهل الجزيرة

منهم ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون ، فن كلامه رسالة كتبها على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري إلى إنسان استمالها إلى نفسه عنه، وهي :

أما بعد، أيها المصاب بعقله ، المورط بجعله ، البين سقطه ، الفاحش ضلعه ؛ العائر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ؛ الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهاافت^(٢) تهافت القفراس في الشهاب ؛ فإت العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أضوب ؛ وإنك راسلني مستهديا من صلبى ما صيرت منه أيدي أمثالك ، متصديا من

(١) الخنس يفتح الخاء والتون : تاتر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأذنية .

(٢) كذا في مرجع البيروني ص ١١ طبع ببولاق ، وفي الأصل : «ال» ؛ والتهافت : التناطح .

خَلَقَ لَنَا قُرَيْشٌ فِيهِ أَنْوُفٌ أَشْكَالِكْ؛ مَرِيسًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتَكَ
قَوَادَةً؛ كَاذِبًا فَهَسَكَ [أَنْتَكَ] سَتَرَلِ عَنْهَا إِلَى، وَتَحَلَّفَ بِعَلَمِهَا عَلَى^(١)
وَلَسْتُ بِأَقْبَى ذِي هِمَّةٍ • دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّالِ^(٢)

- ولا شَكَ في أنها قَتَلَتْكَ إِذْ لَمْ تَقْضَ بِكَ، وَمَلَكَكَ إِذْ لَمْ تَهْرُطْ بِكَ، فَإِنَّمَا أَغْلَرَتْ
في السَّفَارَةِ لَكَ، وَمَا قَصَّرَتْ في النِّيَابَةِ عَنْكَ؛ زَاعِمَةً أَنَّ المَرْوَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ،
وَالْإِنْسَانِيَّةُ أَسْمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ؛ قَاطِعَةً أَنَّكَ أَفْرَدْتَ بِالْجَمَالِ، وَأَسْتَثْنَيْتَ
بِالْكَجَالِ، وَأَسْتَعْلَيْتَ في مَرَاتِبِ الْجَلَالِ، وَأَسْتَوَلَيْتَ عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ؛ حَتَّى
خَلَيْتَ أَنْتَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَنَكَ فَفَضَضْتَ مِنْهُ، وَأَنْتَ أَمْرَاءُ الْعَزِيزِ
وَأَنْتَ فَسَلْتَ عَنْهُ؛ وَأَنْتَ قَارُونَ أَصَابَ بَعْضَ مَا كَذَّرْتَ، وَالنَّطْفَ عَثَرَ عَلَى فَضْلِ^(٣)

- (١) في بعض نسخ هذه الرسالة: «دعته»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.
(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ وقد أثبتناها عن شرح البيهقي في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة
المصري ص ١٤ طبع بولاق.
(٣) البيت قنبي.
(٤) وردت هذه الفقرة في الأصل قبل قوله: «قاطعة» الخ والسياق يقتضي تأخيرها كما في شرح
البيهقي ص ٢١

- (٥) العلف: هو آبن جدير بن حنظلة اليربوعي؛ وكان مقبياً بالبادية مع بني تميم؛ وكان من أمره أن
يأمل كسرى على اليمن كان يحمل ثياباً من ثياب اليمن وذهباً ومسكاً ويوحراً، ويرسله إلى كسرى مع خفراء.
من بني الجند المرأزية إلى أن يصل إلى أرض بني تميم، فيبحث معها هوزة من يجاوزها أرض بني تميم، فلما
كانت في بعض السنين في أرض بني حنظلة تمرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بيها من العرب
والقرص، وكان فيمن قتل ذلك ناجية بن عقاب والحارث بن عقبة والعلف بن جبير هذا، وكانوا فرسان
بني تميم، فهبوا الأموال، فغسل العلف على شيء كثير، ففرض به المثل. انظر شرح البيهقي ص ٢٥ طبع
المطبعة الأميرية. والباقي في اللسان مادة «نطف» فقلنا عن ابن بري أنه ابن الخبيري أحد بني سليط
ابن الحارث بن يربوع؛ وقيل عن ابن دويد أيضاً أن اسمه سلطان.

ما ركزت^(١) وكسرى حمل غاشيتك^(٢)، وقيصَرَ رعى ماشيتك^(٣)؛ والإسكندر قتل دارا^(٤) في طاعتك^(٥)، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك^(٦)؛ والقبائل^(٧) استدعى مسالتك^(٨)، وجذبة الأرض^(٩) تمنى منادمتك^(١٠)؛ وشيرين نافست^(١١) بوران فيك^(١٢)؛

(١) هو من الركا، وهو دفين مال الجاهلية .

(٢) أراد غاشية السرج، وهي شلاله .

(٣) هو دارا الأصغر ابن دارا الأكبر ابن أردشير ملك الفرس؛ وكان بينه وبين الإسكندر بن فليب ملك الروم حرب بسبب إتاوة كانت يدفعها أبر الإسكندر لملك الفرس، فلما جاء الإسكندر منع هذه الإتاوة، فخاربه دارا، ولحق الجلمان بتعيين الجزيرة، وانتهت الوقعة بقتل دارا وانتهزام الفرس انظر شرح العمري وقد اعتدنا عليه في أكثر فرحاتنا لما ورد في هذه الرسالة من الحوادث التاريخية والأبيات والأمثال .

(٤) أردشير : هو ابن بابك من ولد بهمن الملك؛ وأردشير هذا أول الفرس الثانية؛ وكان من أمره وأمر ملوك الطوائف أن الإسكندر لما قتل دارا أكثر ملوك الفرس، وفرق من بيني منهم، وصاحم ملوك الطوائف صارت المملكة اليونان، فلما توفي الإسكندر وتقامر ملك اليونان بعد مدة تحرك أردشير - وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اسطخر -، وخرج طالبا للآل، وأومر أنه يطلب بثار ابن عمه دارا، وجمع الجميع، وكتب ملوك الطوائف في ذلك، فقام من أماله ومنهم من تأخره، فخرج بساكره فقتل المختار، ثم صلف على بقيتهم فقتلهم، وتسمى بعد ذلك شاختشاه الأعظم، وصماه : ملك الملوك .

(٥) الضمك : يزعم قوم أنه ابن الأعيوب بن هوج بن طهموث بن آدم، وهو ابن أخت جشيد بن أوشينج . وقال قوم إنه من العرب من قحطان، وإيمانية كدجيه . وملك بعد جشيد، خلفي وتجهز وكثر ظله وفساده، وطالت مدته في الملك حتى قتل .

(٦) هوجذبة بن مالك بن طاهر التتوي، وقيل : الأزدي، أول من قاد العرب وملك على قضاة وكانت منازل الحيرة والأنبار، وكان أبرص، فدخل عن هذا الاسم : الأبرش بالثين المسجبة، والروضاح .

(٧) شيرين : هي زوجة أبرويز بن هرم من ولد كسرى أنوشروان .

(٨) بوران : هي بنت أبرويز المظلم . وقد ملكت بعد فهر يار بن أبرويز .

وَيَقْتِيسُ ظَاهِرَ الزَّيَاءِ عَلَيْكَ؛ وَأَنْتَ مَالِكُ بْنُ نُورَةَ ^(١٣) إِنَّمَا دَفَعَ لَكَ؛ وَعُرْوَةُ بْنُ جَعْفَرٍ ^(١٤) إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ؛ وَكَلِيبُ بْنُ رَيْمَةَ ^(١٥) إِنَّمَا حَمَى الْمَرْغَى بِمِزَّتِكَ؛ وَجَسَاسًا ^(١٦) إِنَّمَا قَتَلَهُ بِأَنْفَتِكَ؛ وَمَهْلَهْلًا ^(١٧) إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِبَهْمَتِكَ؛ وَالسَّمُوطُ ^(١٨) إِنَّمَا وَقَى عَنْ مَهْدِكَ،

(١) بقيس : هي ابنة الحرث بن سبأ ، وقصتها في القرآن معروفة في سورة النمل .

- (٢) الزباء ، هي ملكة الجزيرة ؛ وتصلت من ملوك الطوائف ؛ ولقيت الزباء لكثرة شعرها وطولها ، واسمها : بارقة ، أو ميسون ؛ وهي ابنة عمرو بن الظرب . وقد قتلته جذية الأبرش وأخذت ملكة وقامت هي بأخذ ثأره . انظر القاموس وشرحه .

- (٣) هو مالك بن نورية بن شداد البربري القيسى ، فارس ذى الخمار — وذو الخمار فرسه — وكان مالك من فرسان السرب وبجسانهم ، وذى الرذافة في الجاهلية ، وكانت الرذافة لبيج يربوع أمام آل المنذر ؛ وأدرك مالك بن نورية الإسلام وأسلم ، وقطعه خالد بن الوليد في حروب أهل الردة في زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه . وفي اللسان مادة دَفَعَ أن أرداف الملوك في الجاهلية : الذين كانوا يحققونهم في القيام بأمر الملكة بمنزلة الوزراء في الإسلام .

- (٤) هو عروة بن حبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة ، وأهل يثرب يتنسبون إلى جعفر ، فيقال : الجعفريون ؛ وكان يسرف بمروءة الرجال لرسله إلى الملوك ؛ وكان من ذوى العقل والشهامة ، وهو من أرداف الملوك .
- (٥) هو كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلي ؛ ويضرب به المثل فيقال : "أحرز من حى كليب" وكان يحى مواقع السحاب فلا يراه أحد غيره ، وكان إذا مرّ يمرحى قلقت فيه جيروا فيسمى ، فلا يرى أحد من ذلك الكلاب .

- (٦) جساس : هو ابن مرة بن ذهل ، وهو قاتل كليب ؛ وسبب ذلك أن كليبا رأى بين إلهة تافه كانت ثلاثة جساس فأذكروها ورواها بهم في ضرعها ، فظلم ذلك هل جساس وخالفه ، فلم يزل جساس يكليب حتى قتله .

(٧) مهلهل : هو ابن ربيعة بن الحرث أخو كليب المتقدم ذكره ، ومهلهل لقبه ، واسمه مدي ، ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل نسج الثمر ، أى أرتقه ؛ وهو خال امرئ القيس بن جهر .

(٨) السموط : هو ابن مادياء من بني يثرب ؛ وكان يضرب به المثل في الوفاء فيقال : «أوفى من السموط» .

والأخنف إنما آحتي في بركك؛ وحامنا إنما جاد بقرئك، ولقي الأضياف بيشرك؛
وزيد بن مهلهل إنما ركب فضحك، والسليك بن السلكة إنما علنا على رجلك،
وعامر بن مالك [إنما لاعب الأسته بيدك؛ وقيس بن زهير] إنما استعان بدعائك،
ولياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك؛ ومحبان إنما تكلم بلسانك،

(١) الأخنف : هو الضحك بن قيس بن معاوية بن حسن السدي، وكنيته : أبو هريرة، وكان يضرب به المثل في الحلم والسيادة ؛ وكانت وفاته بالكوفة سنة سبع وستين كما في وفيات الأعيان والقي في شذور القنود لابن الجوزي أن وفاته كانت سنة سبع وستين .

(٢) حوادم بن عبد الله بن سعد الطائي، وكنيته أبو سفاة يشديد الفاء وأبو مدى؛ و يضرب به المثل في الجود . (٣) هو زيد بن مهلهل بن زيدان الطائي؛ وكان فارسا مظهرًا جيد الصيت، أدرك الإسلام وأسلم، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وكان قبل ذلك يسمى زيد اتليل بالأمم، وإنما سمى بذلك لكثرة غيلة . (٤) السليك : هو ابن عمرو بن يثرب، أحد بني مقاص؛ والسلكة أمه، وهو جاهلي؛ وكان من مصاليك العرب ولمصرهم الذائمين الذين كانوا لا يلقون ولا تسلق بهم التليل .

(٥) حوادم بن نفاك بن جعفر بن مصعب، ويعرف بلعاب الأسته، ويكنى أبا براء، وأمه أم البنين أحب امرأة في العرب، وإنما لقب بلعاب الأسته لقول أوس بن جحرفه :
لعاب أطراف الأسته طمر * فراح له حظ للكتاب أجمر

(٦) هذه التلكة مأخوذة من الأصل، وقد أثبتناها عن النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . وقيس بن زهير الذي ذكره : هو قيس بن زهير بن جذعة البسبي صاحب الحروب بين حبس وذيان بسبب الفرسين؛ داحس والبراء، وكان فارسا شاعرا داهية، يضرب به المثل فيقال : "أدهى من قيس" .

(٧) في الأصل : «بذهايك» بالذال والياء الموحدين، وهو تحريف .

(٨) هو لياس بن معاوية بن نزة الخزجي؛ ولي قضاء البصرة في زمن عمر بن عبد العزيز، وهو صاحب القرامطة والأجوبة البديعة، ويضرب به المثل فيقال : «أزكن من لياس»؛ وتوفي في سنة إحدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة .

(٩) هو محبان بن زهير بن لياس الرائي، — رائي بألفه — وكان خطيبا فصحا، يضرب به المثل في البيان والسنن، أدرك الإسلام وأسلم، ومات سنة أربع وخمسين .

وَعَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ إِنَّمَا يَجْعَرُ بِيَانُكَ ؛ وَأَنْ الصَّلَحَ بَيْنَ بَكْرٍ وَقَلْبَ تَمِّ بِرَسَائِكَ ، وَالْجَمَالَاتِ
فِي دِمَاءِ عَيْسٍ وَذِيَّانٍ أُسْنِدَتْ إِلَى كَفَالَتِكَ ؛ وَأَنْ أَحْيَالَ هَرَمِيمٍ لَعَامِي وَعَلَقَمَةَ حَتَّى
رَضِيَا كَانَ عَنْ رَأْيِكَ ؛ وَجَوَابَهُ لَعَمْرُوقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيْهَمَا كَانَ يَنْفَرُ وَقَعَ بَعْدَ مَشُورَتِكَ ؛

- (١) هو عمرو بن سنان الأهم القيمي المقرئ ، وإنما لقب أبوه بالأهم لأنه هتمت نتيجته يوم
الكلاب ؛ وكان عمرو هذا من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام ، وقد
وقد عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزيقران بن بدر وأسلماء ، وتوفي عمرو في سنة سبع وخمسين .
- (٢) بكر وقلب هما ابن وأخت ؛ وأشار بهذه العبارة إلى ما وقع بين الحيين من الحروب المسماة بحروب
اليوس ، وقد استمرت أعواما كثيرة إلى أن تناهى الحيان ، وصحبها قتل جساس بن مرة لكليب كما سبق
ذكره ، إلى أن استسلم في الصلح بينهم الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي ملك كندة ، وهو جد
أمرئ القيس الشاعر ، فلكوه طعم قتلى قبيلتهم .
- (٣) الجمالات : جمع جملة يفتح الحاء ، وهي ما يسلمه الرجل عن القوم من دية أو غرامة . وأشار بهذه
العبارة إلى ما وقع بين عيس وذيان من الحروب الكثيرة بسبب داحس والبراء ، وهما فرسان : أولهما لقيس
ابن زهير من عيس ، والثاني لحذيفة بن بدر من ذيان ؛ وذلك أن رجلين تراجعا على أي الفريقين أسبق ،
فلما سبق داحس وهو فرس عيس بن زهير أخذ لقيس سبق فرسه من حذيفة ، ثم وقعت بعد ذلك الحروب
التي سلف ذكرها بين الحيين ، وكان أعظمها يوم الهباءة ، إلى أن أصلح بينهم هرم بن سنان والحارث بن
عوف وحلوا عن القوم المفارم والديات ، وأدبوا ذلك القوم من مالهما .
- (٤) هو هرم بن قلبية بن سيار من بني فزارة كما في اللسان مادة «هرم» . والقي في مسرح العيون
« ابن سنان » ؛ وهو مخريف . وكان هرم هذا حكا من حكام العرب يقضى بين ساداتهم فلا يرد
فضاؤه . وطامر : هو ابن العقيل بن مالك . وطقمة : هو طقة بن علاقة بن جعفر من بني عامر بن
محصنة ؛ وكان عامر وطقمة قد تنازرا إلى هرم بن سيار ليحكم أيهما أفضل وأكرم حسبا ، فذكر هرم أن
يفضل أحدهما على الآخر وسوى بينهما ، ونشئ الصداقة التي قطع بينهما بسبب تفضيل أحدهما على
الآخر .
- (٥) يقال : نافرته إلى الحكم فنظر عليه ، أي حاكمه فظنني عليه انظر الأساس ؛ وأشار بهذه العبارة
إلى ما وقع بين عمر بن الخطاب ورضي الله عنه وهرم بن سيار المتقدم ذكره ، وذلك أن عمر سأله يوما ،
وقال له : يا أبا عمرو أيهما كنت تنفر ؟ — يعني طقة وطامرا — ومن كان عنك الأفضل منهما ؟
فقال هرم : لو كنت الآن فهما كلفة لمادت جلفة ؛ يعني الحرب بين الحيين ، فأعجب عمر لهذا القول من
هرم ، وقال : يعني حكمتك العرب .

وَأَنَّ الْجَحَاجَ قَهْلَ دِلَايَةِ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ، وَتَحْقِيقَهُ فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ ؛ وَالْمُهَلَّبُ^(١٢)
أَوْهَى شَوْكَةِ الْأَزَارِقَةِ بِأَيْدِكَ، وَأَهْضَدَ نَازِلَ يَدِيهِمْ بِكَيْكَ ؛ وَأَنَّ هِرْمَسَ أَعْلَى^(١٣)
يَلِينُوسَ مَا أَخَذَ مِنْكَ ، وَأَفْلَاطُونُ^(١٤) أَوْرَدَ عَلَى أَرِسْطُوطَالِيَسَ مَا حَدَّثَ عَنْكَ ؛

(١) الجحاج : هو ابن يوسف بن أبي عقيل الخنزي ؛ وكانت ولادته في سنة إحدى وأربعين ،
وَنَشَأَ بِالطَّائِفِ ؛ وَدَلَّ الْعِرَاقَ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ رَاجِعَ خَطِّهِ ابْنِ أُمَيَّةَ ، فَأَخَذَ الْخَنَزِيَّةَ ، وَأَدْوَى
شَوْكَةَ الْخَوَارِجِ عَنْكَ ؛ وَتَوَقَّى بِوَسْطِ سِتِّ خَمْسٍ وَتَسْعِينَ .

(٢) تَحْقِيقُهُ : هُوَ ابْنُ مُسْلِمٍ بْنِ عَمْرِو الْبَاهِلِيِّ ؛ نَشَأَ فِي الْفِجْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ وَتَوَقَّى إِلَى أَنْ دَلَّ الْإِمَارَاتِ ،
وَفَتَحَ الْقَنْصَلَاتِ الْكَثِيرَةَ ؛ وَكَانَ وَالِيًا عَلَى خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِسَدِّ يَدِيهِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ،
وَهُوَ الْقِيَّ فَتَحَ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ؛ وَفِي وَفَايَاتِ الْأَحْيَانِ أَنَّهُ تَوَقَّى سِتِّ سِتِّ وَتَسْعِينَ . وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ :
يُرَادُ بِهِ مَا وَرَاءَ نَهْرِ جَبْرُونَ بِخُرَاسَانَ ، فَكَانَ فِي شَرْقِهِ يُقَالُ لَهُ : بِلَادُ الْهَيْلِطَّةِ ، وَفِي الْإِسْلَامِ سَمُوهُ :
مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ، وَمَا كَانَ فِي شَرْقِيهِ نَهْرُ خُرَاسَانَ وَدِلَايَةُ خَوَارِزْمَ .

(٣) الْمُهَلَّبُ : هُوَ ابْنُ أَبِي صَفْرَةَ الْأَزْدِيِّ الْمَنْكِيِّ الْبَصْرِيِّ ؛ وَقَدْ نَشَأَ فِي دِفْعَةٍ ابْنِ أُمَيَّةَ ، ثُمَّ أَمَرَهُ مَعْصُومُ
ابْنِ الزَّيْبِرِ عَلَى الْبَصْرَةِ نِيَابَةً عَنْهُ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، ثُمَّ وَلَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ خُرَاسَانَ ؛ وَهُوَ الْقِيَّ فَاتَّلَّ
اَلْخَوَارِجَ وَأَدْوَى شَوْكَتَهُمْ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي زَمَنِ الْجَحَاجِ سِتِّ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ . وَالْأَزَارِقَةُ : هِيَ اَلْخَوَارِجُ
الْقَاتِلُونَ بِمَذْهَبِ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَزْدِيِّ ، فَسَبُّوا إِلَيْهِ .

(٤) هِرْمَسُ ، ذَكَرَ ابْنُ نَبَاتَةَ فِي سِرْحِ الْبَيْهُقِيِّ ص ١٠٨ أَنَّ هِرْمَسَ هُوَ الْقِيَّ يَزِمُ قَوْمَ مِنَ الصَّابِئَةِ
أَنَّهُ نَحْبُ مَرْسَلٍ ، وَأَنَّهُ إِدْرِيسُ طَلَبِ السَّلَامِ وَيَسْتَدِينُ إِلَيْهِ شِرَافَتَهُمْ . وَيَلِينُوسُ هُوَ الْقِيَّ يَزِمُ الصَّابِئَةَ
أَيْضًا أَنَّ النِّيَّةَ لَهُ بِسَدِّ هِرْمَسَ ؛ وَكَانَ يَلِينُوسُ قَدْ أَخَذَ الْعِلْمَ وَالْأَسْرَارَ مِنْ هِرْمَسَ هَذَا .

(٥) أَفْلَاطُونُ : هُوَ ابْنُ أَرِسْطُطَاسَ ، اَلْأَلَمِيُّ ، مَسْرُوفٌ بِالْفَرَجِ وَالْحِكْمَةِ ، تَنَزَّلَ لِمَعْرَاطَ ،
وَحَقَّقَهُ بِسَدِّ مَوْتِهِ ؛ وَهُوَ أَحَدُ الْمُشَافِينِ الْمَشْهُورِينَ ، وَهِيَ فِرْقَةٌ تَرَى مَدَارِسَةَ الْحِكْمَةِ فِي حَالَةِ اَلْأَشْيِ
لِرِيَاضَةِ الْبَدَنِ . وَأَرِسْطُوطَالِيَسُ : هُوَ ابْنُ نِيْقُومَانُوسَ ؛ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَسْلُومِ الْأَوَّلِ ، وَنَامِيَ سَمِي
بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ اَلْعَالِمَ الْمُحَقِّقَةَ ، وَقَدْ تَصَلَّى الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْلَاطُونِ وَهُوَ الْقِيَّ عِلْمُ الْإِسْكَندَرِ
ابْنِ فِيلِيبَ .

وبطلميوس سَوَى الْأَسْطُرلابَ بتدبيرك، وصَوَّرَ الكُرَّةَ على قدرك، وأَبْرَاطَ طَمَ^(١١)
الْعَلَّاءِ والأمراض بلطف حَمَكْ، وجالينوس عَرَفَ طبائعَ الحشائش بَدَقَّةِ نَظَرِكَ^(١٢)؛
وكلاهما قَلْبُكَ في السَّلاجِ، وسألكَ عن المِزاجِ؛ وأَسْتَوْصَفُكَ تَرْكِيبَ الأعضاء،
وَأَسْتَشَارُكَ في الدَّاءِ والدَّواءِ؛ وَأَنْتَ نَهَجْتَ لِأَبِي مَعْشَرٍ طَرِيقَ الْقَضَاءِ، وأَظْهَرْتَ^(١٣)

- (١) بطليموس : هو صاحب كتاب المجسطي الكبير والجغرافيا والأصطrolab وغير ذلك ، قال
جمال الدين بن نانة في شرح اليون ص ١١٢ إنه أول من شرح القول على حيث الفلك ، وأخرج علم
الهندسة من القوة الى القليل ، وأكثر الرواة يقولون : إنه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر . ١٥
وأكثر ذلك القليل في كتابه إخبار الأطباء بأخبار الحكماء ص ٩٥ طبع لبسك وقال ما نفعه : وكثير من الناس
من يدعى المعرفة بأخبار الأمم بغيره أحد البطالسة الذين ملكوا الاسكندرية وغيرها بعد الاسكندر ، وذلك
خط بين خطا واضح الخ . وأما الأصطrolab فنسخ المعرفة وضم الطاء كائن على منبه ابن خلكان في ترجمة
السيد الأصطrolabi : فقد قالوا : إنه بالغة اليونانية ميزان الشمس ، وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ
الأعداد وسطالع الكواكب .
- (٢) أبراط : هو صاحب الأطباء المشهورين الذين أولم أسقليبيوس وآخرهم جالينوس .
قال في شرح اليون : كان في زمن هيرمن بن استفديار وقال القليل في كتابه إخبار الأطباء بأخبار الحكماء
ص ٩٠ . وطبع لبسك أنه كان في زمن اردشير من ملوك الفرس جد دارا بن دارا . وهو التي بث صناعة
الطب في الناس ، ولم الفرباء بعد أن كانت هذه الصناعة مقصورة على طائفة يتوارثونها بالطقين ، ولم يكونوا
يكتفون فيها شيئا ، وهو أول من اتخذ الجيارستان ، وذلك أنه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للرضى ،
ويصل لهم عندما يقومون بمداراتهم ، وسماه : إنشيد ، أى جمع المرضى ، وكذلك قنطالجيارستان بالقارسية .
- (٣) جالينوس : هو آخر الحكماء المشهورين ، ويسمى خاتم الأطباء والمطهين ، وذلك أنه عند ما ظهر
وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ومحت محاسنها ، فانتدب لذلك وأجمل
آرائهم وشيد آراء أبراط والتأبين له ونصرها ، وساح وطلب الحشائش ، وجرى بها ، وقاس أوزنها
وطبائعا ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب القيمة في هذه الصناعة . (٤) في شرح اليون : « حملك » .
- (٥) أبو معشر : هو جعفر بن محمد بن عمر البغلي المنجم المشهور ، كان في الأول من أصحاب الحديث
يتنبداد ، وكان يشغ على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ، ويرى به السادة ، قدس له الكندي من حسن له
النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك ، ثم عدل الى أحكام النجوم ، فمهر فيها ، واقطع شره عن
الكندي لأن ذلك من جنس طوره ، وكانت وقته ستة اثنين وسبعين ومائتين . والمراد بالقضاء هنا : حكم
المنجمين بتأثير الكواكب أخذوا من قول الشاعر : « يعضون بالأمر ضها وهي غائفة » أى عن النجوم .

(١) جابر بن حيان على سر الكيمياء؛ وأعطيت النظام أصلاً أدرك به الحقائق، وجعلت للكندى^(٢) ربما استخرج به الحقائق؛ وأن صناعة الألمان اخترعك، وتأليف الأوتار توليدك وأبتدأك؛ وأن عبد الحميد بن يحيى يرى أفلامك، وسهل بن^(٣)

(١) قال في شرح البيون عند شرح هذه العبارة ماضيه: «وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يشهد عليه، وهذا دليل على قول أكثر الناس: إنه اسم موضوع وضعه المصفون في هذا الفن، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق». (٢) النظام: هو إبراهيم بن سيار ابن هاني البصري، وكنيته: أبو إسحاق؛ وهو شيخ من كبار المعتزلة وأتباعهم، متقدم في العلوم، شديد القوس على المالقي؛ وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة، كما في شرح البيون. وقال الصفي في كتاب الوافي بالوفيات إنه توفي سنة ثلاثين ومائتين تقريباً.

(٣) المكتنى: هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس، وكنيته أبو يوسف؛ وكان الكندي مشهوراً في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والحشية، وهو فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها؛ وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة الهدي والرشيد، وكان جده الأشعث بن قيس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمكتنى هذا تأليف مشهورة من المصنفات الطوال، ومن الرسائل القصار جملة متعددة، قال في كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٦٨ طبع لبسك قسلاً عن ابن جليل الأندلسي في كتابه: يعقوب بن الصباح الكندي كان شريف الأصل بصرى، وكان جده ولي الولايات لئى هاشم، ونزل البصرة، وانتقل إلى بغداد، وهناك تأدب، وكان مالماً بالعلم والفلسفة وعلم الحساب والمتعلق تأليف العلوم والمنسجمة وطبائع الأعداد والميزنة، وله تأليف كثيرة في فنون من العلم الخ. (٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، أحد الكتاب المجلدين الذين اشتهرت بلاتهم حتى ضرب بها المثل، وكان كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ظلم قتل مروان استنخى عبد الحميد حتى دثر به أصحاب أبي مسلم، فسلوه إلى السجاق، فسلوه إلى عبد الجبار صاحب شرطته فقتله سنة اثنين وثلاثين ومائة.

(٥) هو سهل بن طرون بن راهبون، وكنيته أبو عمرو، من أهل نيسابور، نزل البصرة فنسب إليها، ويقال: إنه كان شوبياً — والشوبية: فرقة تبغض العرب، وتشتب عليها القرس — وقد اقرده سهل في زمانه بالبلادة والحكمة، وصف الكتب ما راضى كتب الأوائل حتى قيل له: يذو حوز الاسلام، وله اليد الطولى في النظم والنثر؛ وكان في أول أمره غصيباً بالفضل بن سهل، ثم نقه إلى المأمون؛ فأعجب ببلاده وعقله، وجعله كاتباً على خزائن الحكمة، وهي كتب الفلاسفة التي قلت لأمون من بيزيرة قيس وفي سبم الأدياء لياقوت ج ٤ ص ٢٥٩ أنه توفي في سنة مائتين وخمسة عشر.

١١) هارون مدون كلامك ؛ وعمر بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك ؛ وأنتك
 الذى أقام البراهين ؛ ووضَعَ القوانين ؛ وحدَّ المساهية ؛ وبين الكيفية والكيفية ؛
 ونافذ في الجواهر والمرض ؛ وبين الصصة من المرض ؛ وفك المعنى ؛ وفصل بين
 الاسم والمسمى ؛ وضرب وقسم ، وعدل وقوم ؛ وصنف الأسماء والأفعال ؛ وروب
 الظرف والحال ؛ وبنى وأعرب ، ونفى وتسبب ؛ ووصل وقطع ، ونفى وجمع ؛ وأظهر
 وأختر ، وأبدأ وأخبر ؛ وأسفهم وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند ، وبحث ونظر ،
 وتصقح الأديان ، ورتج بين مذهبي ماني وغيلان ؛ وأشار بذبح الجملد ، وقيل بشار^(١٠)

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب ، زكنى أبا حنن ، وهو المعروف بالجاحظ ؛ وهو إمام الفصحاء
 والمكلمين ؛ وله بالهجرة ، ونشأ بفسداد ، واشغل على أبي إسحاق النظام بمذهب الاعتزال ، وتآكل كتب
 الفلاسفة ، ومال إلى الطبعين منهم ، وساد على المكلمين فصاحته وحسن صباه ؛ وتوفى بالقاج
 سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري ، زكنيه أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وصاحب
 كتاب الحوط ، وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه ولد في سنة خمس وتسعين ، وتوفى سنة سبع وسبعين ومائة .
 (٣) ماني : هو الذي نسب إليه الطائفة المانوية ؛ ظهر في أيام سابور بن أردشير ، وتبعه خلق كثير من
 الميوس ، وأدعوا له النبوة ، وكان يزعم أن صانع العالم اثنان : قاعل الخير ، وهو النور ، وقاعل الشر ، وهو
 الظلمة ؛ وقد قتل ماني في زمن بهرام بن سابور . وأما غيلان : فهو ابن يونس القندري "الدمشق" ، كان
 أبوه مولى لفيان بن حقان ؛ وغيلان أول من تكلم في الفساد وفسق القرآن ، وقد قتل غيلان في زمن هشام
 ابن عبد الملك .

(٤) الجلد : هو ابن درهم مولى بني الحكم ، كان يسكن دمشق ، ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء
 بني أمية ، قسب إليه ، وقيل له : مروان الجليدي ؛ وكان الجلد يقول بمقتل القرآن ، ثم طلب فهرب ،
 ثم نزل الكوفة فخطب من المنبر بين صفوان القول الذي نسب إليه الجهمية ، ولم يزل الجلد بن درهم بالكوفة
 حتى قتل خالد بن عبد الله القسري وإلى العراق من قبل هشام بن عبد الملك .

(٥) هو بشارة بن برد الشاعر المعروف ، من مخضري المدائني : الأموية والعباسية ؛ وكان جده
 من طغران من بني المهلب ؛ وكان بشاريتهم بالزندقة ؛ فأمر المهدي أن يضرب بالسياط ضرب الخف ،
 ف ضرب حتى مات ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائة ، ودفن بالهجرة .

ابن بُردٍ ؛ وأُنك لوشئتَ نحرقتَ العادات ، وخالفتَ المهودات ؛ فأخلتَ البخارَ
عذبةً ، وأعدتَ السلامَ رطبةً ؛ وَنَقَلَتْ غداً فصارَ أمسا ، وزدتَ في المناصر فكَانتَ
نَحْسا ؛ وأُنك المَقُولُ فيه : «كُلُّ الصيْدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا»^(٢)
و : ليس على الله بِمُسْتَكْرٍ * أن يَجْعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٣)
والمعنى قول أبي تمام :

فلو صوّرتَ نفسَكَ لم تُردّها * على ما فيكَ من كرم الطباغ

والمُرَادُ قول أبي الطيّب :

ذَكَرَ الْإِنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً * كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْيَاتِهَا
و«كُتِبَتْ خَيْرُكُمْ» وَفَضَحَتْ فِي غَيْرِغَمٍ ؛ وَلَمْ تَجِدْ رُوحَ مَهْرًا ، وَلَا لَشْفُورَةَ سَحْرًا ؛
بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ، وَتَمَيَّتَ الرَّجُوعَ بِمُخَى حَيْنٍ ، لِأَنِّي قُلْتُ لَهَا :
«لَقَدْ هَانَ مِنْ بَالِ عَلَيْهِ التَّعَالُبُ»^(٥)
وَأَنْشَدْتُ :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ حَرَنَ كُلُّهَا * عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ^(٦)

(١) السلام : المجارة الصلبة ؛ واحده سلمه يفتح السين وكسر اللام .

(٢) هو مثل يضرب لشيء المرئي على غيره . والقرا : حاور الوحش .

(٣) البيت لأبي نواس .

(٤) الكدم : الضغ يأنق القم ؛ والمكدم : مروض الضغ ؛ وهو مثل يضرب لمن يطلب شيئاً في غير

مطلبه . وفي بعض نسخ الرسالة : «كُتِبَتْ فِي فَيْر» .

(٥) في جميع الأمثال : «ذل» ؛ يريد : أنه بلغ في المخافة ظاهراً . وهذا مجازية لتأنيب بن ظالم .

السلي ؛ وتدل أنه لباس بن مرداس السلي . وصدر البيت : «أرب يول التلبان برأسه» والتلبان

بضم اللام واللام : ذكر الثالب . انظر اللسان .

(٦) البيت لأبي تمام .

وَتَحَرَّتْ وَكَفَرَتْ، وَهَمَسَتْ وَبَسَرَتْ، وَأَبْدَأَتْ وَأَعَدَتْ، [وَأَبْرَقَتْ وَأَرَعَلَتْ] ^(٣)
 وَهَمَسَتْ وَلَمْ أَفْصَلْ وَكَدْتُ [وَلَيْتِي] ^(٤) « وَلَوْلَا [أَنْ] لِلْجَوَارِ ذَمَّةٌ، وَلِلضَّيَافَةِ حُرَّةٌ، لَكَانَ
 الْجَوَابُ فِي قَدَالِ الْمُسْتَقَى، وَلَكِنْ النُّعْلَ حَاضِرَةً إِنَّ عَادَتِ الْعُقُوبُ، وَالْعُقُوبَةُ
 مِمَكْنَةٌ إِنْ أَصْرَ الْمَذْنِبُ، وَهَبَهَا لَمْ تَلَا حِفْظَكَ بَعَيْنَ كَلِيلَةٍ عَنْ عِيَالِكَ، مَلُوهَا حَيْبُهَا،
 وَحَسَنٌ فِيهَا مِنْ تَوَدَّ، وَكَانَتْ إِنَّمَا حَلَّتْكَ بِحُلَاكِ ^(٥)، وَوَسَمْتِكَ بِسِيَاكِ، وَلَمْ تُعْرِكَ
 شَهَادَةً، وَلَا تَكَلَّفْتَ لَكَ زِيَادَةً، بَلْ صَدَقْتُكَ سَنَ بَكْرِيهَا فَيَا ذِكْرَهُ عَنكَ، وَوَضَعْتَ
 الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثَّقَبِ فَيَا نَسْبَتَهُ إِلَيْكَ، وَلَمْ تَكُنْ (كَاذِبَةً فَيَا أَثْنْتَ بِهِ عَلَيْكَ) ^(٦)،

(١) النخير : صوت من الأنف أكثر ما يكون عند الغضب، ومنه معنى المنخر .

(٢) بَسَرَتْ ، من البسر، وهو القتلوب .

(٣) الكلمة من سرح العيون وتسام السبح بمعنى إثباتها .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها من النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . يشير إلى
 بيت حبان بن الحارث بن أوطاة البرجيّ ، وهو :

هَمَسْتُ وَلَمْ أَفْصَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتِي * تَرَكْتُ عَلَى حِمَانٍ تَسْكِي حِلَاظِي

يُرِيدُ حِمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

(٥) أشار إليه البشارة إلى بيت أبي الطيب الخثمي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وهو :

وَكُنْتُ إِذَا كَانَتْهُ قَبِيلُ هَذِهِ * كُنْتُتُ إِلَيْهِ فِي قَدَالِ الْمُسْتَقَى

يُرِيدُ أَبُو الطَّيِّبِ الْإِشَارَةَ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى مَا وَفَّقَ بَيْنَ مَلِكِ الرُّومِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ جَهَّزَ
 جَيْشًا لِمُحَارَبَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيَسْعَلُ أَمِيرَهُ الْمُسْتَقَى ، فَهَزَمَهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ شَرَهْرِيَةً ، وَوَلَّى الْمُسْتَقَى بِجَيْشِهِ
 هَادِبًا . وَالْمُسْتَقَى : قَلْبُ عَتَمِ الْقَدَمِيِّينَ مِنْ رِيَاظٍ ، أَوْ هُوَ أَسْمُ رَجُلٍ مِنْهُمْ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « حِلَاظُ » بِاللَّامِ ، وَمَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ نَسْخِ الرِّسَالَةِ .

(٧) هُوَ مَثَلٌ يَضْرِبُ فِي الصِّدْقِ . وَالْبَكْرُ يَفْتَحُ الْبَاءَ : لَقِيَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَفِي الْمَثَلِ : « مَلَقِي »

بِالتَّصْكِيرِ .

(٨) الْهِنَاءُ : الْقَطْرَانُ الَّذِي يَطْلَى بِهِ الْجَرْبُ . وَتَقَالُ هَذِهِ الْبِشَارَةُ لِمَنْ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا .

(٩) كَذَا فِي سَرَحِ الْعُيُونِ وَغَيْرِهِ مِنَ النُّسخِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا لَهُذه الرِّسَالَةِ . وَبِشَارَةُ الْأَصْلِ : « لَمْ يَكُنْ

أَخْرَجْتَهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا مَعْنَى لَهُ .

فَالْمُعَيْدُ تَسْمَعُ بِهِ لَا أَنْ تَرَاهُ ، تَجِيئُ الْقَذَالُ ، أَرْضُ السَّبَالِ ؛ طَوِيلُ الْعِنُقِ
وَالْعِلَاوَةُ ، مُفْرِطُ الْحَمِي وَالْعَبَاوَةُ ؛ جَانِي الطَّبْعِ ، سَيُّ الْجَانِيَةِ وَالسَّمْعِ ؛ بَيْضُ الْهَيْئَةِ ،
يَخِفُّ النَّهَابِ وَالْجَنِيَّةُ ؛ ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مِثْنُ الْأَنْفَاسِ ؛ كَثِيرُ الْمَنَابِ ، مَشْهُورُ
الْمَنَابِ ؛ كَلَامُكَ تَمْتَمَةُ ، وَحَدِيثُكَ تَغْمَغْمَةُ ؛ وَيَأْنُكَ تَهْفَهَةٌ ، وَضَحْكَكَ تَهْفَهَةٌ ؛
وَمِشْكُكَ هَرَوَلَةٌ ، وَغِيَاكَ مَسَالَةٌ ؛ وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ تَحْرِقَةٌ

مَسَاوِلُ تَقْسَمُنَ عَلَى الْفَوَانِ • لِمَا أَمْهَرَنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

حَتَّى إِنَّتَ بِأَقْلَامٍ مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَيْئَتُهُ مَسْتَحَقٌّ لَكُمْ أَلْعَلَّ
إِذَا تُسِبَّ مِنْكَ ، وَأَبَا غَيْثَانَ مَحْمُودٌ مِنْهُ سَدَادُ الْفِعْلِ إِذَا أَضْبِغَ إِلَيْكَ ،

(١) فَمِنْ فِي كِتَابِ الْأَمْثَالِ : "تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ" ؛ وَيَضْرِبُ لِمَنْ خَبِرَ خَيْرٌ مِنْ
مَرَّاهُ ، وَالْقَوْلُ فِيهِ هَذَا هَرُوشَقَةُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ جَابِرٍ بْنِ نَهْلٍ •

(٢) يُقَالُ : تَلَانٌ هَجْنٌ الْقَذَالُ ، أَيْ أَنَّهُ إِذَا أَدْبَرَ عَرَفَ لِمَنْ نَسِبَ مِنْ قَذَالِهِ لِمَا يَدُومُهُ مِنَ الْإِطْرَاقِ
حَيَاءً • وَالْهَجْنُ الْقَيْمُ ، أَوْ هُوَ الْقَرْنِيُّ الْقَدِيُّ يُولَدُ مِنْ أَمَةٍ • وَالْقَذَالُ : جَمَاعٌ مَوْثَرُ الرَّاسِ •

(٣) الْعِلَارَةُ : الرَّاسُ مَا دَامَ عَلَى الْعُنُقِ ؛ وَيَمْدُونُ طَوْلَ الرَّاسِ وَالْعُنُقِ مِنْ دَلَالَةِ الْحَقِّ •

(٤) كَذَا فِي الْأَسَاسِ لِلرُّغَشِيِّ ؛ وَالْقَى فِي الْأَصْلِ : "وَالْإِبَاجِيَّةُ" بِأَتِيَاتِ الْهَيْئَةِ ، وَالْجَانِيَةِ
وَالْجَانِيَةِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ • يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى قَوْلِهِمْ : "أَسَاءَ مِمَّا قَسَاءَ جَابَةً" • (٥) أَلَيْتَ لِأَبِي تَسَامٍ •

(٦) هُوَ بَاقِلُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْإِيَادِي ؛ وَفِي مَرْحُومَةِ الْقَامُوسِ أَنَّهُ مِنْ زُرَيْيَةِ ؛ وَيَضْرِبُ بِهِ الْخَلَّ فِي الْقَى •

(٧) حَيْقَةُ : هُوَ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَيَقْبُ بِذِي الْوَدْعَاتِ لِأَنَّهُ جَعَلَ فِي عَقَبِهِ
ثَلَاثَةً مِنْ وَدَعٍ وَعِظَامٍ وَنُزَفٍ مَعَ طَوْلِ لِحْيَتِهِ ، فَسَمَّاهُ ثَعْلَبَةَ ؛ ثَلَاثُ أَثَلٍ ؛ فَضْرِبُ بِهِ الْخَلَّ فِي الْحَقِّ •

(٨) كَذَا فِي الْأَصْلِ ؛ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى مَا يَفِيدُ صِحَّةَ هَذَا التَّصْرِيفِ رَاجِعًا مِنْ كِتَابِ الْقَفِّ • وَفِي النُّسخِ

الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيْنَا هَذِهِ الرِّسَالَةِ : «إِلَيْكَ» وَلَمْ تَنْتَبِهْ بِمَعْنَى خُضْعَتِهَا لِحُصُولِ التَّكَرُّارِ بِمَعْنَى مَا يَأْتِي بِمَعْنَاهَا •

(٩) فِي الْأَصْلِ : «عِشَانٌ» بِإِهْمَالِ أَوَّلِهِ وَثَانِيَةٍ ؛ وَمَا أَتَيْتَاهُ عَنْ الْقَامُوسِ مَادَّةُ «الْفَيْشِ» •

قَالَ مَا نَصَّهُ : «وَأَبُو غَيْثَانَ وَيُسَمَّى : خَزَاعِيٌّ كَانَ عَلَى سِدَاةِ الْكَبْكَابَةِ قَبِيلَ قُرَيْشٍ ، فَاجْتَمَعَ مَعَ قَعْقَى
فِي حَرْبٍ بِالطَّلَافِ ، فَأَسْكَرَهُ قَعْقَى ، ثُمَّ أَكْثَرَى الْقِتَابِيَّةَ مِنْهُ بِزَقِّ نَخْرٍ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ ، وَدَفَعَهَا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَازِ ،

وَطَبِخَ لِمَنْ مَكَةَ ، فَأَتَاهُ أَبُو غَيْثَانَ أَنْدَمٌ مِنَ الْكُفَى ؛ فَضَرَبَتْ بِهِ الْأَمْثَالَ فِي الْحَقِّ وَالنَّاسِمِ وَغِصَاوَةِ

الصَّفْقَةِ • قَالَ فِي شَرْحِهِ : «وَهُوَ الْمَحْرُشُ بْنُ حَلِيلٍ بْنِ حَبِشَةَ بْنِ سُلُوكٍ بْنِ كَبْرِ بْنِ عَمْرٍو» •

وطويسا مأثور عنه ^(١١) بين الطائر إذا قيس عليك ؛ فوجودك عدم ، والاعتباط بك ندم ؛
والخبيث منك ظفر ، والجنة معك سقر ؛ كيف رأيت لؤمك لكبحي كفاء ، وضعتك
لشرى وفاء ؛ وأنى جهلت أن الأشياء إنما تجذب إلى أشكلها ، والطيور إنما تنبع إلى
ألانها ؟ وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن نادى المؤمن
والكافر لا يتراديان ، وقلت : الخبيث والطيب لا يستويان ، وتمثلت ^(١٢) :

أيها المتكحُّ الثريا سُهَيْلا • عمرك الله كيف يلتقيان

وذكرت أنى علق لا يباع ممن زاد ، وطائر لا يصيده من أراد ، وضرض لا يصيبه
إلا من أجاد ، ما أحسبك إلا كنت قد تهيأت للتهنئة ، وترشحت للترفة ؛ أولى لك ،
لولا أن جرح السجاء جبار ، للقيت ما لقي من الكواكب يسار ؛ فما هم إلا بدون ^(١٣)

- (١) طويس : هو مول بن غزوم ، وكنيته : أبو عبد الله ، كان من الهجان الظرفاء ، وكان
يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ، وكان يضرب به الخلل في الشوم ، لأنه ولد يوم
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطم يوم مات أبو بكر ، ودفن يوم قتل عمر . وفي القاموس
أنه بلغ الحلم يوم قتل عمر ، وترجع يوم قتل عثمان ، وولد له يوم مات علي .

(٢) كذا في بعض نسخ الرسالة ؛ والقى في الأصل : « لا يجتمعان » ؛ وهو مكروم ما قبله .

- (٣) الشعر الأول من هذا البيت ساقط من الأصل ، وقد أُنبتاه عن سرح البيون ، والبيت لعمري
عبد الله بن أبي ربيعة . والثريا هي بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وسهيل ، هو ابن
عبد العزيز بن مردان .

(٤) السجاء : الهجمة . والجبار بالضم : المستو الذي لا تقصص فيه . يشير إلى قوله صلى الله عليه
وسلم : « جرح السجاء جبار » .

- (٥) يسار : هو عبد أسود ، كانت النساء إذا رأيه ضحك من قبحه ، فكان يظن أنهن يضحكن
إعجابا منه به ، فدخل على امرأة مولاة يوما وأراد تنازلها ظنا منه أنها قد أحبه ، فقاتلته ؛ إن لقرائن
عليها أشمك إماء ، فقال : هاتيه ، فأتته بليلى وموسى ، فأشتمه الطيب ثم جدت أمه ، وكان يقب :
« يسار الكواكب » .

ما هممت به ، ولا تموض إلا لأيسر ما تموضت له ؛ أين أذكأوك رواية الأشعار ،
وتعاطيك حفظ السير والأخبار ؟

بنو داريم أكفأهم آل يسمع • وشكح في أكفائها الحيطات^(٧)

وهلا عثيت ولم تنقر ، وما أمتك أن تكون واند البراجم ، أو ترجع بصحيفة^(٨)
التماس ، وأفصل بك ما فعله حقييل بن علفة بالجحني^(٩) إذ جاءه خاطبا فدمع أسته
بزيت وأذناه من قرية النمل ؟ وبني كثر تلاحينا ، واتصل ترأيتنا ؛ فیدعونی اليك^(١٠)

(١) في الأصل : « ولا تموضت » ؛ ولقاء زيادة من النسخ . (٢) البيت للرزق .

(٣) يشير بهذه العبارة إلى المثل القائل : « من ولا تنقر » وهو من يشرع للاحتياط والأخذ بالثقة .

(٤) في بعض نسخ الرسالة : « وما أشك أنك تكون » الخ ، والمعنى يستقيم على كلا الرأيين .

رواند البراجم : رجل من تميم ؛ والبراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك ؛ وقد أشار إليه العبارة إلى قصة
عمرو بن هند مع بني تميم ، وذلك أنه ألقى منهم تسعة وتسعين رجلا فأراد قتله ، وكان قد حلف أن يحرق
نهم مائة رجل ، فبينا هو يغلب رجلا منهم يتم به المساة ، إذ مر رجل يسمى عمارة ، فشم رائحة الفتارة ،
فظن أن الملك اتخذ طعاما ، فسلل إليه ، فقيل له : من أنت ؟ فقال : من البراجم ، فألقى في النار ؛
فصرب به المثل وقيل : « إن الشئ واند البراجم » .

(٥) صحيفة التماس : تعريب مثلا لمن يحصل له الضرر من حيث يتوقع الضرر . والمتمس : هو جريد

ابن عبد المسيح أحد بني حصصة ، شاعر مجيد من شعراء الجاهلية ، وقد هو وابن أخته طرفة بن العبد
على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة ، لحق عمرو طهما يروا وأراد قتلهما ، فكتب بهما كتابين إلى عامله
بالبهرين ، وقال لهما : إني كتبت لكما بصلصة من عامل بالبهرين ، فاقضيا ما منه ، فلما كانا في بعض
الطريق ضاع التماس صحيفة فأنذ الملك بأمر عامله بقتله ، فأقاما في الخيم ، ومضى طرفة يخطبه إلى عامل
البهرين فقتله .

(٦) في الأصل : « طقة » وهو تحريف ، والتصويب عن تلج العروس مادة على بالقاف ؛

وحقييل بن طقة هذا شاعر من شعراء الدولة الأموية ؛ وكان أروع جافا شديد القيرة والصبرة والبخ
بنسه ، وكان لا يرى أن له كفنا ، وقد خطب إليه عبد الملك بن مروان إحدى بناته فأبى عليه ، وكان
له جارحوني ، فخطب الجحني إحدى بناته ، فقبل به ما ذكره ابن زيدون .

(٧) قرية النمل : مسكنا وبنيها .

١٠

١٥

٢٠

٢٥

ما دعا ابنة النخس^(١) الى عبدها من طول السواد ، وقرب الوساد ؟ وهل فقدت^(٢) الأرقام فأنتكح^(٣) في جنب ، أو عَضَلْتِ^(٤) همام بن مرة فأقول : "زوج من عود ، خير من قعود" ؟ ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت^(٥) عن هذه الحطة ، وما رضىت بهذه الحطة ، و"النار ولا العار" و"المنية ولا الدنية" والحرة تجوع ولا تأكل بشديها :

فكيف وفي أبناء قوي متكح * وتبين هزان الطوال الترافة

ما كنت لأتمطى المسك الى الرماد ، ولا لأتمطى الثور دون الجواد ؛ فلأما يتيم من لا يجد ماء ، ويرعى المشيم من مليم^(٦) النجم ، ويركب الضمب من لا ذلول

- (١) ابنة النخس : هي هذ بنت النخس الإياضي ، قديمة في الجاهلية ، وذكرنا أنها زنت بعبدها ، فلاحها الناس في ذلك ، وقالوا : ما حلك على الزنى ؟ فقالت : قرب الوساد ، وطول السواد ؛ والوساد : المسائة .

(٢) الأرقام : حى من قلوب . وجنب : حى من اليمن ؛ وقد أشار بهذه العبارة الى قول مهلهل ابن ربيعة حين هرب من حرب البسوس لما طالت مدتها ، قتل في طريقه على حى من اليمن ، فخطبوا اليه ابنته وساقوا له مهرها جلودا ، وضميره على الزواج فقال :

- أعزز على قلوب ما قويت * أخت بنى الأكرمين من بنى جشم
أنكحها فقلط الأرقام من * جنب وكان الحباء من آدم .
- (٣) حفل الولد المرأة : منها من التكاخ . وزوج من عود الخ : قول إحدى بنات همام بن مرة وكان له أربع بنات ، وكل ينظرن اليه فيأين أن يتدجن .
- (٤) في الأصل : « بيذه » ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

- (٥) هزان : بلن من العرب ، والترافعة : جمع غروفق وغرفيق ، وهو الشاب الأبيض الجبل . والبيت للأعشى الأكبر . وقد ورد النظر الأول منه في تاج العروس هكذا : « قد كابت في شبان قومك يتكح » وذكر أن الأعشى يخاطب به امرأة .
- (٦) النجم : النبات الناحض المقتر الذى طال ولم يبلغ النجاة .

له ؛ ولطك^(١١) إنما غرّك من علمت صبوئ^(١٢) اليه ، وشهدت مسافعتي له ، من أقار^(١٣)
العصر ، ورياحين^(١٤) المصر ؛ الذين هم الكواكب علوهم ، والرياض طيب^(١٥) شيم^(١٦)
من تلقى منهم قتل : لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يري بها الساري^(١٧)

فيعين^(١٨) قذح^(١٩) ليس منها ؛ ما أنت ومم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا وأو^(٢٠)
عمرو فيهم ، وكالوشيط^(٢١) في العظم بينهم ؟ وإن كنت إنما بلغت قمر تابوتك ، وتجايفت^(٢٢)
لقيمك من بعض قوتك ، وعطرت أرواك ، وجررت هيبانك ؛ واختلت^(٢٣)
في مشيتك ، وحذفت قُصُول^(٢٤) لحيتك ؛ وأصلحت شاربك ، ومططعت حاجبك ؛
ودقت خط^(٢٥) عذارك ، واستأثقت عقد^(٢٦) لزارك ؛ وجاء الاكتاب فيهم ، وطعما^(٢٧)
في الاعتداد^(٢٨) منهم ؛ فظننت تجزأ ، وأخطأت أستاذك الحفرة ؛ والله لو كساك عسوق^(٢٩)

(١) في الأصل : «وهك» ؛ وهو تحريف . (٢) الشطر الثاني من هذا البيت لم يرد في الأصل .
وقد أبتداء من النسخ التي بين أيدينا هذه الرسالة وفي سرح البيوت أن هذا البيت من جملة أبيات منسوبة
إلى رجل اسمه العريس من بني بكر بن كلاب يدعى بها بن بدر اللنويين .

(٣) في الأصل : «فمن» ؛ وهو تحريف ؛ يشير بهذه العبارة إلى المثل القائل : «من لم يح
ليس منها» يضرب لمن يشبه بالقوم وليس منهم .

(٤) الرشيق : قطعة عظم تكون زيادة في السلم السمسم . ويقال : فلان رشيق في قومه ، إذا كان
دخيلاً فيهم وليس منهم . (٥) قال في سرح البيوت في تفسير هذه العبارة : يعني لازمت منزلك .
(٦) يريد : وجاء أن قد فهم وتكلم بهم .

(٧) محرق : هو عمرو بن المنذر بن ماء البهاء ، وهو المعروف بعمرو بن هند ؛ وأشار بهذه العبارة إلى
ما ذكرنا من أن الرفود اجتمعت مرة عند عمرو بن هند ، فأخرج بردين من لباسه وقال : ليتم أعز العرب
فأخذها ، فقام عامر بن أبيير فأخذها فقال له عمرو : أنت أعز العرب فليق ؟ فقال : العز كله في سدة ،
والسدة في سدة ، ثم في زار ، ثم في مضر ، ثم في خنتف ، ثم في تميم ، ثم في سدة ، ثم في كعب ، ثم في بدلة
فن أنكر هذا فليأفوني ؛ فسكت الناس ، فقال : هذه عشيرتك كما تزم ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟
قال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وح عشرة ، وخال عشرة ؛ ثم أخذ البردين وانصرف (سرح البيوت) ؛
وتاج العروس مادة « برد » .

- البُردين، وحقك مارية بالقرطين؛ وقيلك عمرو بالصمصامة، وحقك الحارث على النعامة^(١)؛ ما شككت فيك، ولا تكلمت بملء فيه؛ ولا سترت أباك، ولا كنت إلا ذاك؛ وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب، وجاريهم في غاية الظرف والأدب؛ ألسنت تأوى إلى بيت قعيدته لكاع؟ اذكّهم عزب خالي النراع؛ وأين من أقرد به، ممن لا أغلب إلا على الأقل الأخس منه؟ وكمن من يعتمد بالقوة الظاهرة، والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة إلى، واللذة الموقوفة على؛ وبين آخر قد تزحّت بيّره، ونضّب غديره؛ وذهب نشاطه، ولم يبق إلا ضراطه؛ وهل كان يُبمع لي فيك إلا الحشيف^(٢) وصوء اليكلة. ويقترن على بك إلا الفتنة والموت في بيت سلوية^(٣)؟
- تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعتاق الرجال

- (وهذا الشعر لأبي العاتية يخاطب به سلم بن عمرو، ويلومه على حرصه، ويتلوّه):
- هَب الدنيا تصير اليك عفوا * أليس مصيرُ ذلك إلى زوال
- ما كان أحقك بأن تهدير بئرُك، وترجع على ظلمك؛ ولا تكون براقتش الدلالة^(٤)

(١) مارية: هي ابنة ظالم بن وهب الكندي، وزوجة الحارث الأكبر الصاني أحد ملوك العرب بالشام، وكان في قرطبة قوتان كبيرتان يترارهما الملوك، وقد وصلا إلى عبد الملك بن مروان، فأهداهما إلى ابنته لما زوجها لعمرو بن عبد العزيز، ودوى أن مارية أهدتها إلى الكعبة.

(٢) عمرو: هو ابن معد يكرب. والصمصامة: اسم سيفه.

(٣) هو الحارث بن حياذ الغنطي. والنعامة اسم فرسه.

(٤) الحشيف: اللابس الردى، من التمر. يضرب الخنثى البيهجن يجتمعان في شخص؛ ونص المثل:

”أشفا وصوء يكة“.

(٥) أشار بهذه العبارة إلى قول طمر بن الطفيل: حين ظهرت في رقبته الفتنة التي مات بها، وكان في بيت امرأة سلوية، فقال: أجلة كفتة البعر، وحث في بيت سلوية.

(٦). براقتش: اسم كلبة تبعت قوما تصدروا الغارة على قوم نغى عليهم مكاتهم، فلما نجحت مرفوهم فاجتاسروهم فقاتل العرب: ”أخام من براقتش“.

على أهلها^(١)، وعثر السوء المستبصرة لحثها؛ فإراك إلا قد سقط العشاء بك على
السرطان، وبك لا يظي أعفر^(٢)، قد أعزرت إن أغيت شيئا، وأسمعت لو ناديت حيا؛
وقرعت عصا العتاب، وحدثت سوء العقاب. «إن العصا قرعت لدى الحليم»
«والشيء تحفره وقد ينني». «إن بادرت بالتدماة، ورجعت على نفسك بالملامة؛
[كنت] قد اشتريت العافية لك بالعافية منك؛ وإن قلت: «جسيمة ولا طمعا»
و«رُبَّ صَليب تحت الراعدة» وأنسلت^(٣):

لا يُؤسِّتُكَ من عَجَاةٍ • قولٌ تُنقلُّه وإن جرَّما

فعدلت لما نُهيئت عنه، وراجعت ما استعفيت منه؛ بحثت من يُزعجك إلى
الخضراء دُفعا^(٤)، ويستحيتك نحوها وكذا وصفعا؛ فلما صرت بها صيت أكاروها^(٥)

(١) يشير بهذه العبارة إلى ما ذكرنا من أن رجلا وجد عزرا فأراد ذبحها، فلم يجد سكيناً، فبينا هو
كذلك، إذ بحث الشاة خلفها في الأرض، فاستأثرت سكيناً فذبحها بها؛ فخررت مثل من يمين على ضرر
قصه. (٢) في شرح البيون: «مرحان» بدون تعريف، وهو القلب؛ يشير بهذه العبارة إلى
المثل القائل «سقط به الشاة على مرحان» يضرب لمن يريد أن يوقع على المكره.

(٣) نص المثل: «ه» الخ ويضرب للشاة بالرجل؛ يريدون نزل به للمكره ولا نزل يظي أعفر:
(٤) قال ابن نباتة في شرح البيون عند شرحه لماتين العبارتين: هما مثلان يضريان في التصدير، منظومان
في قول الحارث بن ودة اليشكري وقد نقل بعض سادات قومه أخاه. ثم أورد أبياتاً جاء منها:

وزعت أنا لا حلوم لنا • إن الصبا الخ لليت • وبيته:
لا تأسن قوما ظلتهم • وبناتهم بالثر والفسم
أن يأمرنا بخلافهم هو. «والشيء تحفره الخ لليت

(٥) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن شرح البيون.

(٦) جسيمة الخ أي أصعب جسيمة ولا أرى ملحا؛ قال في شرح البيون في شرح هذا المثل والذي
يسده: هما مثلان يضريان لمن يتوعد ولا يفعل. والجسيمة: صوت الرعي. والطمع: الغنى.
فعل بمعنى مفعول، كدج ورفق؛ والصلف: قلة البركة والتخير. ومحاب صلف: إذا كان قليل الماء،
كثير الرمد.

(٧) في الأصل: «الخضراء» بالخاء المعجمة؛ وهو تحريف؛ والخضراء: الزرعة؛ وأولها اسم
ضبة انظر شرح البيون. (٨) في شرح البيون: «عليها». (٩) الأكارون: الزراعون.

بك ، وتسلط نواطيرها عليك ؛ فمن قرعة موعجة تهوم في فقاك ، وبخلة مينة يرى بها
تحت خصاك ؛ لكن تلوق وبال أمرك ، وترى ميزان قدرك .
فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى .^(٢)

وقال أيضا في رقعة خاطب بها ابن جهور — وهي من رسائله المشهورة —
أولها :

يا مولاي وسيدى الذى وادى له ، واعتدلى به ، واعتادى عليه —
أباك الله ما حصى حد العزم ، وادى زبد الأمل ، ثابت عهد النعمة — إن
سلبتني أعزك الله لباس إنسانك ، وعطتني من حلل إنسانك ، وغضبت عني
طرق حمائك ؛ بعد أن نظر الأعمى الى تأمل لك ، وسمع الأصم شأى عليك ،
وأحسن الجباد باستنادى اليك ؛ فلا غرو قد ينقص بالماء شاربك ، ويقتل الدواء
المستشفى به ، ويؤتى الخير من مأمته ، وتكون مئة المتعطى في أميته * والحسين^(١)
قد يسبق جهد الحريص " وإني لأتجلد ، وأرى الشامتين أتى لا أنضعضع ، وأقول :

(١) الزواجر : جمع زاجر ، وهو حافظ الكرم والنقل .

(٢) البيت الفنى .

(٣) كذا في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة . والى في الأصل : « إنشادى » ؛ وهو تحريف .
(٤) في الأصل : « والحرس » ؛ وهو تحريف . وهذا مجزيت لعدى بن زيد ؛ وصدره : « قد
يدرك المظن من حله » . انظر تمام المتن في شرح رسالة ابن زيدون للسفلى ص . طبع بغداد ؛
وقد اعتدنا نأجل هذا الكتاب في أكثر مرسلاتنا ورد في هذه الرسالة من الآيات والأمثال والأخبار
فلا حاجة الى التنبه عليه بعد هذا فإنا نقفه عنه .

(٥) كذا في الأصل ، والى في نسخ الرسالة : « أنى لرب الدهر لا أنضعضع » . وهذا مجز
يت لأي ذريب المثل ، وصدره : « ولجئت للشامتين أرحمو » انظر التفضيلات .

هل أنا إلا يد آدمها سوارها، وجين عضه إكليله، ومشرف الصقة بالأرض
صاقله، وسمهري عراضه على التارمقة، وعيد ذهب سيده مذهب الذي يقول :
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس أحيانا على من يرحم^(٥١)
والعتب محمود عواقبه، والنهوة غمرة^(٥٢) ثم تتجلى، والتكبة^(٥٣) منجابه صيف عن قريب^(٥٤) تنقش^(٥٥)
وسيدى إن أجهلا معذور^(٥٦).

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعله اللاتي سررن^(٥٧) ألوف

فليت شعري ما الذنب الذي أذنبت ولم يسهه المغو ؟ ولا أخلو من أن أكون
بريثا فأين العدل ؟ أو ميثا فأين الفضل ؟ وما أراي إلا لو أمرت بالسجود لأدم
فأبئت واستكبرت، وقال لي نوح : "اركب معنا" فقلت : "ساوي إلى جيل يصموني"

(١) في بعض نسخ الرسالة : « عض به » .

(٢) المشرق : نسبة إلى المشارف ، وهي قرى باليمن ، وهي من أرض العرب تدنو من الريف
تسب إليها السيوف المشرفة .

(٣) السهري : الرخ الصليب الورد ، ويقال إنه منسوب إلى سمير ، وهو رطل كان يقسم الزماح
فتسب إليه . والمكثف : المتكوم .

(٤) في نسخ الرسالة : "ذهب به سيده" .

(٥) في الأصل : «له ذخرا» وهو تحريف . والبيت لأبي تمام من قصيدة يمدح بها مالك بن نويرة .

(٦) في تمام المتن : « هذا التيب » .

(٧) في تمام المتن : « وهذه النبوة » .

(٨) تجمعت السجاة : أظمت . وفي كتب الأشغال : "عن خليل" . وهو مثل يضرب لاقضاء
الشيء بسرعة .

(٩) كما وردت هذه العبارة في الأصل ، وأقي في النسخ التي بين أيدينا لهذه الرسالة : «ولن يرثي
من سيدى أن أجهلا صاهيا» ، وتعرض شين خفاؤه ، وبعد هاتين العبارتين كلام طويل لم يرد في الأصل ، فأنظره .
(١٠) البيت لأبي الطيب المتنبي من أبيات كتب بها إلى أبي المصائر الحسين بن حمدان يهتبه في سبب
جرى عليه من ظلمائه .

مِنَ الْمَاءِ^(١) وَتَعَايَيْتُ فَعَقَرْتُ^(١)، وَأَمَرْتُ بِنَاءِ صَرْحٍ لِمَلِي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، وَعَكَنْتُ^(١) عَلَى الْعِجْلِ، وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ^(١)، وَشَرَبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي أَبْتَلَى بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ^(١)، وَقُلْتُ الْقِيلَ لِأَبْرَهَةَ^(١)، وَعَاهَدْتُ قَرِيشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ^(٢)، وَتَأَوَّلْتُ فِي نَبْعَةِ الْعَقَبَةِ^(٣)،

- (١) يشير بهذه العبارات الست إلى قصص ورد ذكرها في الكتاب العزيز : فوشير بالعبارة الأولى إلى قصة ناقة صالح التي ورد ذكرها في قوله تعالى في سورة القمر : (إِنَّا مَرْسَلْنَا نَاقَةً تَحْتَ لُحْمٍ) إلى قوله : (فَنَادَا صَاحِبِهِمْ فَضَالَى فَتَقَرَّ) . ويشير بالثانية إلى قوله تعالى في سورة القصص حكاية من فرعون : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) إلى قوله : (لَمَّا أطلع إلى إله موسى) . ويشير بالثالثة إلى قوم موسى حين احتلوا العجل وقتلوا به وقد وردت هذه القصة في قوله تعالى في سورة طه : (قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِي مَوَدَّةَ بَنِي آدَمَ بَاطِلًا تَمْنُو) إلى قوله حكاية عنهم (قَالُوا إِن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ مَا كَفَيْنَ حَتَّىٰ يَمِيعَ الْيَنَابُيُ مَوْسَى) . ويشير بالرابعة إلى قصة بني إسرائيل واعتدائهم في السبت ؛ قال تعالى في سورة البقرة : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُم فِي السَّبْتِ الْآيَةَ) . ويشير بالخامسة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) إلى قوله تعالى : (فَنَشَرُوا مَاءَهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) . ويشير بالسادسة إلى قصة أصحاب الفيل التي ذكرها الله تعالى في سورة الفيل حين ساروا إلى الكعبة وأرادوا هدمها وعلى رأسهم أبرهة ابن الصباح أمير اليمن من قبل النجاشي . انظر تفصيل هذه القصص في كتب التفسير .
- (٢) يشير بهذه العبارة إلى صحيفة قريش التي تعاهد فيها كفارها على بني هاشم ؛ وذلك أن قريشا لما رأت أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القين هاجروا إلى الحبشة قد أساءوا في مجرتهم أمنا وروحا وعزا ومنة من النجاشي ملك الحبشة ، ورأت فتور الإسلام في القبائل وإسلام عمر بن الخطاب وغيره من أشرافهم اجتمعوا وتعاهدوا غيا بينهم على ألا ينكحوا من بني هاشم ، ولا ينكحهم ، ولا يبيعهم ، ولا يقاتلوا منهم ، وكثيرا ذلك في صحيفة وطقوها في جوف الكعبة توثيقا وتوكيدا ، فالتحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، ونظروا كذلك ستين أو ثلاث سنين حتى أجهلهم الضيق ، وكان لا يصل إليهم شيء إلا مرا يستغنى به من أراد منهم من قريش ، حتى قام في قحط ما في الصحيفة قرنينهم اجتمعوا على ذلك . انظر تفصيل القصة في كتب السيرة .

- (٣) أشار بهذه العبارة إلى بئرة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة التي بين منى ومكة ، ومنها ترى بحرة العقبة ؛ وهي ثلاث بساتين : بياض في الأولى سنة قمر من الأوس ، وبياض في البية الثانية اثنا عشر ، منهم الستة الذين يأمروهم في الأولى ، وبياض في البية الثالثة ، سبعون وامرأان ، انظر معجم البلدان ج ٣ ص ٦٩٣ طبع جوتيين . وذكر الصفدي في تمام المتن أن القين يأمروهم في البية الثالثة ثلاثة وتسعون وامرأان .

وَقَرَّتْ إِلَى الْعِيرِ بَيْدَرُ ، وَأَخْذَلَتْ بَثْلُ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَحَقَّتْ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَجُعْتُ بِالْإِذْكَ عَلَى عَائِشَةَ ، وَأَبَيْتَ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ،

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار - وهو ساحل البحر - ليلة . وأشار بهذه العبارة إلى وفاة بدر الكبرى، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبوسفيان بن حرب مقل من الشام في غير قريش مطيبة، فذهب الناس إلى الخروج إليها، ففسح أبو سفيان من بعض الزبكان باستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له، فاستجاب رجلا لذهب إلى مكة فيغير قريشا بذلك ويستغفروهم إلى أموالهم، فخرج الرجل إلى مكة وأعلمهم الخبر، فجهز الناس سراعا، ثم كانت وفاة بدر التي نصر الله فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٢) كذا في نسخ الرسالة التي بين أيدينا - وفي الأصل: «وانخرأت» ولم تقف عليه فيما راجعاه من كتب الفقه - وأحد: جبل أحمريس بذي شغيب - والشاغيب: ريوس الجبال - بينه وبين المدينة قرابة ميل شماليا، وعنده كانت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ونقل جماعة منهم حلا الذي صلى الله عليه وسلم . وقد أشار ابن زيدون بهذه العبارة إلى الخذلان عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بثلث الناس في هذا اليوم، وتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه . انظر تفصيل ذلك في كتب السيرة .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى غزوه صلى الله عليه وسلم لبني قريظة، وذلك أنه لما انصرف من غزوة الخندق ووضع المسلمون سلاحهم، أمره الله تعالى بنزول بني قريظة، فقال لأصحابه: «لا يصلين أحد منكم الصلوة إلا في بني قريظة» وساروا به أصحابه، بلاء وقت المصروم في الطريق، ففصل جماعة منهم حلا لأمره صلى الله عليه وسلم على قصد السرعة، وعلاء الباقون بسد مضى وقتها في بني قريظة حلا لأمر على حقيقته، فلم يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا منهم على عمله، ثم ساروا بعدهم خمسة وعشرين يوما حتى تزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم .

(٤) أشار بهذه العبارة إلى حديث الإفك الذي رويت به أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها من بعض المنافقين، وقد ذكره الله تعالى في سورة النور فقال: «إن الذين جازوا بالإفك صبة منكم» الآية .

(٥) كذا في الأصل؛ وفي اللسان مادة «أبي» ما يفيد صحة تصديق هذا الفعل بـ «عن» حكى ابن سيدة عن القاسم أنه يقال «أبي زيد من شرب الماء» والتي في نسخ الرسالة «وأهت» . وأشار بهذه العبارة إلى ما كان قبل وفاته صلى الله عليه وسلم من تأميره أسامة بن زيد بن حارثة على جيش قتال الروم، وكان في هذا الجيش كبار المهاجرين الأولين كالأبي بكر وعمر وأبي حنيفة، فانتقد جماعة أسرة أسامة على هذا الجيش وفي أسأل هؤلاء، وهو شاذ لم يبلغ سبع عشرة من عمره، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول هؤلاء، فغضب غضبا شديدا ونزع فقال: أيها الناس فامقاة يقتنى عن بطنكم في تأميري أسامة، ولئن طعن في تأميري أسامة لقد طعن في تأميري أبيه من قبله، وأيم الله إنه كان خلقا بالإمارة، وإن ابنه من بعده خلق بها .

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فظة ^(١) * ورويت روى من كتبة خالد ^(٢) * ومزقت الأديم الذي باركت يد الله فيه ^(٣)، وصحبت بالأسنط الذي عنوان السجود به ^(٤)، وكتبت الى عمر بن سعيد [أن] جميع بالحسين، وبذلت لقطاع ^(٥).

- (١) يشير بهذه العبارة الى ما ورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه — وقد بلغته في آخر حجة جها أن قوما يقولون : لو مات أمير المؤمنين لباين فلتا، نحى عمر أن يكون في هذا إضمار لية الناس، فلما قدم المدينة خطب في الناس وجاه في خطبه قوله : وقد بلغنى أن قاتلا يقول لو مات عمر بايت فلتا، فلا يفتنن امرؤ منكم أن يقول : كانت يمة أبي بكر فظة ؛ وليس فيكم من يقطع الأحاق مثل أبي بكر ؛ وإنه كان من خبرنا الخ ما أورده الصفدى في تمام المتن من هذه الخطبة . وراه يونس ابن يزيد عن الزهرى معلولا وزاد فيه : قال عمر فلا يفتنن امرؤ منكم أن يقول إن يمة أبي بكر كانت فظة قنت لهاها قد كانت كذلك إلا أن الله رقى شرها . (٢) هذا صدر بيت لأبي حمزة السلى، وتماهه : * والى لأجوس ينها أن أعمر * وسبب هذا الشعر أن خالفين الوليد رضى الله عنه لما فرغ من قتال بن حنيفة في حرب الردة اتحد بينه الى بن سليم، وصحت بنو سليم بذلك فاجتمعوا لقتاله، واستجلوا من بين من العرب مرتدا، وكان القى بجمعهم أبو حمزة بن عبد العزى المتقدم؛ فقاتلهم خاله حتى هزمهم، وكان أبو حمزة هذا قد أصاب في هذا اليوم من المسلمين؛ فقال هذا الشعر القى به اليه السابق .
- (٣) يشير بهذه العبارة الى قول الشاعر في رثاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
جزى الله خير من أمام وباركت * يد الله في ذلك الأديم المرقع .
- (٤) يشير بهذه العبارة الى قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه فغان رضى الله تعالى عنها :
فصروا بأخط عنوان السجود به * يقطع الليل تسليما وقرآنا
- (٥) جميع من الجسبة : وهى الجبس والضيق . يشير بهذه العبارة الى قصة قتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنه، وذلك أنه لما خرج الحسين رضى الله تعالى عنه الى الكوفة بإشارة من أهلها ليأبوه بالخلافة في مدة يزيد بن معاوية ثب ابن زياد لقتاله عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال الحسين لمر : اختر منى إحدى ثلاث : إما تركنى أرفع، أو سيرتنى الى يزيد فأضع يدي في يده فيحكى في ما يرى، فإن آيت صيرنى الى الترك أقاتلهم حتى أموت؛ فأرسل عمر بذلك الى ابن زياد، فهم أن يسيره الى يزيد فقال بعض من حضر : لا أباها الأمير حتى ينزل على حكك، فابى الحسين ذلك، فكتب عياله بن زياد الى عمر : أن جميع بالحسين انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ؛ وكان قتل الحسين رضى الله تعالى عنه في سنة إحدى وستين كما في شذوذ العقود لابن الجوزى المحفوظ منه في دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة بالتصوير الشسمى تحت رقم ٩٩٤ تاريخ .

ثلاثة آلاف وعيدا وقية * وضرب على بالحسام الخنم^(١)
ومثلت عند ما بلغني من وقعة الخزة^(٢) :

ليت أشياخي بيدٍ شملوا * بجرّ الخرج من وقع الأسل^(٣)
قد قتلنا القرن^(٤) من أشياخهم * وعدلناه بسدر فاحتدل^(٥)

ورجعت الكعبة ، وصلبت العائذ بها على التنية ؛ لكان فيما جرى على ما يحتمل
أن يُسمى نكالا ، ويدعى ولو على الجاز عقابا .

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حامسيه له راحينا

(١) الخنم : اسم قاتل من خذمه يشدد القول أى قطعه . وفي تمام الحزن : «السم» ، والمعنى يستقيم على كثرة الروايتين . وقائل هذا البيت عبد الرحمن بن ملجم قاتل على كرم الله وجهه . وقطام القى
أرادها : امرأة بالكوفة كانت جنية رافضة ، وأراد ابن ملجم الخروج منها ، فشرط عليه أن يكون صداقتها
ثلاثة آلاف ومدا وباريقتل على بن أبي طالب ، فقتل ذلك ابن ملجم وقال الشعر القى به هذا البيت ،
وربده :

فلا مهر أغل من على وإن ظلا * ولا فلك إلا دون فلك ابن ملجم .

(٢) أراد حرة واهم ، إحدى حرق المدينة ، وهي الشرقية ، وهما كانت وقعة الحرة المشهورة في سنة
ثلاث وستين ، وذلك أن أهل المدينة غلوا يزيد بن معاوية وطردوا عامله ، وحاصروا بني أمية بالمدينة ،
فبعث إليهم يزيد بالجنود بقيادة مسلم بن عقبة ، فقتل رجالهم ، واستباح أموالهم وأعراضهم ، ثم أخذ البيعة
منهم ليزيد .

(٣) الأسل : الرماح . وقائل هذا الشعر عبد الله بن الزبير .

(٤) القرن من القوم : سليم .

(٥) عدلناه يندو فاحتدل ، أى قومناه به فاستقام . انظر تلح العروس مادة « عدل » .

(٦) أشار إليه العبارة وقائل بعدها إلى ما صنعه الحجاج بيد الله بن الزبير وأصحابه ؛ وذلك أنه
في سنة أربع وستين برع ابن الزبير بالخلافة وانتظم في بيته الجاز واليمن ومصر والحرق وشراسان ، فغاضق
بذلك عبد الملك بن مروان فغضب الحجاج بن يوسف فقتله ، فصار إليه بمكة ، ونصب المهناقي على أبي قبض ،
وظل الحصار ستة أشهر وسبعة عشر ليلة ، وقتل جسد الله بن الزبير في هذه الوقعة بمصر من هذه المهناقيين
وكان قتله في سنة ثلاث وستين ثم صلبه الحجاج بعد قتله على التنية ، وظل صلبا ستة كاملة ثم أنزله .

فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح، ونبأ جاء به فاسق؛ وانه ما عَشَشْتُكَ
بعد النصيحة، ولا انحرفتُ عنك بعد الصاغية، ولا نصبتُ لك بعد التشيع فيك،
فقيم حيث الجفاء بأذنتي، ومات في مودتي؟ وأنى عليّ المقلب، ونقر على الضميف،
ولعلمتي غير ذات سوار؟ وما لك لم تمنع مني قبل أن أقترس، وتذكرني ولما أمرق،
[أم كيف لا تنصرتم جوائح الأكفاء حسدا لي على الخصوص بك، وتقطع أنفاس

(١) قال الصفدي في تمام المتن ص ١٨٣ ما نصه : والصاغية كأنها مصدر مضي يصغر صفرا
وصاغية . ولم تقف على هذا المصدر في راجعنا من كتب اللغة . والمراد بالصاغية هنا : الخيل .

(٢) نصب له : عادة . وأشار بهذه العبارة الىقرة الناصية : وهم المنصرفون على بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنه ، وإلى الشيعة ، وهم المتصون اليه .

(٣) كذا في الأصل . وعبارة نسخ الرسالة : «دعوات العفوق في مواق» ، والمعنى يستقيم على كتاب
الروايتين . والموات بتشديد الواو : جمع مائة : وهي الحزمة والرسيلة .

(٤) عبارة نسخ الرسالة : «ونظر على العاين الضميف» . وأشار بهذه العبارة والتي قبلها الى بيت امرئ
القيس ، وهو :

وإنك لم يضر طيلك كفلتر * ضيف ولم يظلك مثل ملط

يريد أن أشأ ما على الإنسان أن يضر عليه ضيف ويظله مطلوب .

(٥) يشير بهذه العبارة الى المثل القائل : «لوزات سوار لمعتني» وينون بذات السوار، الحزة،
لأن العرب كانت تلبس الإماء السوار؛ ويروي : «لوزيرات سوار» . ويريد ابن زيدون
بهذه العبارة : لو أني أعت من هو كف، لي في الشرف والمزلة لما ن علي، ولكن سعي في من هو دوق،
والمعنى من لا يناظرني في شرف ولا منزلة .

(٦) يشير بهذا الى قول الشاعر :

فإن كنت مأكولا فكن غير آكل * وإلا فأدركني ولما أمرق

وقد تمثل به عيان بن صفان رضي الله عنه يوم الهار في كتاب بشت به الى علي بن أبي طالب يستجده على
من حاصره .

(٧) حاتان الباركان لم تردا في الأصل؛ وقد قلناهما من نسخ الرسالة .

النظراء منقصة في الكرامة عليك [وقد زانني أسمى خدمتك ، [وزهاني ومم نعمتك^(١١)
وألميت^(١٢) : [البلاء^(١٣)] الجليل في مماطك ، وقت المقام المحمود على بساطك .

أبست الموالى فيك نظم قصائد * هي الأنيمة اقتادت مع الليل أنجما^(١٤)
وهل ليس المسباح إلا بردا طوزته بجامدك ، وتخلدت الجوزاء إلا عقدا فصلته^(١٥)
بأثرك ، وبت المسك إلا حديثا أذعته بمفانريك^(١٦) ، " ما يوم حليمة بسر " وحاش لله
أن أعد من العاملة الناصبة ، وأكون كالذبالة المنصوبة تضي للناس وهي تحرق .

وفي فصل منه : ولعمري ما جهلت^(١٧) [أن] الرأي في أن أمحوّل إذا بلغتني
الشمس ، ونبا في المنزل ، وأضرب عن المطامع التي تقطع أعتاق الرجال ، ولا
أستوطع العجز فيضرب في المثل : " خامري أم عامر " وإني مع المعرفة بأن الجلاء^(١٨)

❦

(١) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها من نسخ الرسالة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ وقد أثبتناها من نسخ الرسالة .

(٣) في الأصل : « من » والبيان يقتضي ما أثبتنا كما في نسخ الرسالة . والبيان : الصف .

(٤) البيت البصري من قصيدة يجاب فيها للفتح بن خالان .

(٥) كذا في النسخ التي من أيدينا لهذه الرسالة . والقي في الأصل : « داضته » بالضاد المعجمة ، وهو مخريف .

(٦) هو مثل يضرب لكل أمر متعارف مشهور ، ويضرب أيضا للشرى الناجد الكره والمراد هنا الأول ، وحليمة : هي بنت الحارث بن أبي شمر وكان أبوها قد وجه جيشا إلى المخزومين ماء البلاء ، فأخرجت لهم طينا من مركز فطيمتهم ؛ وهذا اليوم من أشهر أيام العرب .

(٧) كذا في القصيدة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب ؛ والقي في الأصل : « ما جهلت الرأي » بدون « أن » . ويشير إليه العبارة إلى قول أبي تمام من قصيدة وجه بها إلى محمد بن عبد الملك الخياط وزير المصم :
وإن صرح الرأي والحزم لأمري * إذا بلغت الشمس أنت يحسول

(٨) أم عامر : كنية للفضج ، ويقال لها : أم عمرو أيضا . وهذا المثل يضرب لمن هرف الدنيا في قضائها عقود الأمور بإيراد البلاء عقيب الرخاء ، ثم يسكن إليها مع ما علم من مآلاتها ، كما تنفر الضج يقول القائل : " خامري أم عامر " وهي عبارة يقولها من أراد أن يصيها لطلعت إلى ؛ ومعناها : استعري وابحثي إلى أقصى حناوك .

سبأ^(١)، وأثقله مثله^(٢)، كعارف أن الأدب الوطن الذي لا يُغنى فراقه^(٣)، والخليط الذي لا يتوقع زواله^(٤)، والنسب الذي لا يُغنى^(٥)، [والجمال الذي لا يُغنى^(٦)؛ ثم ما قرأ السعد للكواكب أبهى أمراً، ولا أسى خطراً، من اقتران غنى النفس به، وانتظامها نسفاً معه؛ فإن الحائز لها، الضارب بسهميهما - وقليل ما هم -] إنما توجه ورد منزل^(٧)، وحط في جناب قبول، وضوح قبل إنزال رحله^(٨)، وأعطى حكم الصبي على أهله^(٩).

وقيل له : أهلاً وسهلاً ومرحباً * فهذا ميت صالح وصديق

غربة الموطن محبوب ، والمنشأ مألوف ؛ والليب يمن إلى وطنه ، [حينئذ
التجيب إلى عطشه] ؛ والكريم لا يحفو أرضاً فيها قوابله ، ولا ينسى بلداً فيه
مراضعه ، وأنشد قول الأول :

أحب بلاد الله ما بين منيع^(١٠) * إلى وسلى أن يصبوب محابها^(١١)

- (١) الجلاء : الخروج عن الوطن . والسبأ : الأمر .
- (٢) في الأصل : « لا يغنى » وهو تحريف ، والتصويب عن نسخ الرسالة .
- (٣) في تمام المتن : « زباله » وإزالة بكسر أوله : الفراق .
- (٤) في بعض النسخ : « والنسب » والمعنى يستقيم على كلا الروايتين .
- (٥) لم ترد هذه التثنية في الأصل ولا في النسخة لابن بسام ؛ وقد أثبتناها عن بعض نسخ الرسالة .
- (٦) كذا في نسخ الرسالة ؛ والقى في الأصل : « وحسب » بالفتح .
- (٧) يشير بهذا إلى قول عمرو بن الأهتم ، وقيل حاتم الطائي :
- (٨) أصاحك حينئذ قبل إنزال رحله * ويضرب عطى والزمان جديب
- (٩) لم ترد هذه العبارة في الأصل ، وقد أثبتناها عن نسخ الرسالة .
- (١٠) منيع : هو واد يأخذ بين سفراء موسى والبناتج ، ويدفع في بطن قلع . (باقوت) وسلى :
- (١١) جبل للى شرق المدينة ، وغريبه واد يقال له : « رك » به تنزل وأبارسلوية بالصخر ، وبخافيه جعلان أحران ، وأعله بركة انظر تاج العروس مادة « سلم » .

بلاد بها حق الشباب تمنحى * وأقول أرض ممس جلدى ترأبها
 هذا إلى مغالاتي في تعليق جوارك، ومناقستي في الحظ من قربك، واعتقادي أن
 الطمع في غيرك طبع، والفتى من سواك عتاء، والبدل منك أعور، والعوض لقاء .
 وإذا نظرت إلى أميري زاندي * ضناً به نظري إلى الأمراء^(٦)
 "كل الصبيد في جوف القرا" وفي كل شجر نار، واستشهد المرخ والعفار^(٧) ؛
 فما هذه البراءة ممن تولاك، واليأس عمن يميل إليك؟ وهل كان هواك فيمن هواه
 فيك، ورضاك لمن رضاه لك ؟

- (١) كذا في الأصل والنسخة لأن بسام وغيرهما من نسخ الرسالة ؛ ورواه يا قوت في مجملته :
 « حل » ؛ والمضى يستقيم على كذا الرايئين . وذكر يا قوت أن هاتين البيتين لبعض الأعراب ولم يسميه .
 (٢) في بعض نسخ الرسالة « إلى مغالاتي بقده » والمضى يستقيم على كذا الرايئين ؛ والمغالة في الشيء :
 إغلاؤه .
 (٣) الطبع : النفس .
 (٤) ذكر الصفيدي في تمام المتن أن أصل هذه العبارة أن يزيد بن المهلب لما صرف من ولاية
 خراسان بقتية بن مسلم الباهل وكان هيمياً وشيظاً أعور ، قال الناس : هذا بدل أعور . وفي الأصل :
 « أعزاز » ؛ وهو تحريف .
 (٥) في الأصل : « لقاء » بألف المشددة ؛ وهو تصحيف . واللقاء بالفاء الموحدة : التراب .
 أو التثبي ، القليل ، أو هو ما دون الحق .
 (٦) ذكر الصفيدي أن هذا البيت لمدني بن الرزاع .
 (٧) المرخ : من النساء ، وهو يقرش ويلول في السماء حتى يستظل فيه ، وليس له ورق ولا شوك ،
 وانه يكون الزناد الذي يقتضيه ؛ والواحد مرخة . والعفار : شجرة تشبه شجرة النعناع الصغيرة ، ونورها
 كنورها ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد الزناد ، والمرب تضرب بالمرخ والعفار الخسل في الشرف وعلق
 الخلة ، فيقولون : « في كل شجر نار ، واستشهد المرخ والعفار » وفي القاموس مادة « مجد » أن معنى
 قولهم : « استشهد المرخ والعفار » استكثر من النار .

- يا من يَزِّعُنا أن نَفارَقَهم * وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بَدَمَ عَدَمٍ^(١)
أَعْيُنُكَ وَقَعِيَ مِنْ أَنْ أَشِيمَ خُلْبًا ، وَأَسْتَقِطِرَ جِهَامًا ، وَأَكْدَمَ غَيْرَ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو^(٢)
شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقَابِ وَالرَّخْمِ ؛ وَإِنَّمَا أَبَسْتُ لَكَ لَتِيْزَ ، وَحَرَكْتُ لَكَ الْحَوَارِ^(٣)
لَتِيْنَ ؛ وَسَرَيْتُ لَكَ لِيُحْمَدَ الْمُسْرَى إِلَيْكَ ؛ بَعْدَ الْيَقِيْنِ مِنْ أَنَّكَ إِنْ شَدَّتْ عَقْدَ أَمْرِي^(٤)
تَبَسَّرَ ، وَمَتَى أَعْذَرْتَ فِي فُكِّ أَمْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ ؛ وَعِلْمُكَ يُحِيطُ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ^(٥)
النِّعْمَةِ ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ ، وَفَضْلُ الْجَاهِ تَعَوُّدُ بِهِ صَدَقَةٌ .

وَإِذَا أَمَرْتُ أَسْدَى إِلَيْكَ صَبِيْعَةً * مِنْ جِلْدِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ^(٦)
لَعَلَّ أَلْبِي الْعَصَا بِذِرَاكِ ، وَتَسْتَقْرِئُ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، فَتَسْتَلِذُّ جَنِّي شُكْرِي مِنْ^(٧)
غَرَسٍ عَارِفِكَ ، وَتَسْتَطِيبُ عَرَفَ ثَانِي مِنْ رَوْضِ صَبِيْعَتِكَ ؛ وَأَسْتَأْنِفُ التَّادِبَ

- (١) في الأصل : « يا من لا يمز » و « لا » زيادة من التامع يخل بها الوزن والمعنى ؛ وهذا
البيت لأبي العلي بن النخعي .
(٢) في الأصل : « عن » ؛ وهو تحريف .
(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .
(٤) الإيساس : أن يقال للثقة عند حلها : يس يس بضم الباء وتشديد السين تمكيناً لها . والمراد
بهذه العبارة والتي بعدها أنه قد استطقه بالكلام ولأينه في الخطاب ليحلف عليه ويلين له .
(٥) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في النخل : « حرك لها حوارها نحن » والحوار : ولد الناقة ؛
ولا يزال حواراً حتى يفصل ؛ ويضرب هذا المثل في تذكيرك المرء بغير أنجابه لبيتاج .
(٦) كذا في تمام الخون ؛ والقي في الأصل : « إليك » ولم تنبها مع صحتها لحصول التكرار بها مع
ما بعدها .
(٧) يشير بهذه العبارة إلى قولهم : « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو مثل يضرب للرجل
يحمل المشقة لأجل الراحة .
(٨) في الأصل : « أُمْرِي » بالهمزة ؛ وهو تحريف .
(٩) البيت لأبي تمام من قصيدة كتب بها إلى إسحاق بن زبيد كاتب أبي دلف .
(١٠) بذراك : أي بظلك ؛ يقال : ظلان في ذرا ظلان أي في كنفه وظله .

بَأَدَبِكَ ، والاحْتِمَالُ على منهجِكَ ؛ فلا أُوجِدُ للحاسدِ مجالَ لحظةٍ ، ولا أدَعُ للقادحِ مَسَاحَ لَفظةٍ ؛ واللهُ ميسِرُك من إطلاحي هذه الطَّلِيَّةَ ، وإشكائي من هذه الشكوى لِصِليمةٍ تصيبُ بها طريقَ المَصْنَعِ ، ويدُ تَسْتَوِدُّهَا أَحْفَظُ مُسْتَوْدَعٍ ؛ حسبما أنت خَلِيقٌ له ، وأنا منك حَرِيٌّ به ؛ فذلك بيده ، وهينٌ عليه . وشفعها بأبيات فقال :

الموى فى طُلوعِ تلكِ النجومِ * والمنى فى مُبوبِ ذاكِ النسيمِ
مَرَتاً عيشُنا الرقيقُ الحواشى * لو يدوم السرورُ لَلستِديمِ
وَطَرٌّ ما أَتَقَصَّى إلى أنْ تَقْصَى * زَمَنٌ ما ذِمَامُهُ بِاللَّئِيمِ
زار مستخفياً وهيهات أنْ يَجْزِ * نَحْيَ البدرُ فى الظلامِ البَهِيمِ
قَوَّيَ الحِلْماً إذْ مشى وهفاً الطَّيِّبِ * سُبُّ لى حيثُ كاشَحٌ بِاللَّئِيمِ
أيا المُؤَذِّنِ بظلمِ الليالى * ليس يَومى بواحدٍ من ظُلُومِ

(١) كنا فى بعض نسخ الرسالة . وفى الأصل : « تأدب بك » .

(٢) فى الأصل : « ميسرك » بتقديم السين على الياء ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله فيما يأتى :
« لصليمة » .

(٣) الإغلاب : مصدر أطلب إذا أطلعه ما يطلب ؛ يقال طلبت مع كذا فأطلقني إياه ، أى أسفني بشفاعته . والطلبة بكسر اللام : الحاجة . وعبارة الأصل : « من هذه الطلية » ؛ وقوله : « من » زيادة من النسخ ؛ فإن « أطلب » من الأضال التى تتعدى بنفسها ؛ ولم تحذف على تعدية بالحرف انظر انسان ويضيه من كتب اللغة .

(٤) الإشكاه : صدر أشكبه إذا أزلت شكايته .

(٥) فى الأصل : « وجرى » ؛ والتصويب عن القسيرة لابن بسام المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة يدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٤٧ أدب .

(٦) فى الأصل : « بواجده » بإلحاق المجهدة ؛ وهو تحريف ؛ يريد أن اليوم الذى أودى فيه ونكب ليس هو الوحيد من دهر ظلم .

مَا تَرَى الْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ * حَسَّ هُمَا يَكْفَيَانِ دُونَ النُّجُومِ ^(١)
 وَهُوَ اللَّهُمَّ لَيْسَ يَنْفَكُ بِخَوْ * بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْمُظْمِ
 بَرَأَ اللَّهُ جَهْرًا أَشْرَفَ السُّؤْدُودِ ^(٢) فِي السَّرِّ وَاللِّبَابِ الصِّمِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْقَضَى * لَمْ يَكُنْ الْخَصُوصُ وَفَقِيَ الْعُمُومِ
 قَلَّدَ الْقَمَرُ ذَا التَّجَارِبِ ^(٣) فِيهِ * وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ

(١٥٧)

ومنها في ذكر اعتقاليه :

مَعْقُومٌ لَا أُعَادُ مِنْهُ فِي الْعَمَلِ * مَا لَيْدٌ أَنَسُ يَنْفِي يُرَى السَّقِيمِ
 تَأْرِبُنِي سَمَرْتُ إِلَى جَنَّةِ الْأَرْ * ضَ بَيَانًا فَاصْبَحْتَ كَالصَّرِيمِ
 بَابِي أَنْتَ إِنِّ تَشَاكُ بِرَدًّا ^(٤) * وَسَلَامًا كَنَارَ إِبْرَاهِيمِ
 لِلشَّفِيعِ النَّسَاءِ ^(٥) ، وَالْمُحَدِّثِ صَوِّ * بِبِ الْحَيَا لِلرَّيَاحِ لَا لِلْقُبُومِ

١٠

ثم قال : هاكها أعزك الله يسئلهما الأمل ، ويقضيها الخجل ؛ لما ذنب التقصير ،
 وحرمة الإخلاص ، فهب ذنبا لحمة ، وأشفق نعمة بنعمة ؛ لتأني الإحسان من جهاته ،
 وتسلل الفضل من طوافاته ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « كما » وهو تحريف .

(٢) الشعر يفتح أوله وضمة ؛ الجاهل الذي لم يجرب الأمور .

١٥

(٣) في الأصل : « والتجارب » ؛ والتصويب عن بعض نسخ الرسالة إذ به يستعمل المعنى .

(٤) في الأصل : « تشاك » ؛ وفي نسخ الرسالة : « أن تشاك » ؛ وكلاما تحريف لا يظهر له

معنى ؛ ولم يرد هذا البيت في النسخة ضمن هذه القصيدة .

(٥) في الأصل : « المعنى » وهو تحريف ، والتصويب عن بعض نسخ الرسالة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن أبي الحصل من جواب لابن
بسام — وكان قد كتب إليه يسأله إنفاذ بعض رسائله ليضمنها كتابه الذي ترجمه
بالنخبة، فكتب :

وصل من السيد المسترق ، والمالك المستحق — وصل الله أنعمه لديه ،
كما قصر الفضل عليه — كتابه البالغ ، وأستدراجه المريع ؛ فلولا أن^(١) يصلد زئد^(٢)
أقصداه ، ويرد طرف انتاحه ؛ وتقبض يد أنسا طه ، وتنبه صفقه أختبا طه ؛
للزمت معه قدرى ، وضن بستره صدرى ؛ لكنه بنقته يحصره يستزل العصم فتجنب^(٣) ،
ويقتاد الصعب فيصحب ، ويستلر الصخور فتصحب ؛ ولما جاءنى كتاب أبتداه ،
وقرعه سمى نداه ؛ فزعت إلى الفكر ، وخفق القلب بين الأمن والحذر ؛ فطاردت من
الفقر أوابد قفر ، وشوارد عفر ؛ فتدبرنى وجه ساقها ، ولا يتوجه الحلق إلى وجعها
ولا حيقها ؛ فلبت أنها الإهابة والمهابة ، والإجابة والاستجابة ؛ حتى أياستنى الخواطر ،

(١) في الأصل : " المريع " بالعين المهملة ؛ وهو مخروف ؛ والمرع : المتأدع .

(٢) صله أزيد يصده بكر اللام : صوت ولم يخرج قارا .

(٣) الصم : جمع أصم ، وهو الرطل الذى فى ذراعيه يماض ؛ يقال : هو يستزل الصم بشفه ،
أى يذل الصماب بصره بشفه وحسن حديثه . ويجنب : أى تنقاد ؛ يقال : جبت القوس إذا قدته
الى جنبك فهو يجنب ويجنوب .

(٤) فى كتاب المحجب فى تلخيص أخبار المغرب : « فرغت » بالعين المعجمة والراء ؛ والمضى يستقيم
طيه أيضا .

(٥) كذا فى كتاب المحجب ص ١٢٥ طبع لندن . وتغير من الاغيار ؛ وهو إثارة النار . وفى الأصل :
« تمز » ؛ وفيه قصص وتصحيف .

(٦) الترجمة ولائح : اسماء فرسين نجيين من خيل العرب ؛ ونقل صاحب تاج العروس عن ابن الكلبي
مادة « وجه » أنها كانت لثى بن أصغر .

وأخلفني المَوَاطِرُ ، إلا زبرجاً يَعْقُبُ جواداً ، وبهرجاً لا يَحْتَمِلُ انتقاداً ؛ [وأنى
 لِمِثْلِ والقَرْيَةُ مُرْجَاةٌ ^(١) والبِضَاعَةُ مُرْجَاةٌ ؛ بَرَاةُ الْخَطَابِ ، وِبَرَاةُ الْكَلْبِ ، ولولا
 دروسُ مَعَالِمِ الْبَيَانِ ، واستيلاءُ الْعَفَاءِ عَلَى هَذَا اللِّسَانِ ؛ مَا قَازَلَ لِمِثْلٍ فِيهِ قِدْحٌ ؛
 وَلَا تَحْبَسُ لِي فِي سَوْفِهِ رِيحٌ ؛ وَلَكِنَّهُ جَوْ خَالٍ ، وَمِضَارُ جُهَالٍ ؛ وَأَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ
 أَرَبًا بِقَدْرِ النِّخْرَةِ ، عَنْ هَذِهِ التَّنْفِ الْأَخِيرَةِ ؛ وَأَرَى أَنَّهَا قَدْ بَلَّتْ مَدَاهَا ، وَاسْتَوْفَتْ
 حُلَاهَا ؛ وَإِنَّمَا أَخْشَى الْقِدْحَ فِي اخْتِيَارِكَ ، وَالْإِخْلَالَ بِخِتَارِكَ ؛ وَعِزُّكَ إِلَيْكَ —
 أَيْدِكَ اللَّهُ — فَإِنِّي خَطَطْتُ وَالتَّوَمُّ مَنَازِلَ ، وَالْقُرْآنُ نَازِلٌ ؛ وَالرَّيْحُ تَلَبُّ بِالسَّرَاجِ ،
 وَتَصَوُّلٌ عَلَيْهِ صَوْلَةُ الْحَاجِّ .

ثم أخذ في وصف السراج كما ذكرناه في الباب الرابع من القسم الثاني من الفن
 الأول في السفر الأول من هذا الكتاب .

ومن كلام الوزير الفقيه أبي القاسم محمد بن عبد الله بن الجحد ^(٢) ،
 من رسالة خاطب بها ذا الوزيرين أبا بكر المروفي وابن القصيرة — وقد قرئت
 بينهما المسافة ولم يتفق اجتئساها — :

لَمْ أَزَلْ — أَعَزُّكَ اللَّهُ — اسْتَنْزِلَ قَرَيْكَ بِرَاحَةِ الْوَهْمِ ، عَنْ سَاحَةِ النِّجَمِ ؛
 وَأَنْصِبَ لَكَ شَرَكَ الْمَنَى ، فِي خُلْسِ الْكَرَى ، وَأَعْلَلْ فِيهِ نَفْسَ الْأَمَلِ ، بِضَرْبِ
 مَا بَقِيَ الْمَثَلِ :

(١) المراد بالزبرج هنا : السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أضيفها من كتاب المصيب ص ١٢٥ طبع لندن . ومرجاة :

من الإرجاء ، وهو التأخير .

(٣) كذا في المصيب ؛ والقي في الأصل : «والاختلاف» ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا ضبط هذا الاسم بالقلم في المصيب ص ١٢٤ طبع لندن .

(٥) في الأصل : «الكرم» ؛ وهو تحريف .

ما أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَيْطٍ * مَن دَارُهُ الْحُزْنُ مِنْ دَارِهِ صَوْلُ^(١)

فأَظْلَمَ بِهِ وَقَدْ نَزَلَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمٍ [وَطَلَا نَفْرَ عَنْ جِبَالَةِ نَوْمٍ]^(٢) ، وَدَنَا حَتَّى هَمَّ
بِالسَّلَامِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ خُدْعِ الْأَحْلَامِ ، وَنَاهِيكَ مِنْ ظُمَى وَقَدْ حُمْتُ حَوْلَ الْمَوْدَانِ حَصْرٍ ،
وَدُثِمْتُ الرِّشَاءَ^(٣) بِالْقَصْرِ ، وَوَقَفَ بِي نَاهِضُ الْقَسْرِ ، وَقَفَّةَ الْعَبْرِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالصَّدْرِ ؛
فَهَلَّا وَصَلَ ذَلِكَ الْأَمَلُ بِيَاعٍ ، وَبِمِجَازِ الزَّمَنِ بِاجْتِنَاعٍ ؛ وَطَوَّيْتُ بَيْنَنَا رَقْعَةَ الْأَيَالِ ،
كَأَزْوَيْتُ مِرَاحِلُ^(٤) أَيَّامٍ لَيَالٍ ، وَمَا كَانَ عَلَى الْأَيَّامِ لَوْ غَفَلْتُ قَلِيلًا ، حَتَّى أَشْفَى بِفَاقِكَ
غَلِيلًا ، وَأَتَسَمَّ مِنْ رُوحِ مَشَاهِدِكَ نَفْسًا بَلِيلًا ؛ وَلَئِنْ أَفْعَدْتَنِي بِمَوَاتِنِهَا عَنْ لِقَاءِ حُرٍّ ،
وَقَضَاءِ رِيٍّ وَسَفَرٍ قَرِيبٍ ، وَظَفِيرٍ ضَرِيبٍ ؛ فَمَا تَحِيَّيْتُ^(٥) وَدَادِي ، وَلَا ارْتَشَفْتُ^(٦) مِلْدَادِي ؛
وَلَا غَاضَيْتُ كَلَامِي ، وَلَا أَخَفْتُ أَقْلَامِي ؛ وَحَسْبِي بِلِسَانِ النَّبِيلِ رَسُولًا ، وَكُنِيَ بِوَصُولِهِ
أَمْلًا وَسُؤْلًا ؛ فَفِي الْكَتَابِ بُلْفَةُ الْوَطَرِ ، وَيُسْتَعْدَلُ عَلَى الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ؛ عَلَى أُنَى إِنَّمَا
وَسَّيْتُ^(٧) وَحَيَّ الْأَشِيرَ بِالْبَسِيرِ ، وَأَحْلُتُ فَهْمَكَ عَلَى الْمَسْطُورِ فِي الضَّمِيرِ ؛ وَإِنْ فَرِغْتَ
لِلرَّاجِعَةِ وَلَوْ بِحَرْفٍ ، أَوْ لَحْمَةٍ طَرَفٍ ؛ وَصَلْتَ صَدِيقًا ، وَبَالَتْ رِيحًا ؛ وَأَسْدَيْتَ يَدًا ،
وَشَقَيْتَ صَدِيًّا ؛ لَا زَالَتْ أَيْادِيكَ بِيَضًا ، وَجَاهُكَ عَرِيضًا ؛ وَلِيَالِيكَ أَهْجَارًا ،
وَمَسَاعِيكَ أُنُورًا .

- (١) الحزن : بلاد بنى يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى . وصول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي
باب الأيو باب . (٢) لم ترد هذه العبارة في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن القنبر ليم بها السج .
ألقى التزمه الكتاب فيما أثبت هنا من رساله . (٣) يقال : ناهيك من كذا بمعنى سبك ، أى أنه
غاية تهاك عن طلب غيره . (٤) الرشاء : الحبل ؛ يريد بهذه العبارة تشبيه حاله في القنبر وطعم
استطاعة القنار . بجبل الملوك الذى يقارب الماء . ولا يصل اليه القنبر . (٥) عبارة الأصل : « على
رويت مراسم » وهو تحريف . (٦) يقال : تحييت الشيء ، أى تقمصه من نواحيه .
(٧) فى الأصل : « أقدانى » بالهال ؛ وهو تحريف . (٨) يريد بلسان النبل ، كناية إليه .
(٩) الوحى : المكتابة أو الإشارة .

ومن كلام أبي عبد الله محمد بن الخياط من رُقعة طويلة
الى الحاجب المظفر، أولها :

- حَسْبَ الله من الحاجب المظفر أَعْيَنَ الثَّابِتات، وَقَبَضَ دُونَهُ أَيْدِيَ الحَادِثات .
وجاء منها : وَرَدَّ لَهُ كِتَابُ كَرِيمٍ جُعِلَتْهُ عِوَضَ يَدِهِ الْبَيْضَاءِ فَقَبِلْتُهُ ، وَلَحَنَتْهُ بَدَلُ
عُرَّتِيهِ النَّوْزَاءِ فَاجْلَلْتُهُ ؛ كَتَبَ أَلْقَى عَلَيْهِ الْحَبْرَ حَبْرَهُ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ السَّحْرَ فَقَرَهُ ؛ أَنْزَلَ^(١)
بِلَوْحِ الْمَنَى ، وَبُشِّرَ بِمَصُولِ الْغَنَى ؛ تُخَيِّرُ لَهُ الْبَيَانَ فَتَطْبِقُ مَفْصِلَهُ ، وَرَمَاهُ الْبَنَاتُ^(٢)
فَصَادَفَ مَقْتَلَهُ ؛ وَوَصَلَ مَعَهُ الْمَمْلُوكُ وَالْمَمْلُوكَةُ اللِّذَانِ سَمَاهُمَا هَدِيَّةً ، وَتَقَرَّ كَرَمًا أَنْ
يَقُولَ عَطِيَّةً ؛ هِمَّةٌ تَرْجُمُ السَّمَاءَ كَيْنَ ، وَنِعْمَةٌ تَلَامُ الْأَذْنَ وَالْبَيْنَ ؛ وَمَا حَرَكَ — أَيْدِيهِ
الله — بِكَتَابِهِ مَا كَانَا يَجِدُهُ ، وَلَا نَبَهُ نَأْمًا عَنْ قَصِيدِهِ ؛ كَيْفَ وَقَدْ طَلَعَتْ أَلْشَّمْسُ
الَّتِي صَارَ بِهَا الْمَغْرِبُ شَرْقًا ، وَهَبَّتْ أَلْرِّيحُ الَّتِي صَارَ بِهَا الْحِرْمَانُ رِزْقًا ؛ صَاحِبُ لُؤَاءِ^(٣)
الْحَمْدِ ، وَفَارُوسُ مَيْدَانِ الْمَجْدِ .
وهي رُقعة طويلة قد ذكرنا منها في المديح فصلا لا قائمة في إعادته .

ومن كلام أبي حفص عمر بن برد الأصغر الأندلسي ،
فمن ذلك أَمَّا أَنْ كَتَبَهُ لِيَنْ عَصَى وَطَاوَدَ الطَّاعَةَ :

- أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدِ^(٤)
وَلَا عَقْدٍ يَتِمَّعَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ؛ وَلَكِنَّا بِمَا وَهَبَ اللهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سَرَائِرِ^(٥)
(١) الحبر بكسر الحاء وضحا : العالم . والحبر بكسر الحاء وضع الباء : برود مينة ، واحدة حبرة
كثينة ؛ يريد تشبيه الكلام في الحسن والرواق بحسن تلك البرود وروشها .
(٢) يستعمل الإنذار بمعنى الإحلام مطلقا سواء أكان بمنزلة أم بشر ؛ والمراد هنا الأول .
(٣) في الأصل : « البيان » بالياء المثناة ؛ وهو تعريف .
(٤) كذا في النسخة لابن بسام ؛ والقى في الأصل : « جلباك » ؛ والياء زيادة من التامع
إذ لم تقف فيها لدينا من كتب القصة على تسمية هذا الفعل بالياء . (٥) في النسخة : « أسرار » .

الرِّياسة، والحفَظ لِشرائع السياسة؛ تأملنا من ساس جهتك قبلنا فوجدنا يدَ سياسته
نحرقه، وصينَ حراسه عوراء، وقدمَ مدارايه شلاء، لأنه غاب عن تركك فلم ترعه،
وعن تركك فلم تحسه؛ فأذنتك حاجتك إلى طلاب المطامع الدنية، وقلة مهاتك
إلى التهاك على المعاصي الويبة؛ وقد رأينا أن تُظهرَ فضلَ سيرتنا فيك، وتُعتبرَ بالنظر
في أمرك، فهدنا لك التَّغْيِبَ لَنَأْسَ إِلَيْهِ، وظلَّلنا لك التَّهْيِبَ لَنُفَرِّقَ مِنْهُ، فإن
سُوتَ أحوالنا طبعك، ودأوى الثَّغافُ والنَّارُ عودك، فذلك بفضل الله طبعك،
وبإظهاره حُسنَ السياسة فيك؛ وأمانُ الله تعالى بِمُوسِطٍ مَنَّا، وموثيقُ بالوفاء
مَعْقُودَةٌ بَيْنَا، وأنتَ إلى جهتك مصروف، وبغيرنا والعاية منا مكشوف؛ إِلَّا أَنْ
تَطْلُبَ الصَّبِيْعَةَ عِنْدَكَ فَتَخْلُجَ الرِّبْقَةَ، وتُحْرِقَ مِنَ الطَّاعَةِ، فلسنا بأول من بُغِيَ عَلَيْهِ،
ولستُ بأول من تَرَامَتْ لَنَا مَقَاتِلُهُ مِنْ أَشْكَالِكَ إِنْ بَنَيْتَ، وَاثْتَحَتْ لَنَا أَبْوَابُ
اسْتِكْبَالِهِ مِنْ أَمْثَالِكَ إِنْ طَلَيْتَ .

ومن كلامه يعاتب بعض إخوانه :

أظلم لي جو صفائك، وتَوَعَّرْتُ عَلَى طَرُقِ إِحْثَاكَ؛ وَأَرَاكَ جَلَدَ الضَّمِيرِ عَلَى
الْعَتَابِ، غَيْرَ نَاقِحِ الْعُلَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَقْصَى بِهِجَةِ ذَلِكَ الْوَدِّ،
وَأَذْبَلَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الْمَهْدِ؛ عَهْدِي بِكَ وَصِلْتُنَا تَحْرِقَ مِنْ أَسْمِ الْقَطِيعَةِ، وَمَوْدُنَا
تَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ الْعَتَابِ وَنَسِيبَةِ الْجَفَاءِ، وَالْيَوْمَ هِيَ أُنْسُ بِنَاكَ مِنَ الرِّضِيعِ بِاللَّيْلِ،
وَالْخَلِيعِ بِالكَاسِ؛ وَهَذِهِ تُفَرِّغُ إِنْ لَمْ تَحْرُسْهَا الْمَرَاجِمَةُ، وَتَعْلُكَ فِيهَا عَيُونُ الاسْتِغْبَارِ
تَوَجَّهْتُ مِنْهَا الْحَيْلُ عَلَى هَدْمِ مَا بَيْنَنَا، وَتَقْصُصُ مَا اقْتَنَيْنَا؛ وَتَلُكُ نَاشِئَةُ الصَّفَاءِ،
وَالصَّارِخَةُ بِمَوْتِ الْإِخَاءِ؛ لَا أَسْتَدُ اعْزَكَ اللَّهُ مِنَ الْكَتَابِ إِلَيْكَ — وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ

(١) في الأصل: «الإشيطر»؛ وهو تحريف . (٢) في القسرة: «والصامعة»؛ والمعنى
يستمع إليه أيضا . (٣) كذا في القسرة لأن بسم؛ راقى في الأصل: «لا أستبد» بإياه الموحدة.

- القلم، وازوت أحشاء القرماس، وأجرم الفكر، فلم يبق في أحدهما إسعاد لى على مكاتبتك، ولا بشاشة عند محاولة خاطبتك — لقوارص حنايك، وقوارع ملايك [التي أكلت أعلامك]، وأغصت كبتك، وأجبرت رسلك، وضجى طاولم يطلع تجنيا عليك، ونفى وادعة لم تحرك ذنبا إليك، وعقدى مستحيم لم يمسسه وهن فيك؛ وأنا الآن على طرف الإخاء معك، فإما أن تبهرى بحجة فأتصل عندك، وإما أن تنق بحقيقة فاستديم خلتك، وإما أن تازم على إيسك فاقطع حبل منك؛ كثيرا ما يكون ضاب المتصافين حيلة تسبر المودة بها، وتستثار دقات الأخوة عنها، كما يمرض الذهب على اللهب، ويصنى المدام بالفدام، وقد يخلص الود على التنب خلوص الذهب على السبك، فإما إذا أعيد وأبدى وردد وتوالى فإنه يفسد غرس الإخاء، كما يفسد الزرع توالى الماء.

ومن كلام أبي الوليد بن طريف من جواب عن المتعبد إلى
 ذى الوزارتين ابن يحفور صاحب شاطبة بسبب أبي بكر بن عمار:

- (١) في الأصل: « وأمر » بإزاء المهمة - وفي القصة لابن بسام: « وأمة » وهو تحريف في كليهما، سواء ما أبتنا كما يقتضيه السياق، وأبى بالجم: من الاجراء، وهو أن يشق لسان القصيل لتلا يرضع، ويستعار الاجراء كما تلا الاسكات والمنع من التلق، قال عمرو بن معد يكرب: فلأن قوى ألقنى راسهم * فلققت ولكن الرياح أجزت
- يريد أن رباح قومه أسكته ومنعه عن الكلام - (٢) كذا في هامش القصة قسم أول ترجمة أبي خض المذكور، وهو المناسب قوله بد « وتوارع »؛ والفتى في الأصل: « ودمارة »؛ وهو تحريف لا يظهره معنى - (٣) هذه العبارة مأخوذة من الأصل؛ وقد أبتناها عن القصة إذ لا يستقيم الكلام بدونها - (٤) في الأصل: « وأصمت » بالعين المهمة؛ وهو تصحيف - (٥) في القصة: « مستوقى »؛ والمعنى يستقيم على كلا الرايتين - (٦) يقال: تصل إليه من الجناية، أى تخرج وتبرا - (٧) انقله بنم لطاء: المحبة والصدقة لاخلل فيها - (٨) تازم بكسر الهمزة المعجمة، أى تواظب وتعاذب - (٩) في القصة: « دقات »؛ والمعنى يستقيم على كلا الرايتين - (١٠) القدام بكسر القاء: المصفاة للكرز والإبريق ونحوهما -

وقفت على الإشارة الموضوعية من قبلك على إخلاص كل على وجوه السلامة ،
 المستنام فيها الى شرف محبتك وصفاء معتقدك أكرم استقامة ؛ بالشفاعة فيمن
 أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعثار ؛ بنمطه لعظيم النعمة ؛
 وقطعه لعلالي العصمة ؛ ونمطه في سرنج غيه واستهدافه ، وتجاوزته في ارتكاب
 الجرائم وإسرافه ؛ حتى لم يدع للصليح موضعا ، ونرق ستر الإبقاء بينه وبين مولى
 النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعا ؛ وقد كان قبل استشرائه رأيه ، وكشفه لصيغة
 المعاندة ، وإبدائه غثره في جميع جنائياته مقبولا ، وجانب الصفيح له معرضا مبدولا ؛
 لكن عدته جوانب القوابة ، عن طرق الهداية ؛ فاستقر على ضلاله ، وزاغ عن سني
 اعتداله ؛ وأظهر المناقضة ، وتعرض برعده الى المساورة والمعارضة ؛ فلم يزل يربح
 الفوائل ، وينصب الجبائل ؛ ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه
 في أوعر المذاهب ؛ حتى ملقته تلك الأشرار التي نصبا ، وقبيلت به مساوى
 المقدمات التي جرّها وسبها ؛ فذاق وبال فعله ، «ولا يحقُّ المكر السيئ» إلا لأهله»
 ولم يحصل في الأنسولة التي توزطها ، والمحنة التي اشتملت عليه وتوسطها ؛ إلا ووجه
 العقول قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد أجهم ؛ ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه
 اللثيمة ؛ رأى أن الصفيح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد .

وفي فصل منه : فتوق لناصلة الدولة نبأه ، وأعمل في مكابدها جهده
 وأحياناه ؛ ثم لم يقتصر على ذلك بل تجاوزته الى إطلاق لسانه بالتم الذي صدر عن

(١) أورد ابن بسام هذه الرسالة في ترجمة الوزير أبي بكر بن عماد .

(٢) كذا في الأصل ؛ وله : «من» . (٣) عبارة الفتح . «على أخلاص ويوم» الخ .

(٤) في الأصل : «عن» وهو تحريف ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٥) يربح : يظلم ويريد . (٦) أجهم الباب ، أغلق .

لثم نجراره ، والطعن الشاهد بجيت طويته وإصهاره ؛ ومن فسد هذا الفساد كيف
يرجى استصلاحه ، ومن استيقن مثل غله كيف يؤمل فلاحه ؛ ومن لك بسلامة
الأديم النفل ، وصفاء القلب النفل ؛ وعلى ذلك فلا اعتقد طبعك فيما عرضت به
من وجه الشفاعة غير الجليل ، ولا أتمدى فيه حسن التأويل ؛ ولو قدت شفاعتك
في غير هذا الأمر الذى سبق فيه السيف العذل ، وأبطل طائل الأقدار فيه الإلطاف
والحيل ، لتلقيت بالإجلال ، وقولت ببالغ المبرية والأهتبال .

ومن كلام ذى الوزارتين أبي المغيرة بن حزم من رسالة .
لم أزل أؤبر للقاء سيدي السامع ، واستمطر القادى والرائح ؛ وأروم اقتناصه
ولو بشرتك المتام ، وأحاول اختلاسه ولو بأبدى الأوهام ؛ وأعاتب الأيام فيه فلا تمسب ،
وأقودها إليه فلا تصحب ؛ حتى إذا غلب الياس ، وشمت الناس ؛ وضربت بى
الأمثال ، قليل : أكثر الآمال ضلال ؛ تلبه الدهر من رقدته ، وسل من عقدته ؛
وقيل متى ، وأظهر الرضى عنى ؛ وقال : دونك ما طمع فقد سمح^(٦) ، وإليك فقد دنا^(٧)
ما قد جمح ؛ فطرت بجناح الأرياح ، وركبت إلى الفهم كواهل الرياح ؛ وقلت :
فرصة تفتنم ، وركن يستلم ؛ وطرفت روضة [العلم] عميمة الأزهار ، فصبيحة الأطيوار ؛

- (١) الأديم : الجلد . والنفل : القاسد فى الفباغ ؛ وبابه فرج . (٢) له «عاجل» بالجم .
كما يلى عليه سياق ما قبله . (٣) الاهتبال : الاحتشام ؛ والمراد احتشام العمل بها .
(٤) فى الأصل : «ابن» والتمويه عن القنطرة فسم أول ترجمة أبي المغيرة بن حزم .
(٥) فى الأصل : «القاج» بالقال المحببة والياء الموحدة ؛ وهو تصحيف .
(٦) طمع ، من الطامح بكسر الطاء ، وهو الطامح .
(٧) فى القنطرة : «قد سمح» بالثون ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .
(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أتيقناها عن القنطرة .

رَبًّا الجداول، باردة الضحى والأصائل، وطفئت بكعبة الفضيل مصونة الحبر، ملثومة
 الجعر، عزيزة المقام، معمورة المشعر الحرام؛ فما شئت من محاضرة، تجمع بين الدنيا
 والآخرة؛ بين يدى تير يَدْنِي الإعجاز، ونظم ما أشبه الصدور بالإعجاز؛ وحديث
 شُقِّفَ العقول بأرائه، وتروى بصاف مائه؛ حين تمنح بالظفر أذى، وأهتر لنيل
 الأمل عطى - واللهم يضحك سراً، ويتأبط سراً؛ وقد أذهلت الجدل عن سوء
 ظنى به، وأوهنت زروعه عن نعيم مذهبه - أنت ألوانه، وقسا طربانه؛ ونادى : ليعلم
 من قعد، ويتنبه من رقد؛ إنما قُدرت تلك الفترة، ليكون ما رأيت عليك حمرة؛
 وصححت لك مرة، لتذوق من الأسف عليها كأسامة؛ فرائت وقد غطى حل
 بصرى، وعقلت وكنت فى عماية من خبرى؛ وقلت : هو الذى أعهده من لومه،
 وأهرقه من شؤبه؛ فأوهب، إلا وسلب؛ ولا أعطى، إلا ساءت كياهم القطا؛
 فياله من قادر ما ألام قدرته، وزائج ما أحد شفرته! ولو تسلب طينا، من يظهر
 شخصه إلينا، لأدركته رماحنا، [وعصفت به رياحنا]؛ لكنه أمير من وراء حجب،
 يسعي بلا رجيل ويصوب بلا كف .

١٠

ومن كلام الوزير الكاتب أبى محمد بن عبد الغفور الى بعض
 إخوانه - وكان قد وصف له امرأة ومدحها وحضه على زواجها، وكان لذلك
 الصديق امرأة سوداء - فأجابه ابن عبد الغفور :

١٥

- (١) كذا فى الأصل؛ والحبر: البرود اليمنية؛ ولعل المراد ببحر الكعبة: أstarها . واقى فى القسيرة
 لابن بام: «الحرم»، والمضى يستعم عليه أيضا . (٢) عبارة القسيرة: «تلف العقول بأرائه» .
 (٣) فى الأصل: «زروعه» بإلقاء الموحدة والفتن المعجمة؛ وهو تصحيف .
 (٤) فى الأصل: «وفنى طربانه» بالفتن المعجمة والطاء المهملة وهو تصحيف . والفتريان
 بفتح الفاء المعجمة وكسر الراء درية كالهرة مفتحة الريح؛ ويقال: فسا بينهم الفتران، أى تفرقوا .
 (٥) الزيادة عن القسيرة؛ وجاءت السج التى التزمه الكاتب فى رساله .

٢٠

- بينما كنت ناظرا من المرأة في شعر أحم^(١)، ورأس أحم^(١)، لا أخاف منه الدم؛
إذ تقدم رسولك إلى، يخطب بنت فلان عليّ؛ ورغب منها في سعة مال، وبراعة
جمال؛ ويقع منها ليرة بالزوج بريكة، لا تحوجه عند النوم إلى أريكة؛ ولو لم يترت
— وعيادا بالله — لهذا النكاح، لرزقت قبل الولد منها آلة التطاح^(٢)؛ ولا حاجة لي بعد
الدعة والسكون، [إلى حرب زبون، وقراج بالقرون]، ولو حملت إلى تاج كسرى
وكنوز قارون؛ فاطلب لهذه السلعة المباركة مشريا غيى، ولا تسفها ولو في النوم
إلى ...؛ وأبتها ولو بأرض الائمان إلى فيك، وأضف طاجها النفيس إلى آتوس^(٣)
عمرسك؛ ولا حذر لها في الشوز والإعراض، فلما يحسن السواد الحالك بالياض؛
والله يملك بقرنين قبل الحين، ويضع لك صنتين^(٤) وبتين، فيسقطك بهذا النكاح
الثاني للغم كما أسقطت بالأول للدين .

١٠

(١) الأسم: الأسود . (٢) في الأصل: «النكاح» وهو تحريف . (٣) الكلمة من
الخبيرة لابن نيام . (٤) الكلمة المحذوفة هنا لا تمنح على صلة القارئ (٥) كذا ضبط هذا
اللفظ بالعجالة في تاج المروس، فخص على أنه يكسر الموحدة . (٦) الصنتين : تنية صنع بالكسر،
وهو سفود الشواء .

- كل السفر السابع من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري .
رحمه الله تعالى — وفيه الجزء الثامن منه ، وأوله :
ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضل

- وكانت مجامع طبعه في يوم الجمعة ٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٧ (١٩ أبريل
سنة ١٩٢٩) .
ملاحظ المطبعة
بدار الكتب المصرية
محمد تديم

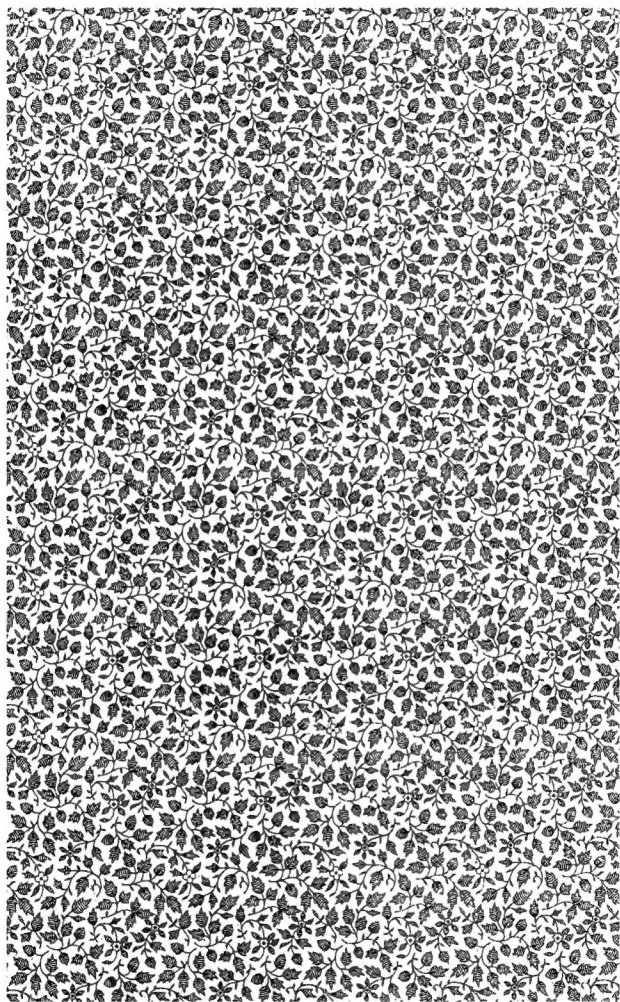
٢٠

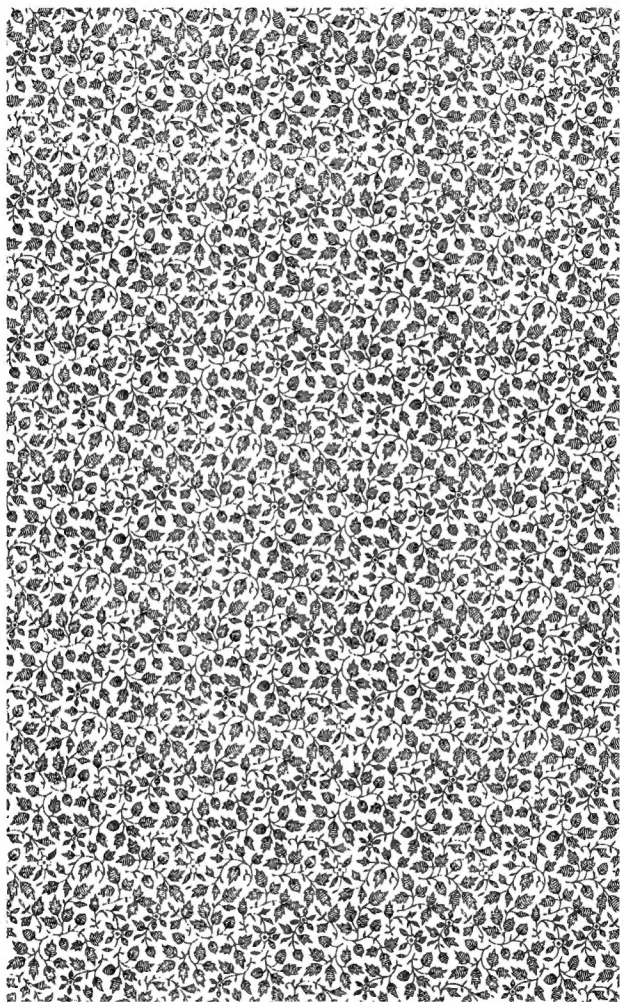
إصلاح خطأ

عثرنا بعد طبع هذا الجزء على يسير من الأغلط المطبعية
أينا أن نثبتها هنا ليستدركها القراء .

صواب	خطأ	ص	ص
ملء (بضمين)	دليء	٦	٩
التندير	التنديد	١٤	٣٦
همو	هوا	٨	٦٧
يردكم (بضم الميم)	يريدكم	٧	١٣٦
بنو	بنوا	١١	١٣٩
بنو	بنوا	٥	١٣٩
الحيا	الحمي	٢٦١	١٥٩
جرية (بكر الجيم)	جرية	١	١٦١
ليس (بدون واو)	وليس	٨٠	١٦٦
النجيل	النجيل	٣	١٧٨
بسيقه	يشقه	١٥	٢٣٧

بينما كنت ناظرا من المرأة في شعر^(١) أحمر، ورأس أحم، لا أخاف نعه الزم؛





Biblioteca Alexandrina



0433290